سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثامن

المركز الإسلامي للدراسات

سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi@alhadi.org

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني:

إمامة الحسين في كلام علي عليهما السلام

الإمامان المعصومان:

محمد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين الأشناني، عن محمد بن يزيد القاضي، عن محمد بن آدم، عن جعفر بن زياد الأحمر، عن أبي الصيرفي، عن صفوان بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» للحسن والحسين «عليهما السلام»: أنتما إمامان بعقبي، وسيدا شباب أهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما[١].

ونقول:

تضمن هذا النص أموراً يحسن لفت النظر إليها..

أولاً: إن هذا نص منه «عليه السلام» على من يخلفه، فإذا كان هناك من يرى أن الإمامة والخلافة تثبت بنص السابق على اللاحق، فهذا نص صريح

---

(١) راجع: كفاية الأثر للخزاز القمي (ط الخيام سنة ١٤٠١هـ) ص٢٢١ و ٢٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٧٧ ومستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص٢٨٥ وإثبات الهداة ج٢ ص٥٤٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٤ و ٢٦٥ عن الروضة، وراجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٨ ص٧٣٥.

على الإمام الحسن، ثم على الحسين «عليهما السلام» من إمام ثبتت إمامته وخلافته بالنص من الله تعالى، ومن رسوله «صلى الله عليه وآله»، وبأخذ البيعة له من الناس بأمر من الله، وتدبير من رسول الله في غدير خم.

وثبتت أيضاً ببيعة الناس له، مختارين غير مكرهين، وبإصرار أكيد، وتهافت شديد عليه منهم بعد قتل عثمان، بالرغم من محاولاته «عليه السلام» دفعهم عن نفسه عدة أيام.

فلا تقاس شرعية خلافته «عليه السلام» بشرعية خلافة أبي بكر الذي استولى على السلطة بذلك النحو العجيب والغريب، الذي تضمن التمرد على أوامر الله، وعلى تدبير رسوله، وتضمن نقض البيعة التي أعطاها هو وسائر الناس لعلي «عليه السلام» يوم الغدير تحت سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم جاء بالقبائل التي حول المدينة، مثل: أسلم وجهينة، وغفار ومزينة ـ وكان النفاق فاشياً فيهم ـ فاستولوا على المدينة، وصاروا يستخرجون الناس من بيوتهم، ويسوقونهم جبراً وقسراً إلى البيعة. وهاجم أعوانه بيت الزهراء وضربوها، وأسقطوا جنينها، وحاولوا إحراق بيتها بمن فيه، وفيه: الزهراء، وعلي، والحسنان «عليهم السلام».

فإذا كانت هذه حال خلافة أبي بكر، الذي أوصى لعمر بالخلافة من بعده، وقد اعتبرت وصيته ماضية، وادَّعوا أن خلافة عمر صارت شرعية، مع أن عمر ليس سيد شباب أهل الجنة، وليس معصوماً أيضاً.

فهل يمكن بعد هذا التشكيك بشرعية وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» بالإمامة لولديه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما معصومان، وهما

سيدا شباب أهل الجنة؟!

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد نص على إمامتهما للأمة، سواء قاما أو قعدا.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد أطلق على الحسنين «عليهما السلام» صفة الإمامة بطريقة تصلح لأن تكون إنشاءً منه لهذا المقام، ولاسيما مع إضافة كلمة «بعقبي»، فقال: «أنتما إمامان بعقبي».

وتصلح أيضاً لأن تكون تقريراً وتذكيراً بمضمون قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان، قاما أوقعدا».

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة».

وفي كلتا الحالتين يكون «عليه السلام» قد أبلغ مراده على أتم وجه، فإن نفس إلماح الكلام إلى معنيين، كل منهما يؤكد الآخر، ويعضده في مقام الدلالة على المراد، يجعل المعنى أكثر وضوحاً، ويزيده قوة ورسوخاً.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد صرح بعصمة ولديه، ليدل على شرطية هذا الأمر في إمامة الأمة، لأنه هو الذي يضمن للناس حياتهم، وأموالهم، وأعراضهم. ولأن الإمام هو الهادي، والمربي، فلو لم يكن معصوماً لاحتاج إلى من يهديه، ولوجب عليه اتباع ذلك الهادي، وقد قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[1].

---

(١) الآية ٣٥ سورة يونس.

رابعاً: إنه «عليه السلام» لم يقل: وأنتما معصومان، بل جاء بها مع الألف واللام، فقال: «المعصومان»، ليدل على أنه إنما يقرر أمراً ثابتاً لهما، سواء أقال ذلك، أم لم يقله. ولو قال: «أنتما معصومان» لتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» يخبر عن أمر اكتشفه هو، ولم يكن معروفاً للناس.

خامساً: يلاحظ: أنه «عليه السلام» تحدث عن إمامة الحسنين «عليهما السلام» لا عن خلافتهما، لأن الخلافة بمعنى الحاكمية والسلطة، شأن من شؤون الإمامة. أما الإمامة فهي أعظم شأناً من الخلافة، وأوسع نطاقاً من ناحية المسؤوليات المترتبة على الإمام.

سادساً: إنه «عليه السلام» قال: «أنتما إمامان بعقبي»، ولم يقل: «بعدي».

ولعل سبب ذلك: أنه لو قال: «بعدي»، فلربما توهم متوهم أنه «عليه السلام» هو الذي ينشئ لهما مقام الإمامة، وأن هذا المقام لهما يبدأ من لحظة موته «عليه السلام»..

مع أن المراد أنهما ستكون لهما الإمامة في وقت ما بعد وفاته، فإمامة الحسن تبدأ بعد استشهاد علي، وإمامة الحسين تبدأ بعد استشهاد الحسن.. فإمامتهما «عليهما السلام» لها وجود إنشائي فعلي، ولكن الوجود الفعلي للإمامة منفك عن الوجود الإنشائي حسبما بيّناه.. كما أن إمامتهما منشأة من الله ورسوله، فهما إمامان بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن علي «عليه السلام» هو الجاعل لهذا المقام لهما.

كما أن إمامتهما الإنشائية ثابتة، وحاصلة لهما منذ عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، لا أنها سوف تحدث بعد وفاة أبيهما. والذي يكون بعد وفاة

أبيهما هو فعلية الإمامة للحسن «عليه السلام». وفعلية الإمامة للحسين بعد استشهاد الحسن.

فكلمة «بعقبي» تدل على تراتبية التصدي العملي لمقام الإمامة، فعلي «عليه السلام» هو المتصدي له بالفعل، فإذا استشهد، فهما اللذان يتصديان له، مع حفظ التراتبية بينهما أيضاً، فالحسن «عليه السلام» أولاً، ثم الحسين «عليه السلام» بعده..

ولو كان نيل أصل مقام الإمامة، وكذلك التصدي الفعلي سيكون لهما بعده «عليه السلام»، فذلك يعني جعل حاكمين يتصديان للأمور في زمان واحد. وهذا مخالف لما جرت عليه الأمور في سياسة أهل البيت «عليهم السلام» في هذا الأمر بالذات.

بالإضافة إلى التوضيحات التي صدرت عنهم «عليهم السلام» للدلالة على أن الحسين «عليه السلام» سيكون ساكتاً، مسلماً لأخيه ما دام الحسن «عليه السلام» حياً.

سابعاً: إنه «عليه السلام» دعا لهما بالحفظ، فهو يعرف من خلال ما لديه من علم خاص، ومن خلال شهادة الوقائع المتلاحقة، ما سوف يتعرضان له من كيد، وما سيواجهانه من مرارات وأخطار، من أعداءٍ، لا يرقبون في أحد إلاً ولا ذمة، ولا يتورعون عن سفك الدماء، حتى دماء الأنبياء والأوصياء في سبيل الوصول إلى مآربهم، ونيل مراداتهم.

علي عليه السلام للحسين عليه السلام: علمت ما جهلوا:

كامل الزيارات: حدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: قال علي «عليه السلام» للحسين «عليه السلام»: يا أبا عبد الله أسوة أنت قدما.

فقال: جعلت فداك ما حالي؟!

قال: علمت ما جهلوا، وسينتفع عالم بما علم، يا بني إسمع وأبصر من قبل أن يأتيك، فوالذي نفسي بيده ليسفكن بنو أمية دمك، ثم لا يزيلونك عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربك.

فقال الحسين: والذي نفسي بيده، حسبي، أقررت بما أنزل الله، وأصدّق قول نبي الله، ولا أكذّب قول أبي(١).

ونقول:

أنت أسوة قدما:

الأسوة ـ بضمّ الهمزة، وتكسر أيضاً ـ: القدوة. أي أنه قد ثبت منذ

---

(١) كامل الزيارات ص٧١ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص١٤٩ و ١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٢ والعوالم ج١٧ ص١٥٢.

القدم: أنك ستكون قدوة وأسوة للأمة. هذا إذا قرئت: قِدْماً.

ويحتمل أن تقرأ: قُدُماً ـ بضمّتين ـ، ليكون المعنى: أنك في كل ما تفعله وفيما تقدم عليه من أيام حياتك ستكون أسوة للناس في المستقبل.

والظاهر: أن المراد أن استشهاده «عليه السلام» سيجعل منه قدوة في الجهاد، وأسوة في التضحية، والصبر، والاهتمام بشؤون الدين، وفي عبادته وصلاته، ومواقفه، وسلوكه، و في سائر المعاني التي أظهرتها كربلاء، وما ظهر منه قبل كربلاء.. فإن أهل الدين والإيمان سوف يبحثون في كل كبيرة وصغيرة عنه «عليه السلام»، ليتأسّوا به، وليسيروا على نهجه.

علمت ما جهلوا:

ولأن الكلمة التي أطلقها أمير المؤمنين «عليه السلام» تحتمل أكثر من معنى، كان لا بد من طلب تحديد المراد، لكي لا يستفيد المصطادون بالماء العكر من هذا الإبهام لإثارة الشبهات. فقد يشيعون أن المراد: أنه «عليه السلام» أسوة في الخير وفي الشر، وفي الحلو والمرّ.. فإن الأسوة قد تكون حسنة وقد لا تكون كذلك.

فجاء سؤال الإمام الحسين «عليه السلام» لأبيه: «جعلت فداك، ما حالي»؟! لكي يسمع الناس من أمير المؤمنين نفسه التوضيحَ لمقاصده، فلا يبقى مجال للتهمة في ذلك.

وقد أقام أمير المؤمنين «عليه السلام» جوابه مرتكزاً على أساس العلم والدراية، الذي يمثل المعيار والضمانة للتعريف بالحق، وكشف المبهمات، وحل المشكلات، بصورة صحيحة وقويمة.

كما أن العلم هو المرجعية لتصويب المسارات، لأية فئة تريد أن تتصالح مع عقلها ووجدانها وفطرتها، بالالتزام بما تفرضه الهداية العلمية، التي تتوافق مع الفطرة السليمة، وهدي العقول المستقيمة..

بنو أمية يسفكون دم الحسين عليه السلام:

وطبيعي: أن من يكون قائده هواه، وهو عبد لدنياه، فهو النقيض لمن يكون قائده علمه، وعقله، وفطرته، ودينه، وهو عبد لله سبحانه.

وسيعمل هذا النوع من الناس على إزالة الحسين «عليه السلام» عن دينه ونهجه، وعلى أن ينسيه ذكر ربه.. لأنه يريد أن لا يرى أحداً في الوجود يأمره وينهاه، ويحدد له مساره، ويتحكم بمسيره ومصيره. إنه يريد أن يكون هواه هو الحاكم والمتسلط، وهو الآمر الناهي..

فإن لم يمكن لهذا النوع من الناس فرض نظرته هذه على الآخرين فإنه سيحاربهم، ويقتلهم، حتى لو كانوا أنبياء أو أوصياء.

وهذا بالذات هو ما أخبر علي ولده الحسين «عليهما السلام» به. وهو ما أقرّ به الحسين وسلّم به، واعتبره من الوحي الإلهي الذي جاء به رسول الله، بالرغم من أن علياً «عليه السلام» لم يذكر ذلك في كلامه.

علي عليه السلام يسأل الحسين عليه السلام:

قيل: سأل أمير المؤمنين «عليه السلام» ابنه الحسين «عليه السلام»، فقال له: يا بني ما السؤدد؟!

قال: اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة.

قال: فما الغنى؟!

قال: قلة أمانيك، والرضا بما يكفيك.

قال: فما الفقر؟!

قال: الطمع، وشدة القنوط.

قال: فما اللؤم؟!

قال: إحراز المرء نفسه، وإسلامه عرسه.

قال: فما الخروق؟!

قال: معاداتك أميرك، ومن يقدر على ضرك ونفعك.

ثم التفت إلى الحارث الأعور، فقال: يا حارث، علموا أولادكم هذه الحكم، فإنها زيادة في العقل والحزم والرأي[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

الحكمة جزء من الدين أيضاً:

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**

---

(١) الدر النظيم للمشغري العاملي ص٥٣٢ و ٥٣٣ ومعاني الأخبار ص٤٠١ وبحار الأنوار ج٧٥ ص١٠٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٦٠.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(١).

دلت هذه الآية المباركة على أن من مهمات النبي «صلى الله عليه وآله» هو تعليم الناس الحكمة، وبيان وتلاوة الآيات عليهم، لأنها التي تزيد من يقينهم، وترسّخ اعتقاداتهم، وتزكية نفوسهم من كل رين وكدورة، ويعلّمهم الكتاب بما فيه من حقائق، وشرائع وأحكام، وعِبَر وعظات، ويعلّمهم الحكمة أيضاً..

الحكمة تحتاج إلى تعليم:

وقد دلت الآية المباركة المتقدمة على أن الحكمة تحتاج إلى تعليم، وليست في متناول أيدي الناس، كما قد يتوهم البعض، لأن الحكمة إذا كانت هي وضع الشيء في موضعه، فإن النجاح في هذا الأمر يحتاج إلى معرفة دقيقة وعميقة لأسرار الخلق، ولحقائق التكوين، ومدى تأثير أي قول أو فعل سلباً أو إيجاباً في تلك الحقائق.

ومن المعلوم: أن الإنسان عاجز عن إدراك حقيقة نفسه، فهل يعرف غيره؟!

ونذكّر القارئ الكريم بالقول الذي شاع وذاع، وطرق الكثير من الأسماع، وهو:

---

(١) الآية ٢ سورة الجمعة.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الممارسة العملية:

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ قبل أن يصدر أمره لكل الناس، من خلال الحارث الأعور الهمداني، حيث قال: علموا أولادكم هذه الحكم الخ.. ـ قد مارس عملياً هذا التعليم، من خلال أسئلة خمسة، وجهها إلى ولده، ليدل على أنه معنيّ جداً بأن يكون ولده عارفاً بالحكمة، وعالماً بكل ما يتصل بها..

وإذا كان هو وولده إمامين للأمة، فإن الأخذ منهما، وطاعة أمرهما، والتأسي والاقتداء بهما يكون طبيعياً..

فوائد الحكم:

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن للحِكَم فوائد جليلة وجميلة، فهي:

١ ـ زيادة في العقل.

٢ ـ زيادة في الحزم.

٣ ـ زيادة في الرأي.

فإذا كانت وظيفة العقل: هي الإدراك ونيل المعاني، فإذا ازداد قوة وفعالية في هذا المجال، فإنه سيكون خير معين للإنسان في هذه الحياة، وفي التمييز بين الأمور.

والحزم: الذي يعني القدرة على اتخاذ المواقف وحمايتها ومناصرتها بشدة وثبات، ومن دون تردد أو ضعف في مقام الإجراء، فإن الأمور معه تكون أقرب إلى الانتظام، وأحرى بها أن تكون محققة للأهداف، ومن موجبات

النجاح والفلاح.

مع لفت النظر إلى أن هذه الفقرة تعني أن للحكمة تأثيراً على المزاج الإنساني والحالة النفسية للأفراد.

وإذا انتهينا إلى الحديث عن الزيادة في الرأي: فذلك يشير إلى أن من الضروري أن يصبح الإنسان المؤمن ذا قدرة على الابتكار، وله فكر جوال وخلاق، لا يتجمد في محيط المعارف المتوفرة لديه، حتى كأنه غير قادر على توظيفها في الاستنباط والاستنتاج.

رأى الملائكة، فعمِيَ:

عن الباقر «صلوات الله عليه»، قال: «حدثني نجاد مولى أمير المؤمنين «صلوات الله عليه وآله»، قال: رأيت أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» يرمي نصالاً، ورأيت الملائكة تردّون (لعل الصحيح: تردّ أو يردّون) عليه أسهمه، فعميت، فذهبت إلى مولاي الحسين بن علي «صلوات الله عليهما»، فشكوت ذلك إليه.

فقال: لعلك رأيت الملائكة تردّ على أمير المؤمنين أسهمه؟!

فقلت: أجل.

فمسح بيده على عيني، فرجعت بصيراً بقوة الله تعالى»[١].

---

(١) الثاقب في المناقب ص٣٤٤ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٥٢ وج٣ ص٥١٤ و ٥١٥.

عمى نجاد لماذا؟!:

ونقول:

١ ـ قد تحدثنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب حين تحدثنا عن وضع الزهراء زغب جبرائيل في تمائم الحسنين «عليهما السلام» عما يقال، من أن من يرى جبرائيل يصاب بالعمى، وقلنا: إنه موضع ريب، بسبب وجود موارد كثيرة رأى الناس فيها ـ كما يدعى ـ جبرائيل والملائكة، ولم يصابوا بالعمى، فراجع ما ذكرناه هناك.

وهذه الرواية تقول: إن نجاد قد عمي لرؤيته الملائكة.

وذكرنا هناك أيضاً: أن ما يزعم من أن جبرائيل كان يتمثل بصورة دحية الكلبي، يحتاج إلى تحقيق وتمحيص، لوجود ما يوجب الريب في تمثل جبرائيل في صورته..

ومهما يكن من أمر، فإنهم ذكروا نصوصاً عديدة تدل على رؤية بعض الأشخاص لجبرائيل في صورة دحية، ومنهم عائشة، ولم يصابوا بالعمى..

ومما يدل على أن رؤية جبرائيل في صورة دحية لا توجب العمى قول النبي «صلى الله عليه وآله» فيما روي عنه: إذا رأيتم دحية عندي فلا يدخلن عليَّ أحد[١].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٧ ص٣٢٦ وج٢٦ ص٥٠٩ واليقين لابن طاووس ص٣٨٤ و

فإن رؤيته عنده إذا كانت توجب العمى، فإن ذلك يكفي رادعاً له عن الاقتراب من ذلك المكان، من دون حاجة إلى النهي عن الدخول.

من أجل ذلك نقول ـ وإن كان هذا الاحتمال بعيداً أيضاً ـ: لعل حديث: ما رآه أحد إلا ذهب بصره إلا أن يكون نبياً(١)، يراد به طمسها مؤقتاً لمنع الرائي من مواصلة النظر، فيكون نوعاً من إلقاء الحجاب على العين.

٢ ـ إن ما ذكرناه آنفاً لا يعني أننا نزعم أن عمى نجاد لرؤيته الملائكة لم يحدث.. فلعله قد حدث بالفعل، وذلك:

أولاً: لإشغال نجاد بنفسه، ولينصرف عن متابعة ما يجري، وليزيد إيمانه من خلال ظهور هذه الكرامة لأمير المؤمنين «عليه السلام» في نفس نجاد.

ثانياً: لكي يرى هذه الكرامة الإلهية للإمام الحسين «عليه السلام»، ويكون هذا الحدث في جملة مدخراته الإيمانية، التي تصونه من فتكات الشبهات، ومن عوادي المغريات.

رمي السهام لماذا؟!:

ومن الطبيعي أن يسأل سائل عن سبب رمي علي «عليه السلام» تلك

---

٣٨٥ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٦٤.

(١) تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٣٥ وقاموس الرجال ج٦ ص٥٠ عنه، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص١٧١.

السهام، هل كان يرميها على هدف، أو بلا هدف؟!

وفي مقام الجواب نقول:

أولاً: إن الرمي العشوائي للسهام ـ لو كان ـ فلا يحتاج إلى الملائكة لترد السهام عليه.

ثانياً: إن العمل العبثي لا يصدر عن عاقل، فما بالك بالإمام المعصوم؟! وإن كان «عليه السلام» يرمي بسهامه على هدف، فما هو ذلك الهدف؟!

ثالثاً: فيما يرتبط بالهدف، فإن عدم معرفتنا به لا تضر، ما دمنا ملتزمين بالقاعدة القاضية بنفي العبث عن الإمام، ومع ذلك نقول: لعله كان يحارب مردة الجن وعتاتهم.

وقد ورد في الروايات: أنه «عليه السلام» قد حارب الجن بالفعل[(١)].

وقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «..وهذا الحديث روته العامة، كما روته الخاصة، ولم يتناكروا شيئاً منه»[(٢)].

وقد قال بعض الأخوة:

---

(١) بحار الأنوار ج١٨ ص٨٤ ـ ٨٨ وج٣٩ ص١٤٨ ـ ١٨٨ وج٤١ ص٧٠ وج٦٠ ص٨٧.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٣٤١ ومدينة المعاجز ج٢ ص٦٦ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١٧٧ وج٦٠ ص٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١١٨.

«قد يكون أمير المؤمنين في مقام التدرّب والتمرّن على رمي السهام.

أو في مقام تطبيق بعض مهارات الرمي ليتعلمها منه الناس، وكانت الملائكة تأتيه بالسهام ليرميها مجدداً.»

لكننا نرى أنه «عليه السلام لا يحتاج إلى التدريب، ولا إلى تطبيق المهارات، فإن حسن التقدير، والضبط والسيطرة، وسلامة واعتدال تكوينه يغنيه عن ذلك..

هذان ابنا الرسول، وهذا ابني:

وذكروا: أن ابن الأصفر بعث إلى معاوية بمسائل عجز عن الإجابة عنها، فأرسلها مع رجل إلى علي «عليه السلام»، ليجيب عنها دون أن يعلم بأنها من قبل معاوية.

وكان ابن الأصفر قد وعد معاوية بأنه إن أجاب عنها فسيتبعه، ويرسل إليه بالجائزة.

ولكن علياً «عليه السلام» سرعان ما كشف أمر الرسول، وقرره، فأقر له بما جاء له، فقال «عليه السلام»: عليَّ بالحسن والحسين، ومحمد، فأحضروا.

فقال: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت.

فقال: اسأل ذا الوفرة يعني: الحسن «عليه السلام».

فقال له الحسن «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟!.. إلى آخر الرواية..

(ونريد أن نكتفي بهذا القدر من الرواية)

فسأله الشامي عما أراد، وأجابه «عليه السلام»..

فأخذ الشامي الأجوبة إلى معاوية، وأرسلها معاوية إلى ابن الأصفر.

فكتب إليه ابن الأصفر:

«يا معاوية لِمَ تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا من معدن النبوة، وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك»(١).

ونقول:

١ ـ إن طمع معاوية بحفظ هيبته، وبأن يتبعه ابن الأصفر، ويهدي له الجوائز والأموال هو السبب في بحثه عن أجوبة المسائل التي بعث بها إليه..

٢ ـ إننا لا نريد شرح مداليل الرواية، ولا استيعاب الكلام حول ما جرى، بل نريد أن نبرز ما يرتبط منها بالإمام الحسين «عليه السلام»، لأن

---

(١) الخصال ص٤٤٠ وروضة الواعظين ص٤٥ ـ ٤٦ والإحتجاج ج١ ص٣٩٨ ـ ٤٠١ والثاقب في المناقب ص٣١٩ ـ ٣٢٠ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٧٢ ـ ٥٧٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٥٥ ـ ٣٥٨ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٩ ـ ١٣١ وج٣٣ ص٢٣٨ ـ ٢٤٠ وج٤٣ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٦٦ وتحف العقول ص١٦٠ ـ ١٦٢ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٢٢٨ ـ ٢٣٠ ومسند محمد بن قيس البجلي (تحقيق بشير المازندراني) ص١٣٤ ـ ١٣٦ وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» ص٢٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٩٠ و ٥٠٨.

هذا هو موضوع هذا الكتاب.

ابن الحنفية يجيب أيضاً:

وقد رأينا في النص المتقدم للرواية:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» قد ضمن لذلك الشامي: أن يسمع الجواب من أي واحد يختاره من أبنائه الثلاثة.

وهذه شهادة عظيمة منه «عليه السلام» لولده محمد، بالإضافة إلى أخويه الحسن والحسين «عليهما السلام». وهي تدل على رسوخ قدم ابن الحنفية في العلم الذي تعلمه من أبيه بالدرجة الأولى.

وفي بعض الروايات: أنه طالب الحسنين «عليهما السلام» بميراثه من علم أبيه، فدفعا إليه صحيفة، ولو أعطياه أكثر منها لهلك[(١)].

وفي رواية: أن الصحيفة أقل من شبر، أو أكبر من أربع أصابع[(٢)].

٢ ـ إن علياً «عليه السلام» هو الذي طلب حضور ولده محمد «رضوان الله تعالى عليه»، ولم يكن حضوره اتفاقياً..

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» كان من أول الأمر بصدد إظهار وإشهار

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٧ ص١٤٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٠٣ والكنى والألقاب ج١ ص١٧٦ و ١٧٧ وإثبات الهداة ج٥ ص٤٣.

(٢) بصائر الدرجات ص١٨٠ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٧٧.

فضل محمد «رضوان الله تعالى عليه». إذ لا معنى لطلب حضوره لولا ذلك، لأننا لم نجد له أي فعل أو رد فعل، سوى هذا الذي ذكرناه.

٣ ـ يؤكد ذلك: أن علياً «عليه السلام» حين نسبه إلى نفسه، لم يكن المقصود هو نسبة البنوة والأبوة الحقيقية، فإن أحداً لا يشك في بنوته الحقيقية له.

بل المراد هو إظهار الاعتزاز به، والثناء عليه، بأنه قد ورث من علمه، ومن صفاته وحالاته.. ولكن ليس بالضرورة أن يكون في مستوى الحسنين «عليهما السلام»، وليس له مقام العصمة، لأنه لا يجب في جميع أولاده أن يكونوا أئمة، ليكون لهم مقام العصمة والولاية.

٤ ـ ويبدو لنا: أن المراد ببنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هو وراثة علم النبوة، ومقام الإمامة، وصفاتها، وميزاتها، فقد عرفنا: أن علياً «عليه السلام» يقول: لو عاش إبراهيم لكان نبياً(١). والحسنان،

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٥٨ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ ص٥٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٠٩ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٤٧ ومسند أحمد ج٣ ص١٣٣ وفتح الباري ج١٠ ص٤٧٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١١٥ والجامع الصغير ج٢ ص٤٣٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٤٦٩ و ٤٧٠ وج١٢ ص٤٥٥ وكشف الخفاء ج٢ ص١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٦٠ وتفسير فرات الكوفي ص٥٨٦ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٧٢٠ وتفسير كنز الدقائق ج١٤ ص٣٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩

وإن لم يكونا من الأنبياء، ولكنهما يملكان سماتهم، وصفاتهم، وعلمهم، وعصمتهم.

فهما ابنا الرسول ولادةً بواسطة الزهراء «عليها السلام»، وهما ابناه الوارثان لعلمه، وخصائصه، ولهما مقاماته وصلاحياته من بعده، وهما شاهدان على الأمة، وتنتقل إليهما بعد أبيهما جميع الشؤون والميزات، والصلاحيات التي كانت له «صلى الله عليه وآله»، إلا ما استثني بصورة صريحة، واختص به «صلى الله عليه وآله» دون الخلق أجمعين، مثل جواز التزويج بأكثر من أربع نساء، ومثل درجة النبوة، ونحو ذلك.

وقد قال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير، وإنك لعلى خير»[(١)].

والإصابة ج١ ص٣١٩ و ٣٢٠ وأسد الغابة ج١ ص٤٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٤٠ والمحاضرات والمحاورات ص٣٠٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٢ و ٦١٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٥ و ٢٦ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٣٢ وينابيع المودة ج٢ ص٥٢ و ٨٠ و ١٠٠ وغاية المرام ج٣ ص٣٠١ وذخائر العقبى ص١٥٦.

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣٧ ـ ١٦٠ (الخطبة القاصعة) رقم ١٩٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٨ والطرائف لابن طاووس ص٤١٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٢٠ والصراط

٥ ـ يلاحظ هنا: أن الشامي هو الذي اختار الإمام الحسن «عليه السلام»، ربما لتوهمه أنه هو الأحرى بالإجابة على ما يريد، من حيث أنه يحتمل أنه هو الأكبر سناً من الإمام الحسين، فضلاً عن محمد بن الحنفية.

٦ ـ قد يقال: إن هذه القضية لا تتناسب مع ما يقال حول عمر وتاريخ ولادة ابن الحنفية، فعلى بعض الأقوال لم يكن قد ولد أصلاً.

ونجيب:

أولاً: إن النص يصرح: بأن رسول معاوية قد لقي علياً «عليه السلام» وهو في رحبة الكوفة، والناس متراكمون، فمن بين مستفتٍ، ومن بين مستعْدٍ.

ومعنى هذا: أن الأمر قد حصل في خلافة علي «عليه السلام»، وكان ابن الحنفية رجلاً كاملاً، وقد حمل الراية يوم الجمل، وقاتل.

ثانياً: ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»: أن هناك من يقول: إن ابن الحنفية «رحمه الله» قد ولد في زمن الرسول «صلى الله

المستقيم ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٦ وج١٨ ص٢٢٣ وج٣٨ ص٣٢٠ وج٦٠ ص٢٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٦٨ والغدير ج٣ ص٢٤٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٤٠٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠٧ ونهج السعادة ج٧ ص٣٣ و ١٤٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٩٧ وخصائص الوحي المبين ص٢٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٣٢ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٩.

عليه وآله». ولذلك شواهد.

وهناك شواهد تقول: إنه ولد في أول خلافة أبي بكر بعد استشهاد فاطمة «عليها السلام»، فحتى لو أخذنا بهذا القول المؤيد بالشواهد، فإن صغر سن ابن الحنفية «رحمه الله» لا يمنع الشامي من سؤاله، ومن أن يضعه أبوه في موقع المسؤول. ما دام واثقاً من أنه سيكون قادراً على الإجابة، ولو كان في عمر سنة ونصف، أو سنتين، أو أكثر..

لا شفاعة في حد:

ورد: أن علياً «عليه السلام» أخذ رجلاً من بني أسد في حد وجب عليه ليقيمه عليه، فذهب بنو أسد إلى الحسين بن علي «عليهما السلام» يستشفعون به، ويتوسطون، فأبى عليهم الحسين.

فانطلقوا إلى أبيه علي «عليه السلام» فسألوه، فقال: «لا تسألوني شيئاً أملكه إلا أعطيتكموه»!

فخرجوا مسرورين، فمروا بالحسين «عليه السلام»، فأخبروه بما قال، فقال «عليه السلام»: «إن كان لكم بصاحبكم حاجة، فانصرفوا، فلعل أمره قد قضى».

فانصرفوا إليه، فوجدوه «عليه السلام» قد أقام عليه الحد، قالوا: ألم تعدنا يا أمير المؤمنين؟!

قال: «لقد وعدتكم بما أملكه، وهذا شيء لله لست أملكه»[1].

---

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص٤٤٣ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص٢٩٦

ونقول:

لا حاجة إلى التذكير بأن امتناع الإمام الحسين «عليه السلام» من الشفاعة في ذلك الأسدي منسجم مع قواعد الشرع الشريف، الذي يقول: لا شفاعة في حدّ.

لأن الحدود إنما تقام لأن المعصية التي ارتكبت كانت جرأة على الله سبحانه، وتعدياً وانتهاكاً للحرمة الإلهية، فلا مجال للإعفاء من العقوبة إلا إذا جاء العفو من قبل الله تعالى.. وهذا يعني: أن بني أسد قد طلبوا من الإمام الحسين «عليه السلام» أن يطلب من أبيه أن لا يطيع الأمر الإلهي بمعاقبة من تجرأ عليه سبحانه، وهتك حرمته. وهو طلب غير منطقي ولا معقول.

علي يسأل ولديه:

سأل أمير المؤمنين «عليه السلام» الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال لهما: ما بين الإيمان واليقين؟!

فسكتا، فقال للحسن «عليه السلام»: أجب يا أبا محمد!

ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢٤ ومسند الإمام علي «عليه السلام» ج٦ ص٢٠٢ وموسوعة كلمات الإمام الحسين ص٨٨١ وميزان الحكمة ج١ ص٥٥٦.

وقد ورد ذلك عن الإمام الحسن «عليه السلام» فراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٠٨ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩ وج٧٦ ص٩٩ والتذكرة الحمدونية ج٨ ص٣٠٩ وموسوعة كلمات الإمام الحسن «عليه السلام» ص٣١٦.

قال: بينهما شبر.

قال: وكيف ذاك؟!

قال: لأن الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما أبصرناه بأعيننا، واستدللنا به على ما غاب عنا[1].

ونقول:

١ ـ إن الإمام يريد أن يري الناس ما لدى الحسن والحسين «عليهما السلام» من علوم، فإنهما كانا لا يتكلمان بحضرة والدهما، وكان هو «عليه السلام» الذي يجيب على أسئلة السائلين، ويرشد الجاهلين، فكان إظهار علمهما للناس مما يحتاجه الناس أنفسهم، لكي لا يدخل في وهم أحد أن الحسن والحسين كسائر الشباب الذين رأوا رسول الله في حال الصغر، وكم يمكن للصغير أن يتعلم من الكبير.

٢ ـ إن السؤال الذي وجهه «عليه السلام» إلى ولديه لم يكن سؤالاً عادياً، بل هو في غاية الإبهام والغموض، والإجابة عليه ليست سهلة. فإنه لا يخطر على بال أحد أن يفكر بالفرق بين الإيمان واليقين، ويعد له جواباً.

٣ ـ إن سكوت الحسين «عليه السلام» هنا عن الجواب لم يكن عن عيّ، وإنما هو لا يتقدم على أخيه الإمام الحسن «عليه السلام» الذي كان أكبر منه

---

(١) مشكاة الأنوار للطبرسي ص٤٨ وبحار الأنوار ج٦٧ ص١٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٩٩ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٧١٤.

سناً. ولو أنه بادر إلى الجواب ـ ونحن نعلم أنه لا يمكن أن يفعل ذلك، وهو مطهر معصوم ـ لما كان أبوه راضياً منه، ولربما زجره عن ذلك، وألزمه بمراعاة الأدب مع أخيه..

٤ ـ إن ما يسمع بالآذان، قد يكون حقاً، وقد يكون باطلاً، فلا بد من تحصيل قرائن ودلائل على الصدق، وهي في الغالب لا تحقق اليقين بالواقع، بل قرائن ظنية يعضد بعضها بعضاً، ويسلم ويصدق، ويؤمن بها دون أن يتمكن من طرد الإحتمالات التي تعارض المضمون الذي استسلم له، فقوام الخبر على هذا التسليم، والقبول، والإيمان..

أما اليقين، فملاكه المشاهدة والمعاينة المثبتة لنفسه، ليكون كاشفاً عن غيره. فمن يرى ناراً، يعرف أن هناك من أوقدها، ومن يرى خياماً يعرف أن ثمة من نصبها.

٥ ـ ثم إن هذا المضمون، والسؤال والجواب، مروي في كثير من المصادر، وأكثرها تنسبه إلى الإمام الحسن «عليه السلام». فراجع[1].

---

(١) راجع: العقد الفريد ج٦ ص٢٦٨ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٨٤ وج٤٣ ص٣٥٧ وج٦٧ ص١٨٢ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص ١٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٧ وذخائر العقبى ص١٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٨٢ وراجع: كفاية الأثر ص٢٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص ٤١٤ وغاية المرام ج١ ص٢٦٦ ونهج السعادة ج٣ ص١٢٤ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٤٨ ومصادر نهج البلاغة وأسانيده ج٢ ص٣١٢.

الفصل الثالث:

علي والحسين عليهما السلام.. والدعاء..

دعاء العشرات:

عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إن عندنا ما نكتمه، ولا نعلمه غيرنا، أشهد على أبي أنه حدثني عن أبيه، عن جده، قال: قال لي علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يا بني، إنه لا بد من أن تمضي مقادير الله وأحكامه على ما أحب وقضى، وسينفذ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك، فعاهدني أن لا تلفظ بكلام أسره إليك حتى أموت، وبعد موتي باثني عشر شهراً.

وأخبرك بخبر أصله عن الله تقول غدوة وعشية، فيشتغل به ألف ألف ملك، يعطى كل منهم قوة ألف ألف كاتب في سرعة الكتابة، ويوكل بالاستغفار لك ألف ألف ملك، يعطى كل ملك مستغفر قوة ألف ألف متكلم في سرعة الكلام.

ويبنى لك في دار السلام ألف ألف بيت في مائة قصر، يكون فيه من جيران أهله، ويبنى لك في الفردوس ألف بيت في مائة قصر يكون لك جار جدك، ويبنى لك في جنات عدن ألف ألف مدينة.

ويحشر معك في قبرك كتاب يقول: ها أنا لا سبيل عليك للفزع، ولا للخوف، ولا لزلازل الصراط، ولا لعذاب النار، ولا تدعو بدعوة فتحب أن تجاب في يومك، فيمسي عليك يومك إلا أتاك كائنة ما كانت، بالغة ما بلغت، في أي نحو كانت.

ولا تموت إلا شهيداً.

وتحيا ما حييت وأنت سعيد.

ولا يصيبك فقر أبداً، ولا جنون ولا بلوى.

ويكتب لك في كل يوم بعدد الثقلين كل نفس ألف ألف حسنة، ويمحى عنك ألف ألف سيئة، ويرفع لك ألف ألف درجة، ويستغفر لك العرش والكرسي حتى تقف بين يدي الله عز وجل.

ولا تطلب لأحد حاجة إلا قضاها، ولا تطلب إلى الله حاجة لك ولغيرك إلى آخر الدهر في دنياك وآخرتك إلا قضاها، فعاهدني كما أذكره لك.

فقال له الحسين «صلوات الله عليه»: عاهدني يا أبه على ما أحببت.

قال: أعاهدك على أن تكتم علي، فإذا بلغ محل منيتك فلا تعلمه أحداً سوانا أهل البيت، أو شيعتنا، أو أولياءنا وموالينا، فإنك أنت إن فعلت ذلك طلب الناس إلى ربهم الحوائج في كل نحو فقضاها، فأنا أحب أن يتم الله بكم أهل البيت بما علمني ما أعلمك ما أنتم فيه تحشرون، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

فعاهد الحسين علياً «صلوات الله عليه» على ذلك، ثم قال: إذا أردت إن شاء الله ذلك فقل هذا الدعاء: [...](١).

---

(١) مهج الدعوات ص١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٨ ـ ١٩١ وراجع: ص٢٧٩ ـ ٢٨٥ و (ط كتابخانه سنائي) ص١٤٥ وبحار الأنوار ج٩٢ ص٤٠٨ ـ ٤٠٩ و ٤١٢ ـ ٤١٥ وراجع ج٨٧ ص٧٣ ـ ٧٨. وراجع: جمال الأسبوع لابن طاووس ص٢٨٠.

وذكر الدعاء المعروف بدعاء العشرات.

ونقول:

لماذا العهد؟!:

إن هذا التشديد في هذا الأمر على الإمام الحسين «عليه السلام»، وإصرار أبيه عليه بأن يعاهده على عدم إعطاء الدعاء لغير أهل البيت وشيعتهم، ليس للتأكد من أنه «عليه السلام» سوف يلتزم بهذا الأمر، لأن الحسين لا يخلّ بوعده، فهل يخلّ بعهده؟! بل لكي يعرف الناس قيمة ما ادخره أئمتهم لهم من كنوز لا تقدر بثمن..

ولكي لا تقع هذه الجواهر الثمينة في أيدي غير أهلها.

وسياسة كتمان العلم عن غير أهله سياسة حكيمة وسليمة، لأن من ليس أهلاً للعلم سيكون سبباً في إهماله وتضييعه، وربما عمل على تشويهه، أو وظّفه في خدمة شهواته، وأهوائه، وفي إشاعة المنكر، وتقوية الباطل وإشاعته، وتأييده.

ولأجل ذلك تجد النهي عن تمكين الجهال من الحكمة، ففي وصية الإمام الكاظم «عليه السلام» لهشام: «يا هشام، لا تمنحوا الجهال الحِكَمَ فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[1].

---

(١) تحف العقول ص٣٨٩ وبحار الأنوار ج١ ص١٤٠ وج٧٥ ص٣٠٣ وج٧٤ ص١٧٩ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٤ وأعيان الشيعة ج٢ ص١٠.

وقريب من ذلك روي عن عيسى «عليه السلام»(١).

وعن علي «عليه السلام»: «إن الحكماء ضيعوا الحكمة لما وضعوها في غير أهلها»(٢).

تحديد مدة الكتمان:

قد يفهم من سياق الرواية المتقدمة: أن الكتمان الحسيني للسر الذي أعلمه به أبوه، هو فيما يبدو سر خاص بالإمام الحسين «عليه السلام»، ولعله يرتبط بخصوصيات تتعلق بقضاء الله وحكمه فيه في نفسه، وما يجري عليه.

وهذا السر هو الذي يجب أن يبقى مخفياً إلى ما بعد استشهاد الإمام علي «عليه السلام» باثني عشر شهراً.

---

(١) الكافي ج١ ص٤٢ والأمالي للصدوق ص٣٨٢ و ٥٠٧ ومعاني الأخبار ص١٩٦ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٤٠٠ وروضة الواعظين ص٤٦٦ وبحار الأنوار ج٢ ص٦٦ و ٧٨ وج١٤ ص٢٨٦ وج٦٩ ص٢٠٤ وج٧٤ ص١٢٤ و ١٢٨ ومستطرفات السرائر ص٦٢٣ وفي (موسوعة إبن إدريس الحلي) ص٢٢١ وروضة المتقين ج١٢ ص١٠٨ و ١٦٧ والوافي ج١ ص١٨٧ وج٢٦ ص١٦١ ومنية المريد ص١٨٤.

(٢) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٤٥ وقصص الأنبياء للراوندي ص١٦٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٥ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٣٠٢.

أما ما سوف ينشأ من الاستفادة من دعاء العشرات وما يترتب عليه من آثار عظيمة، وفوائد جليلة، فهو مرهون بكتمان الإمام الحسين «عليه السلام» هذا الدعاء عن غير أهل البيت وشيعتهم، فإن فعل «عليه السلام» ذلك، تحقق الأثر المطلوب لهذا الدعاء على من يدعو به.

للإمام الحسين عليه السلام خصوصيته:

وقد خص علي «عليه السلام» ولده الإمام الحسين «عليه السلام» بهذا الدعاء، ربما لأنه «عليه السلام» عبرة كل مؤمن ومؤمنة، والناس، كل الناس يتأثرون بشدة بما جرى عليه من مصائب، وبلايا، وآلام ورزايا، وتثور مشاعرهم، وتلين وتخشع قلوبهم في ذكراه، وهم يحنون لكل ما له ارتباط به، فإذا وجدوا للدعاء ارتباطاً به «عليه السلام»، فإن ذلك يزيدهم إخلاصاً وخشوعاً، وإقبالاً على الله تعالى وانقطاعاً إليه، وطلباً للحوائج منه.. فتتهيّأ الأسباب لاستجابته تعالى لهذا العبد الداعي بحرقة، وإخلاص وخشوع، تعبر عنه الزفرات والدموع.

الآثار العظيمة والهائلة للدعاء:

١ ـ ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» لدعاء العشرات هذا آثاراً عظيمة، وهائلة، لم تكن لتخطر على قلب بشر. فقد يروق للبعض أن يسارع إلى تكذيب أمثال هذه الروايات، ويرى أنها من قبيل الخيال، أو الأحلام، أو من قبيل حديث خرافة..

ولكننا نقول:

إن الذين ينكرون هذه الأمور إنما يقيسونها على واقعهم الدنيوي، المحدود في قدراته وطاقاته، والمحاصر بالموانع والحجب، مع أنها ليست لهذه الدنيا، بل هي لعالم آخر، تتساقط فيه الحجب، وتزول الموانع، وتتحطم القيود، وينطلق المحدود من قيوده، ويتطور هذا الإنسان ويتغير ليشاكل هذا العالم الجديد في طاقاته، وقدراته وإمكاناته، ليهيمن على ما أعده له في عالمه الجديد من موقع المختار القادر..

٢ ـ وقد يستفاد مما تقدم: أن الاستفادة من هذا الكم الهائل، بكل ما له من تكثر وامتداد وتنوع أمر ممكن وميسور، وهو عين الحقيقة أيضاً، ويتم ذلك بالاستفادة من نفس هذه الأدوات والجوارح الدنيوية بعد إصلاحها، وإزالة كل ما علق بها، وشحذها وشحنها بالطاقات المناسبة لذلك العالم، لتصبح الاستفادة من كل ما أعده الله تعالى لهذا الإنسان في ذلك العالم من نعم مهما عظمت، وكثرت، واتسعت، وتنوعت، أمراً طبيعياً وعادياً..

دعاء المشلول:

روي عن جماعة يسندون الحديث إلى الحسين بن علي «عليهما السلام» قال:

كنت مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الطواف في ليلة ديجوجيّة، قليلة النور، وقد خلا الطواف، ونام الزوار، وهدأت العيون، إذ سمع مستغيثاً، مستجيراً، مترحماً، بصوت حزين، من قلب موجع، وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... يدعو وعينك يا قيوم لم تنم

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي — يا من أشار إليه الخلق في الحرم

إن كان عفوك لا يلقاه ذو سرف — فمن يجود على العاصين بالنعم؟

قال الحسين بن علي «صلوات الله عليهما»: فقال لي أبي: يا أبا عبد الله، أسمعت المنادي لذنبه المستغيث ربه؟!

فقلت: نعم قد سمعته.

فقال: اعتبره، عسى أن تراه.

فما زلت أخبط في طخياء الظلام، وأتخلل بين النيام، فلما صرت بين الركن والمقام، بدا لي شخص منتصب، فتأملته فإذا هو قائم، فقلت: السلام عليك أيها العبد المقر، المستقيل، المستغفر المستجير، أجب بالله ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأسرع في سجوده وقعوده وسلم، فلم يتكلم حتى أشار بيده بأن: تقدمني.

فتقدمته، فأتيت به أمير المؤمنين، فقلت: دونك ها هو.

فنظر إليه، فإذا هو شاب حسن الوجه، نقي الثياب، فقال له: ممن الرجل؟!

فقال له: من بعض العرب.

فقال له: ما حالك؟! وممَّ بكاؤك واستغاثتك؟!

فقال: ما حال من أخذ بالعقوق فهو في ضيق ارتهنه المصاب، وغمره الاكتئاب، فإن تاب فدعاؤه لا يستجاب.

فقال له علي «عليه السلام»: ولم ذاك؟!

فقال: إني كنت ملتهياً في العرب باللعب والطرب، أديم العصيان في

رجب وشعبان، وما أراقب الرحمن، وكان لي والد شفيق رفيق، يحذرني مصارع الحدثان، ويخوفني العقاب بالنيران، ويقول: كم ضج منك النهار والظلام، والليالي والأيام، والشهور والأعوام، والملائكة الكرام.

وكان إذا ألح علي بالوعظ زجرته وانتهرته، ووثبت عليه وضربته، فعمدت يوماً إلى شيء من الورق، وكانت في الخباء، فذهبت لآخذها وأصرفها فيما كنت عليه فمانعني عن أخذها، فأوجعته ضرباً، ولويت يده، وأخذتها ومضيت.

فأومأ بيده إلى ركبته يريد النهوض من مكانه ذلك فلم يطق يحركها من شدة الوجع والألم، فأنشأ يقول:

جرت رحم بيني وبين منازل	**سواء كما يستنزل القطر طالبه**
وربيت حتى صار جلداً شمردلاً	**إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه**
وقد كنت أؤتيه من الزاد في الصبا	**إذا جاع منه صفوه وأطائبه**
فلما استوى في عنفوان شبابه	**وأصبح كالرمح الرديني خاطبه**
تهضمني مالي كذا ولوى يدي	**لوى يده الله الذي هو غالبه**

ثم حلف بالله ليقدمن إلى بيت الله الحرام فيستعدي الله علي.

قال: فصام أسابيع، وصلى ركعات، ودعا وخرج متوجهاً على عيرانه، يقطع بالسير عرض الفلاة، ويطوي الأودية، ويعلو الجبال، حتى قدم مكة يوم الحج الأكبر، فنزل عن راحلته، وأقبل إلى بيت الله الحرام، فسعى

وطاف به، وتعلق بأستاره، وابتهل بدعائه، وأنشأ يقول:

يا من إليه أتى الحجاج بالجهد فوق المهاوي من أقصى غاية البعد

إني أتيتك يا من لا يخيب من يدعوه مبتهلا بالواحد الصمد

هذا منازل من يرتاع من عققي فخذ بحقي يا جبار من ولدي

حتى تشل بعون منك جانبه يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالذي سمك السماء، وأنبع الماء، ما استتم دعاءه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن يمينه، فإذا بجانبه قد شل، فأنا منذ ثلاث سنين أطلب إليه أن يدعو لي في الموضع الذي دعا به عليّ فلم يجبني، حتى إذا كان العام أنعم عليّ، فخرجت به على ناقة عشراء أجد السير حثيثاً رجاء العافية، حتى إذا كنا على الأراك، وحطمة وادي السياك، نفر طائر في الليل، فنفرت منها الناقة التي كان عليها، فألقته إلى قرار الوادي، وارفض بين الحجرين، فقبرته هناك، وأعظم من ذلك: إني لا أعرف إلا المأخوذ بدعوة أبيه.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أتاك الغوث، أتاك الغوث، ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفيه اسم الله الأكبر الأعظم الأكرم الذي يجيب به من دعاه، ويعطي به من سأله، ويفرج به الهم، ويكشف به الكرب، ويذهب به الغم، ويبرئ به السقم، ويجبر به الكسير، ويغني به الفقير، ويقضي به الدين، ويرد به العين، ويغفر به الذنوب، ويستر به العيوب، ويؤمن به كل خائف من شيطان مريد وجبار عنيد.

ولو دعا به طائع لله على جبل لزال من مكانه، أو على ميت لأحياه الله بعد

موته، ولو دعا به على الماء لمشى عليه بعد أن لا يدخله العجب؟!

فاتق الله أيها الرجل، فقد أدركتني الرحمة لك، وليعلم الله منك صدق النية، إنك لا تدعو به في معصيته، ولا تفيده إلا الثقة في دينك، فإن أخلصت النية استجاب الله لك، ورأيت نبيك محمداً «صلى الله عليه وآله» في منامك يبشرك بالجنة والإجابة.

قال الحسين «عليه السلام»: فكان سروري بفائدة الدعاء أشد من سرور الرجل بعافيته، وما نزل به، لأنني لم أكن سمعته منه، ولا عرفت هذا الدعاء قبل ذلك.

ثم قال: ائتني بدواة وبياض، واكتب ما أمليه عليك، ففعلت، وهو:

اللهم إني أسألك باسمك، بسم الله الرحمن الرحيم، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا حي لا إله إلا أنت [...].

ثم قال: وتسأل الله تعالى ما أحببت، وتسمي حاجتك، ولا تدع به إلا وأنت طاهر.

ثم قال للفتى: إذا كانت الليلة العاشرة فادع به عشر مرات وائتني من غد بالخبر.

قال الحسين بن علي «عليهما السلام»: وأخذ الفتى الكتاب ومضى، فلما كان من غد ما أصبحنا حيناً حتى أتى الفتى إلينا سليما معافى، والكتاب بيده وهو يقول: هذا والله الاسم الأعظم، استجيب لي ورب الكعبة.

قال له علي «صلوات الله عليه»: حدثني.

قال: لما هدأت العيون بالرقاد، واستحلك جلباب الليل رفعت يدي

بالكتاب، ودعوت الله بحقه مراراً، فأجبت في الثانية: حسبك فقد دعوت الله باسمه الأعظم.

ثم اضطجعت فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في منامي وقد مسح يده الشريفة علي وهو يقول: احتفظ باسم الله الأعظم العظيم، فإنك على خير، فانتبهت معافى كما ترى فجزاك الله خيراً(١).

ونقول:

لقد لفت نظرنا ما يلي:

تكنية علي عليه السلام لولده:

إن أول ما يطالعنا في النص المتقدم تكنية الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده في خطابه له، حيث قال له: يا أبا عبد الله، أسمعت المنادي الخ..

وهذا يدل على إعزازه واحترامه، كما هو ظاهر.

اهتمام علي عليه السلام بأصحاب الحاجات:

وقد أظهر هذا النص أيضاً مدى اهتمام أمير المؤمنين «عليه السلام» بإغاثة الملهوفين، وحل مشكلات المؤمنين، ومساعدة من يحتاج إلى المساعدة،

---

(١) مهج الدعوات ص١٩١ ـ ١٩٨ و (ط كتابخانه سنائي) ص١٤٩ ـ ١٥٧ وبحار الأنوار ج٩٢ ص٣٩٤ ـ ٤٠٢ والمصباح للكفعمي ص٢٦٠ ـ ٢٦٤.

حتى إنه يرسل ولده ليبحث عن ذلك الشاكي إلى الله، ليجده بين الركن والمقام، ليأتي به إليه.

الحسين عليه السلام لم يسمع بهذا الدعاء:

وقد صرح الإمام الحسين «عليه السلام»: بأنه لم يكن قد سمع بهذا الدعاء من أبيه، ولا عرفه قبل ذلك، فقد يقول البعض: إن هذا يمثل نقصاً في معارف الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو منزه عن ذلك.

ويمكن أن يجاب:

بأنه من الممكن أن يكون الله تعالى قد حجب عن الحسين «عليه السلام» معرفة هذا الدعاء لبعض المصالح، ومنها التعريف بمدى سرور ولذة الإمام الحسين «عليه السلام» بالدعاء، حتى لقد ذكر أنه سرّ به سروراً أشد من سرور الرجل بعافيته.

ولعلك تقول: إن هذا معناه نسبة الجهل إلى أفضل الخلق بعد الرسول وعلي والحسن «عليهم السلام»، وهو غير سديد..

ويجاب: بأن الإمام «عليه السلام» كان لديه الإستعداد والشوق لنيل جميع المعارف ولكن المنع الإلهي كان لمصلحة أهم قد حال دون ذلك، فلا يعد عدم المعرفة لهذا الممنوع نقصاً فيه «عليه السلام»، بل هو كمال له لأنه منعه من شيء ليعوضه ما هو أعلى وأغلى وأثمن منه.

وهذا يشبه ـ من بعض الوجوه ـ ما قاله الشيخ الصدوق «رحمه الله» من أن الله قد يسهي نبيه لكي لا يغلو الناس فيه، ويعطوه صفة الله..

وقد أجاب بعض الإخوة: بأن الإشكال يُدفع بالتفرقة بين العلم اللدني والمعرفة الظاهرية التي لم تحصل له، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» لم يذكرا هذا الدعاء له..

وهذا لا ينافي أن يكون قد عرف هذا الدعاء بالعلم اللدني..

ونحن لا نناقش في صحة هذا الجواب لو كان منسجماً مع سياق كلامه «عليه السلام»، حيث صرح بأنه لم يكن قد عرف هذا الدعاء قبل ذلك.

كتابة دعاء الجوشن على الكفن:

قال الخاجوئي: ذكر ابن طاووس في مهج الدعوات بسند مرفوع، محذوف أو ضعيف جداً: أن أبا عبد الله الحسين «صلوات الله عليه» قال: أوصاني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وصية عظيمة بهذا الدعاء وحفظه، يعني دعاء الجوشن، وقال لي: يا بني اكتب هذا الدعاء على كفني، وقال الحسين «عليه السلام»: فعلت كما أمرني أبي(١).

وفي نص آخر: أوصاني أبي بحفظ هذا الدّعاء، وتعظيمه، وأن أكتبه على كفنه، وأن أعلِّمه أهلي، وأحثّهم عليه(٢).

وعن الإمام الحسين «عليه السلام»: قال أبي أمير المؤمنين «عليه السلام»:

____

(١) الرسائل الفقهية للخاجوئي ج٢ ص١٢٣ ومهج الدعوات لابن طاووس ص٢٣١.

(٢) راجع: النجعة في شرح اللمعة للتستري ج١ ص٣٦٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٣٣.

يا بني، ألا أعلمك سراً من أسرار الله عز وجل علمنيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان من أسراره، لم يطّلع عليه أحد؟!

قلت: بلى يا أباه، جعلت فداك.. الخ(١).

ونقول:

١ ـ إن هذا الدعاء معروف في أوساط شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، وهم يقرؤونه في ليالي القدر، ويكتبه كثيرون منهم على أكفانهم.

٢ ـ وهو يشتمل على ألف اسم ووصف للذات الإلهية. ويا حبذا لو قام بعض الباحثين بجولة في أكناف وأطراف هذا الدعاء، ودرس فقراته المختلفة وتراكيبها، وأرشد إلى حيثياتها، وكشف عن مبهماتها، وبيّن وجوه السداد والصواب فيها، لكي يزول الريب الذي يراود قلوب بعض الناس حول مدى موافقتها للضوابط اللغوية والتركيبية، التي يفترض مراعاتها فيها.

٣ ـ وقد أشار العلامة الخاجوئي إلى احتمال ضعف سند هذا الدعاء، ولا نستبعد أن يكون محقاً في ذلك.. ولكن من الواضح: أن ضعف السند لا يعني كذب المضمون. غاية ما هناك أنه لا يصح الاحتجاج به بمفرده.

٤ ـ على أن ضعف سند هذا الدعاء لا يمنع من الإتيان به برجاء المطلوبية، استناداً إلى الحديث الذي يقول: من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه،

---

(١) مهج الدعوات لابن طاووس ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٩١ ص٣٩٨.

كان له، وإن لم يكن على ما بلغه(١).

فإن هذا الدعاء يتضمن عبارة: «سُبْحانَكَ يا لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، الغَوْثَ الغَوْثَ، خَلِّصْنا مِنَ النّارِ يا رَبِّ»، ففيه طلب التفصي من العقاب. فهو نظير ما ورد في خواص سورة التحريم: من أنها إذا كتبت على الميت خففت عنه، فإذا أهدي ثوابها للميت أسرع إليه كالبرق، وآنسته وخففت عنه(٢)..

٥ ـ بقي أن نشير إلى أن تخصيص الإمام الحسين «عليه السلام» بهذا الدعاء، لا يعني أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد حرم منه، فإن ما ورد في بعض النصوص هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أبقاه سراً. أما علي «عليه السلام» فهو يعلمه لولده الحسين، ولعله سبق أن علمه للحسن أيضاً. فإنهما إمامان قاما أو قعدا..

حلاوة سورة القدر من فِي علي عليه السلام:

وروي أيضاً عن أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، بإسناده عن

---

(١) المحاسن ص٢٥ والكافي ج٢ ص٨٧ وروضة المتقين ج١ ص٤٥٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٨٢ و ٨٠ و (الإسلامية) ج١ ص٦٠ و ٥٩ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٦١٧ ومرآة العقول ج٨ ص١١٢.

(٢) المجموع الرائق، والنجعة في شرح اللمعة ج١ ص٣٦١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٤١.

أبي عبد الله «عليه السلام» قال: سمعته يقول: قال لي أبي محمد بن علي: قرأ علي بن أبي طالب «عليه السلام» «إنا أنزلناه في ليلة القدر» وعنده الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال له الحسين «عليه السلام»: يا أبتا، كأن بها من فيك حلاوة؟!

فقال له: يا ابن رسول الله، وابني. إني أعلم فيها ما لم تعلم، إنها لما نزلت بعث إلي جدك رسول الله، فقرأها علي. ثم ضرب على كتفي الأيمن وقال: يا أخي، ووصيي، ووالي[1] أمتي بعدي، وحرب أعدائي إلى يوم يبعثون، هذه السورة لك من بعدي، ولولدك من بعدك، إن جبرئيل أخي من الملائكة حدَّث إلي أحداث أمتي في سنتها، وإنه ليحدث ذلك إليك كأحداث النبوة، ولها نور ساطع في قلبك، وقلوب أوصيائك إلى مطلع فجر القائم «عليه السلام»[2].

ونقول:

١ ـ إن ما يجعل لسورة القدر حلاوة في فم علي «عليه السلام» هو ما يفرغه في كلماته من روحه، وإيمانه، ومشاعره. وليس الألفاظ بما هي حروف وأصوات.. أي أن السامع، حين يكون علي «عليه السلام» هو المتكلم بسورة

---

(١) في كنز الفوائد: وولي.

(٢) بحار الأنوار ج٢٥ ص٧٠ و ٧١ عن كنز الفوائد ٣٩٦ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٧١٢ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٨٢٠ و ٨٢١.

القدر، يشعر بالخشوع، وتهتز مشاعره لمعانيها، وتلامس إيحاءاتها شغاف قلبه، وتنفذ حقائقها إلى عمق روحه «عليه السلام».

٢ ـ إن خطاب أمير المؤمنين لولده بعبارة: «يا بن رسول الله، وابني..» لعله للدلالة على أن سبب الحلاوة التي وجدها الحسين «عليه السلام» لسورة القدر حين كان يسمعها من أبيه «عليه السلام» هو الإعداد والتربية والوعي، وعمق الإيمان، وأصالة المشاعر التي هي آثار جهد مقام النبوة، والإمامة فيه «عليه السلام»، وليست أمراً عارضاً، ولا هي من الأمور العادية التي يمكن لأي إنسان أن يدعيها لنفسه.

٣ ـ وتضمن الكلام الذي نقله «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله عن علي: «وحرب أعدائي إلى يوم يبعثون». وهذه هي الحقيقة التي لا تخفى على ذي مسكة، فإن علياً «عليه السلام» في حياته وبعد مماته هو القاهر لأعداء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمحطم لآمالهم في طمس دين الله، وفي النيل من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بفكره ونهجه وسياساته، وبشيعته ومحبيه، والموالين له. فإن الكل يضرب بسيف علي «عليه السلام»، ويستقي منه معارفه وحججه، وسعيه لإبطال الباطل وإحقاق الحق.

٤ ـ وقد قال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «وولي أمتي بعدي» حسب نص كنز الفوائد الذي نقل عنه في بحار الأنوار، ولم يقل: أنت والي أمتي، ربما لأن كلمة الوالي تستبطن معنى الحاكمية، والمطلوب ما هو أبعد من ذلك.

كما أنه لم يقل: أنت إمام أمتي بعدي، ربما لأن البعض قد يفهم من

كلمة الإمام أنه الذي يؤتم به ويتبع..

مع أن المقصود أيضاً ما هو أبعد من مجرد الإتباع والإئتمام.. إنه يريد أن يجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فلا خيار لهم معه، بل هو الذي يقرر ويتصرف.

٥ ـ وقد صرحت الرواية: بأن سورة القدر هي للنبي «صلى الله عليه وآله»، وقد فسرت الروايات ذلك: بأن الملائكة والروح إذا كانت تتنزل في كل سنة في ليلة القدر بإذن ربهم من كل أمر يحدث في تمام تلك السنة، فإنما تتنزل على النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك في زمان حياته، فهي له ما دام حياً. وبعد مماته تتنزل الملائكة على علي «عليه السلام»، وتحدثه بكل ما يحدث في كل سنة، فإذا استشهد انتقل الأمر إلى الأوصياء بعده، وهم الأحد عشر إماماً «صلوات الله عليهم أجمعين»، فتتنزل الملائكة عليهم على النحو الذي تقدم.

فإذا كانت لا تخلو الأرض من حجة، فذلك يعني بقاء هؤلاء الأئمة إلى مطلع فجر القائم «عليه السلام»..

كما أن هذا يدل على أن الملائكة تلتقي بالأئمة، وعلى أن لهم مهمات معهم.. ويدلنا ذلك على أن الأئمة يعرفون ما يحدث في طول السنة، من خلال ما تأتيهم الملائكة، والروح به. فلا مورد لإنكار علم الأنبياء والأئمة بالغيب.

الفصل الرابع:

في حــرب الجمــل..

للتوضيح والبيان:

حين عزم أمير المؤمنين «عليه السلام» على حرب الناكثين تخلف عنه بعض الناس، منهم أسامة بن زيد. فمنعهم «عليه السلام» من العطاء من بيت المال، فصعب عليهم هذا الأمر، وحاول أسامة أن يثنيه عن قراره هذا فلم يفلح.. وفيما يلي بعض ما له ارتباط بهذا الموضوع..

علي يمنع والحسنان يعطيان:

وروووا: أن أسامة بن زيد أرسل مولاه حرملة من المدينة إلى الكوفة إلى علي «عليه السلام» يسأله شيئاً من المال، وقال له: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلف صاحبك؟!

فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره (أي لم يكن من رأيه القتال).

فلم يعطني شيئاً. فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر، فأوقروا لي راحلتي[1].

---

(١) راجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص٩٩ وعمدة القاري ج٢٤

وقال العسقلاني: «لعله سأله شيئاً من مال الله، فلم ير أن يعطيه لتخلفه عن القتال معه، وأعطاه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر.. وكأنهم لما علموا أن علياً لم يعطه شيئاً عوضوه من أموالهم من ثياب ونحوها قدر ما تحمله راحلته التي هو راكبها»(١).

ونقول:

نلاحظ ما يلي:

١ ـ إن على أسامة قبل أن يتخذ قراره بعدم قتال المسلمين أن يلغي من كتاب الله الآية التي توجب قتال البغاة من المسلمين، وأن يخطئ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

٢ ـ إن عليه أيضاً أن يخطئ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قوله: علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه حيثما دار(٢).

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي»(٣)،

ص٢٠٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٣ وذخائر العقبى ص١٣٧.

(١) فتح الباري ج١٣ ص٥٨ و ٥٩ وراجع: وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٠.

(٢) الفصول المختارة ص٩٧ وبحار الأنوار ج١٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ وج٣٨ ص٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٣٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٧٢

وأن يكذب حديث الثقلين المتواتر، وغير ذلك مما لا يحصى.

٣ ـ كما أن عليه أن يخرج علياً «عليه السلام» من سياق آية التطهير، وسورة هل أتى وغيرها من الآيات الكثيرة جداً، والتي تعد بالمئات..

٤ ـ لو سألنا أسامة، ومن امتنع معه من طاعة علي «عليه السلام» من إمامك، الذي تطيعه إذا أمرك، وتجاهد معه عدوه، وتسعى في حفظ سلطانه؟!

فإن أجاب: بأن إمامه معاوية، فلا كلام معه، لأنه يصبح في عداد الأعداء الذين يجب قتالهم، ولا تصل النوبة إلى الحديث عن إعطائهم من أموال بيت المال، ومنعهم منها..

وإن قال: إن علياً «عليه السلام» إمامه، فملاك إمامته له أن يطيع أمره، ويجاهد معه عدوه في أقل الفروض العملية.. والحال أننا نراه في موقع غير

وعبقات الأنوار ج٢ ص٣٢٤ عن السندي في دراسات اللبيب ص٢٣٣ وكشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ - ١٤٦ والجمل ص٨١ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢١ والمستدرك ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وربيع الأبرار ج١ ص٨٢٨ و ٨٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤ ونزل الأبرار ص٥٦ وفي هامشه عنه وعن: كنوز الحقائق ص٦٥ وعن كنز العمال ج٦ ص١٥٧ وملحقات إحقاق الحق ج٥ ص٧٧ و ٢٨ و ٤٣ و ٦٢٣ و ٦٣٨ وج١٦ ص٣٨٤ و ٣٩٧ وج٤ ص٢٧ عن مصادر كثيرة جداً.

المطيع، وإن لم يصل إلى حد التمرد والطغيان.. مما يعني: أنه أبقى الباب موارباً، فهو لا يريد أن يراه الناس في عداد الفئة المحاربة لعلي، لأنه يعرف موقع علي «عليه السلام» في القرآن والإسلام، وحديث الرسول «صلى الله عليه وآله».

ولا يريد أن يراه الفريق الآخر ممتشقاً السيف يحاربهم به، ويدفع عن وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله». لأن ذلك قد يسبب له بعض المشاكل.

٥ ـ غير أننا نرى: أن ثمة إشارات ودلالات تخفف من ذنب أسامة، وتجعله واقعاً في شبهة، ومن هذه الإشارات نذكر:

أولاً: ذكر الكشي: أن علياً «عليه السلام» كتب إلى واليه بالمدينة: «لا تعطين سعداً ولا ابن عمر من الفيء شيئاً، فأما أسامة بن زيد، فإني قد عذرته في اليمين التي كانت عليه»(١).

وكأن أسامة لم يدرك أن أمر الإمام بفعل شيءٍ يسقط اليمين المتعلق بذلك الشيء، فإن الإمام كالنبي «صلى الله عليه وآله» أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

واليمين المشار إليها ذكرها المفيد «رحمه الله»، حيث زعم أسامة: أنه

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص١٩٧ و ١٩٨ ورجال ابن داود ص٤٨ والتحرير الطاووسي ص٧٤ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٧٩ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص١٣٦ ونقد الرجال للتفرشي ج٢ ص٣٠٤ والدرجات الرفيعة ص٤٤٥.

عاهد الله تعالى أن لا يقاتل مسلماً، وذلك لأنه أهوى برمحه في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى رجل، فقال: لا إله إلا الله، فشجره بالرمح فقتله، فبلغ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» خبره، فقال: يا أسامة، أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلّا الله؟!

فقال: يا رسول الله، إنّما قالها تعوّذاً.

فقال: ألا أشفقت عن قتله (ألا شققت عن قلبه)(١).

ثانياً: عن عروة بن الزبير: ان أسامة كتب إلى علي «عليه السلام» أن يبعث إليه بعطائه، فكتب إليه علي «عليه السلام»: إن هذا المال لمن جاهد عليه(٢).

---

(١) الجمل للمفيد ص٤٥ و ٤٦ وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١١ وج٢٢ ص٩٣ وتفسير القمي ج١ ص١٤٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٥٠٩ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٣٥ وراجع: وشعب الإيمان للبيهقي ج٤ ص٣٣٨ و ٣٣٩ ومسند أحمد ج٤ ص٤٣٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٢ ص٤٦٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٠٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٢٢ والإحكام لابن حزم ج٦ ص٨١٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٥ وتاريخ جرجان ص٤٧٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٢٣٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٢ والغارات للثقفي (ط الأولى) ج٢ ص٥٧٧ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٥٣ وج٩٤ ص٥٨ وج١٠٠ ص٥٨ وج٢١

فعلي «عليه السلام» إذا كان قد أعطى أسامة، فإنما أعطاه بعد ظهور عذره، الذي لم يكن كافياً، لأنه مبني على نقص معرفته بشؤون الإمام والإمامة، ولأن ادِّعاءه أنه عاهد الله أن لا يقاتل مسلماً لم يثبت بأي طريق آخر غير دعواه.

وكذلك الحال بالنسبة لقوله: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره أن لا يقاتل مسلماً، فإنما تفرد هو في روايته(١).

وصحته موضع ريب وشك.

الحسنان عليهما السلام في طاعة أبيهما:

أما مبادرة الحسنين «عليهما السلام» إلى إعطاء أسامة من الأمتعة ما أوقر راحلته، فتأتي في سياق التفضل منهم، وعدم رد السائل. ولم يكن الإمام علي «عليه السلام» لينزعج من هذا التصرف، بل هو يفرحه، لأنه ينسجم مع أخلاقه وقيمه، من دون أن يكون له مساس بالأصول الشرعية التي يلتزم بها، فهو يلتزم بأن هذا المال لمن جاهد عليه، ولم يخالف هذا الأمر.

كما أنه حين أمر واليه أن يعطي أسامة بعد ما ظهر تقصيره في فهم معنى

ص٦٥ ونهج السعادة ج٤ ص١٢٧ وميزان الحكمة ج٤ ص٢٩٩٦ والدرجات الرفيعة ص٤٤٥ وتاريخ المدينة ج٣ ص١١٣٩ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٩٧ وتكملة الرجال ج١ ص١٧٤.

(١) الجمل للمفيد ص٤٥.

الإمامة وشؤونها، فلم يثبت أنه أعطاه الفيء الذي لا يعطى إلا لمن جاهد عليه، فلعله أعطاه من الأموال الأخرى، كالصدقات أو الزكوات التي يمكن إعطاؤها للفقراء.

بل ورد أن أسامة لما كتب إلى علي «عليه السلام» يطلب منه عطاءه أجابه علي «عليه السلام»: «إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكنّ لي مالاً في المدينة، فأصب منه ما شئت».

وهذه أريحية وسؤدد، وكرامة، وسماحة، وخلق كريم منهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، وفيه أيضاً حفظ لنفوس يريدون لها أن تتلمَّس هذه المعاني، وتتفاعل معها..

إلى البصرة:

وبعد البيعة لعلي «عليه السلام»، والتي كان طلحة والزبير من السباقين إليها، آملين بالحصول من خلالها على الامتيازات والولايات، والعطاءات، والإقطاعات، بدأت تظهر لهما ملامح سياسة أمير المؤمنين «عليه السلام»، في الحكم، وفي الأموال، وسواها، وتبين لهم أنها نسخة طبق الأصل عن سياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ففيما يرتبط بالعطاء من بيت المال أرجع «عليه السلام» الناس إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورفض التمييز بين الناس، فثارت ثائرة كثير منهم، ولاسيما العرب وقريش، وعلى رأسهم طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وبنو أمية، واعترضوا عليه، فاحتج عليهم بما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفيما يرتبط بالتفضيل على أساس العرق، قال لهم: إنه لم يجد لبني إسماعيل فضلاً على بني إسحاق(١).

ثم طالبه طلحة والزبير: بأن يشركهما فيما في يده «عليه السلام»، بأن يعطي أحدهما البصرة، والآخر الكوفة(٢). فرفض ذلك.

ثم ذهبا نحو البصرة، وفعلا فيها الأفاعيل، فاضطر إلى المبادرة إلى كف شرهما، وكسر شوكتهما، فتوجه نحو العراق، ومعه الحسنان «عليهما السلام». ولكن طلحة والزبير تمكنا من الإفلات.

---

(١) راجع: الغارات للثقفي ج١ ص٧٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٤٩ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٣ والكافي ج٨ ص٦٩ وحياة الصحابة ج٢ ص١١٢ عن البيهقي، وبحار الأنوار ج٣٢ ص١٣٤ وج٤١ ص١٣٧ والغدير ج٨ ص٢٤٠ وبهج الصباغة ج١٢ ص١٩٧ـ ٢٠٧ عن بعض من تقدم، وعن مصادر أخرى. وفي هامش الغارات عن: وسائل الشيعة (ط أمير بهادر) ج٢ ص٤٣١ وعن ثامن بحار الأنوار ص٧٣٩ وراجع: المجموع للنووي ج١٩ ص٣٨٥ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٣٥ وشرح أصول الكافي ج١١ ص٤٢٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٣٣٦ ونهج السعادة ج١ ص١٩٨ وكنز العمال ج٦ ص٦١١.

(٢) بحار الأنوار ج٣٢ ص٢٤ و ٢٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٥٧٦ و (ط دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه) ج١١ ص١٧.

الحسنان في موكب علي عليه السلام:

وواصل «عليه السلام» طريقه من المدينة إلى الربذة، ثم إلى ذي قار، ثم إلى البصرة، فدخلها في موكب مهيب..

قال المسعودي نقلاً عن المنذر بن الجارود، ما ملخصه:

إن أبا أيوب دخل البصرة وهو على ألف فارس، هم الأنصار وغيرهم.

وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين على ألف.

ثم أبو قتادة في نحو ألف.

ثم عمار بن ياسر على ألف في عدة من الصحابة، من المهاجرين والأنصار، وأبنائهم.

ثم قيس بن سعد بن عبادة في ألف، في عدة من الأنصار، وأبنائهم، وغيرهم.

ثم عبد الله بن عباس، ومعه عدة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم تتابعت المواكب والرايات إلى أن مر به علي «عليه السلام»، وعن يمينه ويساره الحسنان «عليهما السلام»، وخلفه عبد الله بن جعفر، وولده عقيل، وغيرهم من بني هاشم، والمشايخ الذين هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار(١).

---

(١) مروج الذهب ج٢ ص٣٥٩ ـ ٣٦١ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين

ونقول:

إن الحرب التي كانت تنتظر علياً «عليه السلام» في البصرة كانت بزعامة عائشة، وهي إحدى زوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، والمعززة لدى عمر بن الخطاب.

وكان الناس ينساقون وراء المظاهر والأعداد والعناوين والشعارات.

فكان لا بد لعلي «عليه السلام» من إبطال تأثير هذه الأمور، أو الحد من تأثيرها، بصورة معقولة ومقبولة.. فكان هذا الحشد من المهاجرين والأنصار، وإيكال أمر القيادة في كل كتيبة إلى خيارهم، وكبارهم.

وكان معه «عليه السلام» ثمان مئة من الأنصار، وتسع مئة من أهل بيعة الرضوان، وسبعون من أهل بدر[1]، أو مئة وثلاثون بدرياً[2].

ونستطيع أن نقول:

إن كل ما كان يحيط بعلي «عليه السلام»، وكل ما كان لدى أعدائه،

ص٣١٦ وراجع: الجمل لابن شدقم ص١١١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤ وج٦ ص٣١٨ والدرجات الرفيعة ص٣٩.

(١) الفصول المختارة للشريف المرتضى ص٢١٦ والصراط المستقيم ج١ ص١٤٩ وأعيان الشيعة ج٤ ص٣٦٩.

(٢) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ج٣ ص٤٨٤.

كان ينطق ويصرح بما يريد علي «عليه السلام»، وهو عدم جواز الإقدام على محاربته.

فمثلاً: من يرى عماراً، ويتذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: تقتلك الفئة الباغية، وقال: ما لهم ولعمار؟! إنه يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار.. فإنه لن يجرؤ على الدخول في حرب يكون عمار فيها مع الفريق الآخر. لأن حديث الرسول سوف يستوقفه، ويمنعه من أن يقاتله أو يقاتل الفئة التي يقف معها عمار «رحمه الله».

كما أن من يرى ذا الشهادتين مع الفريق الآخر، لا يفكر في قتال ولا في قتل ذي الشهادتين.

كما أنه لا يرضى بأن يقاتل جيشاً فيه من الأنصار ثمان مئة صحابي، منهم مئة وثلاثون، أو سبعون من أهل بدر، ولا يجرؤ على أن يقتل منهم العشرات والمئات.

كما أن أحداً لا يحب أن يقاتل، ويقتل المشايخ من أهل بدر، أو من المهاجرين والأنصار.

يضاف إلى ذلك كله: أن أحداً لا يحب أن يقاتل ويقتل ابني الرسول «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهو يعرف أنهما سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد نزلت فيهما وفي جدهما وأبويهما آية التطهير، وسورة هل أتى، وغير ذلك..

كما أن علياً «عليه السلام» كان أخا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصهره، ووصيه، وله في عنق جميع الناس بيعة في عهد رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وله بيعة أخرى في أعناق الناس، بمن فيهم هؤلاء الذين جاؤوا لحربه بعد قتل عثمان.

أما الفريق الذي جاء لحربه «عليه السلام»، فهم الذين كفّروا عثمان، وحصروه، وقتلوه، ثم عمدوا إلى من دافع عنه وحماه ـ وهو علي «عليه السلام»ـ، فاتهموه بقتله، وجاؤوا بالجيوش لقتاله هو وسائر من يلوذ به، وكل من يدافع عنه، ومنهم: الحسنان، وأهل بيعة الرضوان، وأهل بدر، والمهاجرون، والأنصار الخ..

كما أن أولئك قد أخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن كلاب الحوأب سوف تنبحهم، وقد نبحتهم فعلاً، فجاؤوا بخمسين رجلاً يشهدون زوراً: بأن هذا الماء ليس ماء الحوأب.

وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عائشة والزبير بأنهما سوف يقاتلان علياً وهما ظالمان له..

يضاف إلى ذلك: أن ذلك الفريق قد ارتكب مجزرة كبيرة بحق حراس بيت المال في البصرة، ثم انتهبوا بيت المال.

فكل هذه الأمور وسواها كثير ـ ومنها وجود الحسنين «عليهما السلام» ـ لا بد أن تدعو من يخاف الله إلى عدم الدخول في الحرب ضد علي «عليه السلام».

الحسن على الميمنة والحسين على الميسرة:

صرحت الروايات: بأن الراية في حرب الجمل كانت بيد محمد ابن الحنفية.

ويقال: كان على الميسرة ـ وهم مضر البصرة، ومضر الكوفة ـ الحسن بن علي.

قال أبو عبيدة: «ويقال: على الميمنة الحسن، وعلى الميسرة الحسين بن علي»(١).

وهكذا قال القاضي النعمان، والشيخ المفيد، وزاد القاضي النعمان قوله: ووقف (يعني علي «عليه السلام») خلف الراية على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

ونقول:

١ ـ قد اتضح: أن الجيش الذي قاده أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى حرب الجمل كان يضم النخب الإيمانية، وأرقى الشخصيات في الأمة الإسلامية من حيث الصلاح، والعلم، والوعي، والإلتزام، والدين، وأصحاب السابقة، وأهل الجهاد والتضحيات.

وكان قادة هذا الجيش أيضاً خير قادة.. فيهم من ملئ إيماناً إلى مشاشه.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٨٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٣٥.

(٢) دعائم الإسلام ج١ ص٣٩٣ والجمل للمفيد ص٣٤٨ وراجع: جواهر الكلام ج٢١ ص٣٢٧ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب للريشهري ج٥ ص٢٣٠.

أما القائد الأعظم لهذا الجيش، وهو علي، فهو نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخوه ووصيه، ومعه أبناء أعظم وأشرف الأنبياء. وهم أئمة أوصياء ومعصومون، ومطهرون، وهم أفضل من الأنبياء، فضلاً عن سائر الأوصياء.

وقد تقدم أن الروايات صرحت: بأن الحسن «عليه السلام» كان على الميمنة، والحسين «عليه السلام» كان على الميسرة.

٢ ـ وحتى لو لم نجد نصاً يصرح بذلك، فإن إمامة الحسنين «عليهما السلام» التي صرح بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» تدلنا على أن الحسنين «عليهما السلام» لا يمكن أن يكونا تحت إمرة أحد من الناس، إذ لا يؤمَّر أحد على الإمام، كما لا يؤمَّر أحد على النبي «صلى الله عليه وآله».

ولو كان «عليه السلام» قد أمَّر أحداً على الحسنين «عليهما السلام» لرأيت مناوئي الشيعة يسارعون إلى إشهار ذلك في وجه الشيعة، والإحتجاج به عليهم، لاسيما وأن الشيعة ما زالوا يعلنون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمّر على علي «عليه السلام» أحداً.

٣ ـ إن موقع القيادة في العمليات الحربية يبقى موقعاً حساساً، وخطراً، يقصده الأبطال في الجهة المناوئة بالسوء لكسب الجوائز والامتيازات، فيما لو تمكنوا من قتل القادة من مناوئيهم، أو إلحاق الأذى بهم. الأمر الذي يؤكد على ضرورة الحاجة إلى المزيد من التحرز والحذر، وإلى الشجاعة والبأس والنجدة..

فلو لم يكن الحسنان «عليهما السلام» أهلاً لهذا المقام وفوقه بمراتب لما

جعلهما أمير المؤمنين «عليه السلام» فيه. لاسيما مع ما عرفناه، من أنهما وديعتا النبي «صلى الله عليه وآله»، لدى علي «عليه السلام»، وقد أوجب بذلك عليه حفظهما.

ثم إن علياً «عليه السلام» جعلهما وديعتيه لدى الأمة[1]، فصارت الأمة مسؤولة عن حفظهما، حتى تؤديهما إلى صاحبهما، وهو الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

فلو لم يكن علي «عليه السلام» واثقاً من أنهما كانا قادرين على حفظ أنفسهما، وعلى أداء وظائفهما القيادية، وعلى أتم وجه، ويحققان النتائج المتوخاة منهما لما جعلهما في هذا الموقع، ولكان قد اختار لهما مهمات أخرى

---

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١١٧ ـ ١٢١ وج٤٠ ص٢٠٢ وراجع ج٤ ص٩٧ و ٣٢ والأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص٤٢٢ ـ ٤٢٥ و (ط أخرى) ص٢٨٠ والتوحيد للصدوق ص٣٠٤ ـ ٣٠٨ وراجع ص١٠٩ وإرشاد القلوب ج٢ ص٣٧٤ ـ ٣٧٦ وغاية المرام ج٥ ص٢٤٠ ـ ٢٤٢ ونور البراهين للجزائري ج٢ ص١٤٤ ـ ١٥٦ وشجرة طوبى ج١ ص١٨٨ ـ ١٩٠ وروضة الواعظين ص١١٨ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٠١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص١٣٥ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص٨٩ ـ ٩١ والإختصاص (ط دار المفيد) ص٢٣٥ ـ ٢٣٨ وفي الإحتجاج ج١ ص٦٠٩ ـ ٦١٢ وراجع ص٤٩٣ و (ط دار النعمان) ص٣٨٤.

تناسب حالهما، كما هو ظاهر.

لماذا أعطى الراية لابن الحنفية؟!:

ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» السوداء، وتعرف بالعقاب، وقال لحسن وحسين «عليهما السلام»: إنما دفعت الراية إلى أخيكما. وتركتكما لمكانكما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

ونقول:

١ ـ أن إعطاء الراية للحسن والحسين «عليهما السلام» يرتّب عليهما مسؤوليات إضافية، وذلك لأن جيش الأعداء سوف يتقصد راية الجيش الآخر لكي يسقطها، أو يميلها في يد حاملها، لأن ذلك يثير الحماس لدى ذلك العدو.

ولكي لا يحصل هذا الأمر، فإن القائد العام يوصي شجعان جيشه، وأشداء الفرسان، والمتمرسين في الحرب بأن يحفوا بالراية، ويمنعوا من وصول العدو إليها.

٢ ـ والأجواء التي تحيط بحامل الراية هي أجواء صاخبة، وتتَّسم بالعشوائية، وعدم الانتظام بحسب العادة. وهذا لا يتناسب مع أجواء مقام الإمام والإمامة التي للحسنين «عليهما السلام».. حيث يطلب من الذي يكون في الميمنة والميسرة الثبات والتصدي الحازم، وعدم التزحزح من

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص١١١ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٥٧.

المراكز التي أوكل حفظها إليه.

ولذلك كله، ولأجل أنهما وديعة الرسول عنده فيجب حفظ مقامهما حتى في مثل هذه الظروف الدقيقة، قال أبوهما لهما «عليه وعليهما السلام»: إنه أعطى الراية لأخيهما، مراعاة وحفظاً لمكانتهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

راية الرسول صلى الله عليه وآله متى نشرت؟!:

محمد بن همام، قال: حدثنا أحمد بن مابنداذ، قال: حدثنا أحمد بن هلال، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»:

لما التقى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل البصرة نشر الراية، راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتزلزلت أقدامهم، فما اصفرت الشمس حتى قالوا: آمنا يا ابن أبي طالب.

فعند ذلك قال:

١ ـ لا تقتلوا الأسرى.

٢ ـ ولا تجهزوا على الجرحى.

٣ ـ ولا تتبعوا مولياً.

٤ ـ ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

٥ ـ ومن أغلق بابه فهو آمن.

ولما كان يوم صفين سألوه نشر الراية، فأبى عليهم، فتحملوا عليه بالحسن والحسين «عليهما السلام» وعمار بن ياسر، فقال للحسن: يا بني، إن للقوم

مدة يبلغونها، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم «عليه السلام»[(١)].

ونقول:

الزلزال:

١ ـ صرحت الرواية: بأن راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نشرت في حرب الجمل، فتزلزلت أقدام أعدائه «عليه السلام»، فما اصفرت الشمس، حتى قالوا: آمنا يا ابن أبي طالب، فعند ذلك قال «عليه السلام»: لا تقتلوا الأسرى الخ..

ولكنه يوم صفين لم يرض بنشر راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى مع توسيط الحسن والحسين «عليهما السلام»، وعمار..

ونريد أن نزعم: أن أمر أهل الجمل كان هو الأصعب والأخطر، فهم بقيادة عائشة، التي كرست لنفسها طيلة خمس وعشرين سنة مقاماً متميزاً في الناس، وقد ساعدها على ذلك تمييز عمر بن الخطاب لها على سائر الناس، حتى على نساء النبي الأخريات، فكان يعطيها اثني عشر ألف درهم.

كما أنها بنت أبي بكر، وقد جاءت للحرب ومعها طلحة والزبير ومروان،

---

(١) الغيبة للنعماني (الطبعة الثالثة) ص٢٠٨ و (نشر أنوار الهدى سنة ١٤٢٢هـ) ص٣١٩ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢١٠ وج٥٢ ص٣٦٧ عنه، ومستدرك الوسائل ج١١ ص٥٣.

ومن لحق بهم من الأخطبوط الأموي، وهم يزعمون: أن علياً شارك ومالأ على قتل عثمان. كما أنهم يؤكدون للناس أن علياً «عليه السلام» لا يرى للعرب أي امتياز على غيرهم، لا في العطاء، ولا في غيره.. فهذه الأحوال كلها تعطي: أن الأمر كان يحتاج إلى هزة وجدانية وعمل إعجازي يوقظ وجدان الناس، ويعيدهم إلى الواقع العملي، ليتدبروا الأمور ببصيرة وصدق.

فلهذا نشر «عليه السلام» راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حرب الجمل، ليحدث الزلزال.

وأما أمر معاوية في حرب صفين، فبغيه وظلمه ظاهر ومفضوح لأكثر الناس، فلا يحتاج إلى معجزة تظهر حقانية أمير المؤمنين «عليه السلام» وضلال محاربيه.

٢ ـ إذا كان الناس قد استسهلوا الأمر برؤيتهم الآثار الغيبية لنشر راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيريدون تكرار ما حدث ليوفروا على أنفسهم بعض العناء، ويحققوا مرادهم من أيسر طريق، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يريد للناس أن يعتادوا على هذا الأسلوب من العمل، لأنه سيكون مضراً بروحيات الناس. وسيسيء الناس فهمه، وسيقعدون عن الجهاد اعتماداً على المعجزات الغيبية.

٣ ـ نفهم من سياق الأحداث أن نشر الراية، وإن كان قد فضح الطرف الآخر وبيّن أنهم مبطلون، فإن هذه الفضيحة لم تدفعهم للتراجع، بل نجدهم قد تصلبوا في مواقفهم، وخاضوا الحرب الضروس بكل عنف وضراوة حتى أُسقط في أيديهم، أو تيقنوا من فشل مسعاهم.

ولكن ما كان يريده «عليه السلام» لم يكن هو إيقاف الحرب، أو التخفيف من حدتها، بل المطلوب هو إقامة الحجة عليهم، وفضحهم أمام الأمة، وهذا ما حصل بالفعل.

٤ ـ إن عدم استجابته «عليه السلام» لطلب الحسنين «عليهما السلام»، ومعهما عمار حين طلبوا منه نشر الراية في صفين إنما هو ليعرف الناس بالفرق بين حال معاوية الظاهر البغي والظلم والتجني، وبين غيره ممن يمكن أن ينخدع الآخرون به، لما أحاط به نفسه من عناوين طنانة ورنانة.

وإنما رضي الحسنان «عليهما السلام» بالوساطة لدى أبيهما، مع علمهما بأنه لن يستجيب لهما، ولن ينشر الراية في صفين، من أجل أن يسمع الناس من فم أبيهما بيان الفرق بين حال هؤلاء، وأولئك.

ابن الحنفية لا يقاس بابني رسول الله صلى الله عليه وآله:

يقول المعتزلي:

لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة، وحمل علي «عليه السلام» بالراية، فضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال: امح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك.

وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم، وأبلى بلاء حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلي «عليه السلام»: أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر

لما خفناه عليه، وإن كنت أردت ان تعلمه الطعان، فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين «عليهما السلام» لما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال علي «عليه السلام»: أين النجم من الشمس والقمر!

أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه.

فقال علي «عليه السلام»: أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما في عودك اليوم وصمة ... ولا كنت في الحرب الضروس معردا
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله ... علي، وسماك النبي محمدا[1]
فلو كان حقاً من أبيك خليفة ... لكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا
وأنت بحمد الله أطول غالب ... لساناً، وأنداها بما ملكت يدا
وأقربها من كل خير تريده ... قريش وأوفاها بما قال موعدا

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١ حين الكلام عن أولاد الإمام علي «عليه السلام»، وبالذات عن محمد بن الحنفية.

وأطعنهم صـدر الكـمـي برمحه وأكساهم للهـام عضباً مهـندا
سـوى أخويك السيدين، كـلاهما إمام الورى والـداعيان إلى الهـدى
أبـى الله أن يعطى عدوك مـقـعـدا من الأرض أو في الأوج مرقى ومصعدا[(١)]

ونقول:

لم يتوقع خزيمة بن ثابت، والأنصار معه أن يكون لدى محمد بن علي (ابن الحنفية) هذا البأس والثبات والإقدام، فقد بهرهم بشجاعته، مع أنه شاب في مقتبل العمر، لم يجرب حرباً، ولا مارس قتالاً تحتشد فيه آلاف الفرسان الأشداء..

غير أن هذا الإعجاب الذي ناله ابن الحنفية منهم كاد أن يخدش سلامة معتقدهم بالإمام والإمامة، ولذلك اهتم علي «عليه السلام» بتصحيح مسار الأمور، وإعادتها إلى نصابها، فإن الإمام هو الأشجع، والأعرف بفنون القتال من جميع البشر، وهو الأقدر على استعمال علومه وفنونه بصورة صحيحة ومؤثرة.

ولعل سبب وقوعهم في هذا الوهم هو أن الشجاعة والإقدام، وكذلك معرفة فنون الحرب هي من الأمور التي تبقى معرفتها الدقيقة محجوبة عن الناس، إلا إذا مست الحاجة العملية إلى إظهار طرف منها قليلاً كان أو كثيراً.

ولم يحتج الحسنان إلى إظهار سائر ما لديهما من قدرات وميزات قتالية، ومن شجاعة وإقدام، كما هو الحال بالنسبة لابن الحنفية.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٤٥ و ٢٤٦.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكتف بإخبارهم بامتياز الحسنين «عليهما السلام» على أخيهما، بل وضع مسافة حسية، من شأنها أن تقطع الشك باليقين في تمييزهما على أخيهما.. حيث جعل الفرق بينه وبين أخويه، كالفرق بين النجم وبين الشمس والقمر..

وقد أثرت هذه المعادلة أثرها، فتراجع الناس عن نظرتهم الخاطئة. وأعلنوا عن ذلك بما يشبه الاعتذار من علي «عليه السلام»، ومن الحسنين «صلوات الله عليهما».

ولكن علياً «عليه السلام»: أعاد التأكيد على ما قاله، ولكن بنحو آخر، فقال: أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فأكد على وجود فرق شاسع بين ابن الحنفية، وابني بنت الرسول «صلى الله عليه وآله». في حين أن محمداً ابن امرأة عادية كسائر النساء.

لأن الامرأة المطهرة المعصومة تمنح أولادها الطهر، والسلامة من أية عاهات في الخلق، أو وراثات غير مرغوب فيها.

كما أنها تمنحهما التربية الصالحة، والمعارف الحقة، والصحيحة، من دون أي خطأ، أو اختزال، أو تشويه..

وأما المرأة العادية، فليست كذلك في ذلك كله.. ولعل هذا ما يفسر لنا قوله «عليه السلام» لابنه محمد (ابن الحنفية): «أدركك عرق من أمك»[(١)].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٣ و ٢٤٤ وقاموس الرجال للتستري ج٩

فإن هذه الكلمة قد سجلت اعترافاً من علي «عليه السلام» بقانون الوراثة.

كلاهما إمام الورى:

وقد لفت نظرنا قول خزيمة بن ثابت في شعره:

سوى أخويك السيدين، كلاهما إمام الورى والداعيان إلى الهدى

فقد دل كلامه هذا على أن ما كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرره حول إمامة الحسنين «عليهما السلام» قد أخذ طريقه إلى وجدان الناس، وأصبح جزءاً من اعتقاداتهم، ومن تكوينهم الإيماني. فلم يعد يحق لمعاوية ولا لغيره إثارة أية شبهة حول هذا الأمر.

حرص علي عليه السلام على إيراد ضربة قاصمة:

قال المعتزلي: «وزحف علي «عليه السلام» نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه: حسن وحسين ومحمد «عليهم السلام». ودفع الراية إلى محمد، وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفن دونه الخ..»(١).

ص٢٤٥ عنه، وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٨ و مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ ص٣٦٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٣٢ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ والجمل لابن شدقم ص١٤١.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٥٧ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٢١.

وهناك نصوص عديدة تدل على أن علياً «عليه السلام» كان شديد الحرص على أن تكون ضربته الأولى في حرب الجمل في غاية القسوة، وذكرت النصوص أيضاً: أن هذا هو ما فعله علي «عليه السلام» نفسه، وقد كان يحث ولده محمداً بصورة قوية، ليبادر إلى تنفيذ أمره هذا، فراجع[١].

ونقول:

هناك أمور كثيرة، لو لم تتوضح للناس، فربما كانت سوف تمنع أهل الدين والورع من الإقدام على القتال في حرب الجمل، أو من الإمعان فيه، وأهل الدين والورع هم الأكثر في جيش علي «عليه السلام». وهذا يعني: احتمال أن تظهر في جيشه «عليه السلام» حالات تلكؤ، وتردد من مباشرة القتال بجدية، وقاطعية مؤثرة.

ومن هذه الأمور:

١ ـ **أن الطرف الآخر يقول:** نحن مسلمون، ويدعون: أن علياً «عليه السلام» قد مالأ على قتل عثمان.. وهذا الزعم سوف يستوقف كثيراً من الناس في جيشه من الذين لا يعرفون الكثير مما جرى، ويجعلهم يترددون أيضاً في مشروعية حربهم لهم.

٢ ـ إذا كانت زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، والمقدرة لدى عمر على رأس الجيش الآخر. وكانت تحرض على حرب علي

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٣٢ ص١٢٧ ـ ١٣٥.

«عليه السلام»، وتتهمه بقتل عثمان، فإن ذلك سوف يثير الوساوس في صدور الكثيرين، وسنرى أنهم يتحرجون من الإمعان في هذه الحرب، ويتمنون لو كانوا بعيدين عنها، وأنهم يجلسون على رأس جبل للتفرج على أحداثها دون أن يشاركوا في شيء منها.

٣ ـ إن الزبير بن العوام ليس بعيداً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، فهو ابن صفية عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد كان في بداية أمره يناصر علياً «عليه السلام»، فانقلابه عليه أخيراً سوف يثير لدى بعض الجاهلين بلابل ووساوس لا يسهل إبعادها والتخلص منها.

وأما الحديث عن أن الجيش الذي جاء لقتال علي «عليه السلام» قد نكث البيعة، فسوف يهون في أعين الناس، لأنهم سيتوهمون أن لهذا النكث أسباباً وجيهة اقتضته، وبررته..

٤ ـ فإذا ضممنا إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» قد رفض العمل بسياسات عمر في العطاء، ورفض تفضيل العرب، وقريش على غيرهم. وأرجعهم في ذلك وسواه إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن أهل الأطماع في جيش علي ستكون قلوبهم مع الطرف الآخر، الناقد والناقم على علي «عليه السلام» فعله هذا.

فلأجل ذلك كله نلاحظ:

أولاً: أنه «عليه السلام» كان يصر من أول لحظات الحرب على إيراد ضربته القاسية بعدوه، وحسم الأمر.

وقد باشر «عليه السلام» ذلك بنفسه، حتى إن بعض النصوص تقول:

إنه «عليه السلام» لما رأى تلكؤ ابنه محمد أخذ الراية منه، ثم حمل، وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصرة(١).

وقد شرح نص آخر ما جرى بصورة مفصلة، فراجع(٢).

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد بدأ حربه، وكان ولداه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وولده محمد حوله. وكانت الراية مع محمد، فقال له «عليه السلام»: اقدم بها حتى تركزها في عين الجمل(٣).

ومن الواضح: أن الناس كانوا يعرفون مكانة الحسنين «عليهما السلام» عند الله، ولدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخصوص.

وكانوا يعلمون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعلهما وديعة لدى علي «عليه السلام»، ثم جعلهما علي «عليه السلام» وديعة عند الأمة. فهي المسؤولة عن حفظهما.

فإشراك الحسنين «عليهما السلام» في هذه الحرب بهذه الطريقة، أي

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٨ و ٩٩ وقاموس الرجال للتستري ج٩ ص٢٤٤ و ٢٤٥ عنه، وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٥٧.

(٣) راجع المصادر السابقة.

بحيث يكونان في عين العاصفة، ورضاهما بذلك، وبذلهما كل الجهد في حرب ذلك الجيش ـ إن ذلك ـ من شأنه أن يحل بعض العقد أيضاً لدى من قد تهتز قناعاته، بسبب مزاعم الطرف الآخر، حسبما بيناه فيما سبق.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» بإصراره على وضع الراية في عين الجمل يكون قد أسقط هالة القداسة التي يضعونها على عائشة، ويكون بذلك قد بين للناس بصورة عملية: أن التستر بالدين، وادِّعاء أن الزوجية، والصحبة للرسول تكفي للسير في طريق الحق. وجعل ذلك سبباً للخروج على الإمام، ونكث بيعته، والتظاهر بالقداسة والورع، تمهيداً لاستحلال سفك الدماء والبغي والظلم للإمام وللأمة، إن هذا أعظم من فتك أسد حطوم في قطيع من الضأن، لأن هذا الأسلوب لا يقتصر ضرره على مجرد الأذى والظلم للأبرياء، بل يتجاوز ذلك، ليجعل الظلم والإفساد في الأرض أمراً مشروعاً، ومرضياً عند الله.

وهذا هو الأمر الخطير الذي يخشى منه «عليه السلام»، فإن الشبهات التي يتذرع بها محاربوه، قد توجب التعمية على الحق، وتشريع الباطل. ولاسيما مع التظاهر بالدين والورع، والقداسة، والقرب، والقربى، والصحبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولو أن أمر هذا الفريق الباغي كان مفضوحاً، وكان ظلمهم صريحاً وبيناً، لهان الأمر، لأن الظلم الصريح لا يوجب تحليل الحرام، وتحريم الحلال، وتغيير أحكام الدين.

رابعاً: إن هذه الحدة والشدة التي أظهرها ومارسها «عليه السلام» تجاه محاربيه قد كسرت هيبة الطرف الآخر، وحسمت الأمر بسرعة، وأوجبت

حقن الدماء. وكان لوجود الحسنين «عليهما السلام» معه، واختياره الكتيبة الخضراء التي تتكون من المهاجرين والأنصار، لتكون معه في هذا الهجوم الساحق والماحق الأثر البالغ في تحقيق مراده «عليه السلام».

يضاف إلى ما تقدم: وجود أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان بهذه الكثرة التي لم يسبق لها مثيل..

فإن كان ثمة من يتوهم: أن علياً «عليه السلام» يجر النار إلى قرصه في هذه الحرب، فإن وجود الحسنين «عليهما السلام»، وسائر الصحابة والعلماء، والأخيار، وموافقتهم على قرارات علي «عليه السلام» في حق أولئك الناس. قد أسقط الهالة، وأزاح العلة، واتضح الأمر لدى كثير من المترددين، وعرفوا أن القضية لو كانت كما يدعي أولئك، فإن علياً «عليه السلام» وسائر من معه لا يقدمون على هذا النوع من الحرب التي لا تبقي ولا تذر.

وظهر لهم: أن إظهار القداسة ورفع الشعارات الخادعة لم ينفع أعداء علي «عليه السلام»، ولا خفف من حدة موقفه منهم، ولا أوجب التردد والوجل من مواجهتهم.

سياسة نصرت بالرعب:

وقد يتوهم متوهم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» رجل دموي إلى أقصى الدرجات، فهو يريد طحن جيش البصرة، ويحرِّق الأَرَّم[1] على ولده

---

(١) يقال: فلان يحرّق عليك الأرّم: إذا تغيّظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض. أو أنه

الذي تلكأ في مهاجمة الأعداء، بانتظار هدوء الفورة الأولى لموجات السهام التي كانت تنصب عليهم كأنها شآبيب المطر.

وهذا توهم باطل، فإن المطلوب من إظهار هذه الشدة هو إلقاء الرعب في قلوب أناس لا يصدهم، ولا يثير اليأس في قلوبهم إلا هذا النوع من الحرب.

ومهما كان حجم الخسائر التي حصلت في الهجوم الأول الذي يفترض فيه أن يكسر شوكة العدو، ويثير الرعب لديه، ويسقط إرادته، وحماسته في اليوم الأول للحرب، أو في اليوم الذي يليه، فإن حجمها يبقى أقل بكثير من حجم خسائر حرب تستمر وتتواصل لأشهر عديدة، وتستدرج المدد والعون من شرق الأرض وغربها..

ويؤكد ما نقول:

أن التعبئة التي اعتمدها جيش الناكثين كانت تقوم على أساس إفهام الناس أن انتصار علي «عليه السلام» عليهم، معناه إبادتهم على بكرة أبيهم.

وكان هذا هو الأسلوب الذي اتبعه فرعون في حمل بني إسرائيل على الحرب، حيث أفهمهم أن موسى «عليه السلام» إنما جاء ليخرجهم من أرضهم، ويذهب بطريقتهم المثلى، فلا بد أن يحاربوه، لأنهم المستهدفون، ليمنعوه من تحقيق هذا الهدف.

يصرف بأنيابه حنقاً. ويقال: الأرّم: الأنياب.. راجع: لسان العرب ج١ ص١٢٣ (ط. سنة ١٤١٦ هـ).

وهذا هو نفس ما فعله الناكثون، فقد زعموا: أن المطلوب لعلي «عليه السلام» ليس خصوص طلحة ولا الزبير، ولا عائشة، لأن علياً «عليه السلام» لا يميز بينهما وبين غيرهما، بل المطلوب له هو كل فرد من محاربيه. وبذلك يتأكد لديهم: أنه لا خيار لهم سوى الموت، أو الانتصار عليه.

ولأجل ذلك أعلن أصحاب الجمل: أن ما يهمهم هو قتل علي وولديه: الحسن والحسين «عليهم السلام»، لأن انتصار علي عليهم معناه: أن يجعلهم رميماً، وأن يخصهم بجوره ويعمهم.

على حد قول عوف بن قطن:

لا يغلبن سمّ العدو سمكم   إن العدو إن علاكم رمكم

وخصّكم بجوره وعمّكم   لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

ونقل المدائني والواقدي:

أن طلحة والزبير قالا للناس: إن علياً إن يظفر بكم، فهو فناؤكم يا أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم، فإنه لا يبقي حرمة إلا انتهكها، ولا حريماً إلا هتكه، ولا ذرية إلا قتلها، ولا ذوات خدر إلا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه، ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله[1].

وذلك كله يؤكد لنا السبب في أن المطلوب لعلي «عليه السلام» هو حسم

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٥٤ ـ ٢٥٦.

مصير الحرب في يوم أو يومين على أبعد تقدير، على قاعدة إلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وفق قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾(١). وقد قال «صلى الله عليه وآله»: «نصرت بالرعب».

فإذا سقطت إرادة الحرب لدى العدو، فإنه «عليه السلام» يعاملهم وفق ما يرضي الله، فلا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، إلى غير ذلك من ضوابط أعلنها علي «عليه السلام»، والتزم بها، وألزم جيشه بها، حتى إن جماعات من جيشه لم يرضهم هذا الرفق الشديد الذي أظهره «عليه السلام» بعدوهم. حتى بالنسبة لأشد الناس عداوة له، ومن كان «عليه السلام» يائساً من صلاح أمره، من أمثال مروان، ومن هم على شاكلته..

الحسنان عليهما السلام يتشفعان بمروان:

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في حرب الجمل، وهُزم الناكثون كان مروان في حيص بيص خوفاً من أن يجازيه علي «عليه السلام» بأفعاله، وقد روى الشريف الرضي «رحمه الله»: أن الحسنين «عليهما السلام» تشفعا بمروان، وقالا لأبيهما: يبايعك مروان يا أمير المؤمنين.

فقال: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟!

---

(١) الآية ١٥٩ سورة آل عمران.

لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبَّته.

أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه.

وهو أبو الأكبش الأربعة.

وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»(١).

قال المعتزلي: وروي هذا الخبر من طرق كثيرة(٢).

ونقول:

١ ـ إن تشفع الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» بمروان لدى والدهما، لم يكن بمبادرة واقتراح منهما، بل هو نتيجة طلب من مروان، أو ممن يحب السلامة لمروان، كعائشة على سبيل المثال.

ويبدو: أنهم كانوا يعرفون: أن علياً «عليه السلام» قد يرضى بإعطاء الأمان لمروان، انطلاقاً من رغبته بحقن الدماء، ولكي لا يعطي الذريعة لأصحاب النفوس المريضة، لتشكيل مجموعات قتالية، تشغل بال المسلمين، وتتسبب بإزهاق بعض الأرواح.

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٢٣ و ١٢٤ الخطبة رقم ٧٣ وتذكرة الخواص ص٣٩٠ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٣٤ و ٢٣٥ و ٣٥٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٣٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٤٦ وإعلام الورى ج١ ص٣٤٠ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٤٦ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٦.

يضاف إلى ذلك: أن نفس النداء الذي أطلقه علي «عليه السلام»: من ألقى سلاحه فهو آمن، كافٍ في إعطاء الأمان لمن فعل ذلك.. وقد يدعي مروان ونظراؤه: أنه قد ألقى سلاحه، فلا مبرر لقتله.. مع العلم بأنه لم يلق سلاحه استجابة لهذه الدعوة، ورغبة في عدم القتال، بل ألقاه ليأسه من جدوى القتال، بعد أن وقعت الهزيمة على الجيش..

٢ ـ إن الحسنين «عليهما السلام» كانا أعرف الناس بما يفكر به والدهما، وكانا يعرفان جواب أبيهما مسبقاً، ولكنهما كانا يريدان للناس أن يسمعوا جوابه منه، فإن ذلك يزيد في بصيرتهم ومعرفتهم بما يريد علي «عليه السلام» أن يعرفهم إياه..

٣ ـ إن مروان قد حصل على النتيجة التي يريد، وهي أن يصبح في أمان من جهة علي «عليه السلام».

٤ ـ إنه قد طلب أن يبايع علياً «عليه السلام» زعماً منه أن بيعته له ستجعل علياً «عليه السلام» مطمئناً إليه، آمناً جانبه، معتقداً بوفائه بما عاهد الله عليه.. ثم هو يعمل في السر ما يحلو له، ويدبر المؤامرات ضد علي الغافل عنه بزعمه..

ولكنه فوجئ بيقظة علي التي أذهلته، وأفشلت تدبيره. ولأجل ذلك شد الرحال إلى الشام حين سنحت له الفرصة لذلك.

٥ ـ ومما زاد في حيرته وظهور فشله: أن علياً «عليه السلام» قدم الدليل على أن هذا الرجل من أهل النكث، وأن يده يد يهودية تمتد لإعطاء العهد بالوفاء، وهي تضمر الغدر..

وقد أوضح «عليه السلام»: أن الغدر ليس حالة عارضة في حياة مروان، بل هو طبيعة وخُلق، لأنه إنسان وصولي، وانتهازي، وهو يفقد الاحترام للمواثيق، ولا يؤمن بها، والغاية عنده تبرر الوسيلة، ولا يوجد لديه كوابح أخلاقية، أو إيمانية تفرض عليه سلوكاً معيناً. كما أنه لا يخجل مما يخجل منه الناس، بل يراه أمراً طبيعياً..

وقد أشار إلى جميع ذلك وسواه بقوله «عليه السلام»: لو بايعني بيده لنكث بسبَّته.

٦ ـ بقي أن نشير إلى أن كلمة «سوأة»، أو «أست»، أو «سبة» ليست من الألفاظ الفاحشة التي يحرم أو ينبغي التنزه عن التفوه بها، بل هي مثل كلمة الفرج، والقبل والدبر، والنكاح، والوطء، ونحو ذلك، فإنها كلها ليست مما يستقبح التصريح به، وكذلك الكلمات التي ذكرناها.

إمرة كلعقة الكلب أنفه:

ثم قال «عليه السلام»: «أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه». وهذا إخبار بالغائبات التي تحققت، وهي كناية عن قصر المدة، وسرعة انقضائها، حيث لم يحكم مروان أكثر من تسعة أشهر(١).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٥٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٤٧ وج١٥ ص٢٣٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٩٥ والأخبار الطوال ص٢٨٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١

ولعل هذه العبارة تشير أيضاً إلى أن ما يناله من اللذة والمتعة من إمرته تلك سيكون زهيداً، فهو بمقدار ما يناله الكلب إذا لعق أنفه.

وهذا الإخبار من دلائل إمامته «عليه السلام» في هذا الظرف بالذات الذي لا يريد أن يعتمد فيه على قوته العسكرية، ولا أن يفتخر بالنصر في ساحات الجهاد لإثبات حقانية مواقفه.

بل يريد أن يمازج بين النصر العسكري، الذي أخبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبيَّن كثيراً من فصوله، وحالاته، ونهاياته، وبين الحالة الوجدانية التي ينتجها الإخبار بالغائبات.. ولسنا بصدد تحقيق ذلك.

أبو الأكبش الأربعة:

ثم أتبع ذلك بخبر آخر، تضمن توسعة في دائرة الإخبار بالغائبات، لتشمل مرحلة طويلة يحكم فيها أربعة من أولاد مروان، ويكونون في حكمهم طغاة جبارين، وتلقى الأمة من مروان، ومن أولاده هؤلاء في حكمهم لها يوماً أحمر.

فدلَّ «عليه السلام» بذلك على أن الغائبات التي لديه لا تنحصر بمن سوف يكون له معهم حالة اشتباك، بل تشمل أزمنة وأشخاصاً لا ربط لهم

وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٧ وتجارب الأمم ج٢ ص١٠٥ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٦٢ و ٢٦٨ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٧٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٥١٠ وفتح الباري ج١٣ ص٦٢ وعمدة القاري ج١١ ص٤.

به، ولا صلة لزمانه بزمانهم.

سبعة من أفضل الخلق:

بعد هزيمة جيش عائشة في حرب الجمل، قصد علي «عليه السلام» في طائفة من أصحابه داراً في البصرة، وفيها نسوة أسمعنه بعض ما يكره، وقلن له: يا قاتل الأحبة.

فسأل عن منزل عائشة، فأومأن إلى حجرة في الدار، فدخل على عائشة، فجرى بينهما كلام، ثم خرج، ودل على الحجر التي كان فيها مروان وشباب من قريش، وعبد الله بن الزبير، ومن معه من الزبيريين، وشيخ أهل البصرة، ثم مضى بمن معه إلى المعسكر.

فقال لهم: ألا أخبركم بسبعة [هم] من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى؟!

قال أبو أيوب: بلى والله، فأخبرنا يا أمير المؤمنين، فإنك كنت تشهد ونغيب.

قال: فإن أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من بني عبد المطلب، لا ينكر فضلهم إلا كافر، ولا يجحد إلا جاحد.

قال عمار بن ياسر «رضي الله عنه»: ما اسمهم يا أمير المؤمنين، فلنعرفنهم؟!

قال: إن أفضل الناس يوم يجمع الله الخلق [و] الرسل محمد، وإن من أفضل الرسل محمداً «عليهم الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي، وإن أفضل الأوصياء وصي محمد «عليهما الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء، الشهداء. وإن أفضل الشهداء حمزة وجعفر بن أبي طالب، ذا جناحين يطير بهما مع الملائكة، لم يحل بحليته أحد من الآدميين في الجنة شيء شرفه الله به.

والسبطان الحسنان سيدا شباب أهل الجنة.

والمهدي يجعله الله من أحب منا أهل البيت.

ثم قال: أبشروا ـ ثلاثاً ـ ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا**﴾(١)»(٢).

ونقول:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» حين رجع إلى المعسكر لم يحدثهم بما جرى بينه وبين عائشة، ولا ذكر لهم من خبأتهم عندها.. ولم يتحدث لهم عن تصميماته المستقبلية، بل صرف عنان الحديث باتجاه آخر له منحى عقائدي وإيماني، يفترض بمن يبحث عن النجاة يوم القيامة أن يصغي إليه بشغف وانتباه.. لأنه «عليه السلام» قد وضع النقاط على الحروف في قضايا الإيمان والكفر، التي توصل إلى الجنة، أو إلى النار.

---

(١) الآيتان ٦٩ و ٧٠ من سورة النساء.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص١١١ ـ ١١٣ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٧٢ ـ ٢٧٤ عنه، وراجع: دعائم الإسلام ج١ ص٣٩٤

٢ ـ إن السبعة الذين تحدث عنهم «عليه السلام» كلهم من بني عبد المطلب، وكان ثلاثة منهم قد استشهدوا في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهم النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، وحمزة، وجعفر.

وثلاثة أحياء، وهم علي والحسنان «عليهم السلام»، وهم الذين حاربتهم عائشة، وسيحاربهم القاسطون في صفين، والناكثون في النهروان.

والسابع لم يكن قد ولد بعد، وهو الإمام الثاني عشر «صلوات الله وسلامه عليه».

٣ ـ إن أبا أيوب قد طلب منه «عليه السلام» بأن يخبرهم عن هؤلاء السبعة، معلناً أنه إنما يخبرهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كان يحضر ويغيبون، وليس اجتهاداً منه، ولا هو من حدسياته.

ويؤكد ذلك: أن الخبر الذي يريد أن يبلغهم إياه متصل بيوم القيامة، بواسطة المهدي «عليه السلام»، ولا يمكن معرفته إلا بالنقل عن متصل بالغيب، وهو النبي «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ قد ذكر «عليه السلام» أمراً لا يعرف أيضاً إلا من قبل مطلع على الغيب، وهو أن منكر فضل هؤلاء السبعة كافر، أو جاحد..

فالحكم بالكفر والجحود على المنكر لفضل هؤلاء إنما يأتي من قبل الله سبحانه، ويبلغه رسول الله «صلى الله عليه وآله» للأمة، لكي لا يقع أحد منها في محذور الكفر والجحود.

٥ ـ فيما يرتبط بالكفر والجحود نقول:

إن من يرى بأم عينيه فضل ذوي الفضل، ثم يبادر إلى إنكاره، فهو جاحد.

وإذا أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بفضل ذي الفضل، ولم يصدقه، وأصر على الإنكار، فهو كافر. وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بفضل هؤلاء السبعة بما لا يمكن لأحد التشكيك فيه. كما أن فضلهم قد ظهر وانتشر، ولم يعد خافياً على طالب، أو راغب.

فأمر المنكرين لفضلهم يدور بين الكفر والجحود كما قرره «عليه السلام».

الفصل الخامس:

مكاتبات قبل صفين..

أنا أبو الحسن والحسين:

كتب معاوية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يتهدده، ويتوعده بالحرب، وذلك بعد حرب الجمل، فأجابه «عليه السلام» ـ حسب نص البستي ـ:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

من عبد الله، وابن عبده علي بن أبي طالب، أخي رسول الله، وابن عمه، ووصيه، ومغسِّله، ومكفِّنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان..

أما بعد.. فإني أفنيت قومك يوم بدر، وقتلت عمك، وخالك، وجدك. والسيف الذي قتلتهم به معي الخ..»(١).

وحسب نص المفيد:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

أما بعد.. يا معاوية، فقد كذبت. أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٣ ص٢٨٩ ح٥٥٠ وشجرة طوبى ج١ ص١٠٥ ونهج السعادة للمحمودي ج٤ ص٨٢.

والحسين، قاتل جدك، وخالك، وأبيك الخ..»[١].

(الظاهر: أن الصحيح: «وأخيك». وأن ثمة تصحيفاً بين الكلمتين).

وقد ذكرنا في الجزء ٣٦ ص٤٠ ـ ٤٩ من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» أموراً حول مضامين هذه المكاتبات، لا نرى حاجة إلى إعادتها.

غير أننا نشير إلى أن رواية البستي لرسالته «عليه السلام» تدل على أنه يذكر الحسنين «عليهما السلام» بعنوان سبطي رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ويذكر نفسه بصفة أنه أب لهذين السبطين..

ومن الواضح: أن توصيف الحسنين «عليهما السلام» بسبطي الرسول «صلى الله عليه وآله» هو أمر يتفرد به الحسنان «عليهما السلام»، ويمتازان به على سائر الخلق.

ولأسباط الأنبياء خصوصياتهم وميزاتهم، في العلم والطهارة، والخلوص، والجامعية للصفات التي تظهر عظمة مقام النبوة، من خلال ما يرونه في الأسباط من صفات وسمات.

فالحسنان «عليهما السلام» سبطان لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بما هو رسول، وناطق، ومعبر، وحاك للمقاصد الإلهية، ولأجل ذلك كثر الاعتزاز

---

(١) الإختصاص ص١٣٨ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٨٦ وشجرة طوبى ج١ ص١٠٥ ونهج السعادة للمحمودي ج٤ ص٨٠.

بهما والثناء عليهما من قِبل النبي «صلى الله عليه وآله».

وهذا الاعتزاز النبوي بسبطيه، يدل على كمالهما خَلقاً وخُلقاً، وفي كل شيء، إذ كثر وصفه لهما بسبطيه، وابنيه، ونحو ذلك..

ولو كان فيهما قصور ذهني، أو عقلي، أو ديني، أو أخلاقي، أو سلوكي، أو نحو ذلك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يظهر هذا الاعتزاز بهما، ولا يثني عليهما هذا الثناء، ولا يعتبر هذا الأمر من المقامات لهما.

أما في النص الذي ذكره المفيد، فعلي «عليه السلام» يسجل لنفسه اعتزازه بكونه أبا الحسن والحسين «عليهما السلام»، ويجعل ذلك من مفاخره. وهذا يدل على عظمة الحسنين «عليهما السلام» في أنفسهما، وفي الأمة أيضاً.

وبعض الروايات ذكرت رسالة معاوية وجواب أمير المؤمنين «عليه السلام» في سياق آخر، جعلت للطرماح فيه دوراً عجيباً، ولكننا بعد البحث والتأمل في النص وجدنا فيها الكثير من الإشكالات والمؤاخذات التي لا تبقي مجالاً للثقة فيها، ولا للاعتماد عليها.

وقد ذكرنا الرواية وما فيها من هنات وإشكالات في كتابنا الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٣٦ ص٥٣ حتى ص٧٩، فراجع.

الحسين عليه السلام يحرض على جهاد معاوية:

وحين أراد علي «عليه السلام» المسير إلى صفين، خطب الناس، ودعاهم إلى الجهاد. ثم خطبهم الإمام الحسن «عليه السلام».

ثم قام الإمام الحسين «عليه السلام» خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، [و] الشعار دون الدثار، جدُّوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفة ما ذاع منكم.

ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جُرَعٌ متحسَّاة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يَألَمْ كُلومَها عند حلولها، فذاك صاحبها.

ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قَمِنٌ(١) ألا ينفع قومه، و [أن] يهلك نفسه.

نسأل الله بعونه أن يدعمكم بألفته.

ثم نزل(٢).

ونقول:

هناك أمور كثيرة أشار إليها الإمام الحسين «عليه السلام» في كلامه هذا، ونحن سنحاول الإشارة إلى بعضها، كما يلي:

---

(١) القَمَن، بفتح القاف أو كسرها وفتح الميم: الحريّ والخليق والجدير. راجع: لسان العرب ج١٣ ص٣٤٧.

(٢) راجع: وقعة صفين للمنقري ص١١٤ و ١١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١٨٦ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٠٥ و ٤٠٦ وجمهرة خطب العرب ج١ ص٣٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٣٩ عن كتاب الحسن والحسين سبطا رسول الله لمحمد رضا أمين (ط دار الكتب العلمية) ص١٥٢.

١ ـ إنه بدأ كلامه مع أهل الكوفة بمزيد من الرقة والحنان معهم. وقد وصفهم بثلاثة أوصاف:

أولها: أنهم أحبة.

الثاني: أنهم كرماء. ويبدو أن المقصود هنا معنى أعم من مجرد السخاء بالمال، ليشمل معنى الكرامة والشرف، والسؤدد، فهو كقولك: أخ كريم، وابن أخ كريم. وكقول ملكة سبأ: ﴿**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾(١).

الثالث: إنهم بالنسبة إلى أهل البيت: الشعار دون الدثار. والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد، ويفترض فيه أن يكون حنوناً عليه، حافظاً له من كل ما يؤذيه.

أما الدثار، فهو الثوب الذي فوق الشعار، وإنما يهتم الناس به لا لأجل حفظ الجسد، ووقايته، وإنما لأجل مظهره، لأنه هو الذي يتجملون به أمام الآخرين.

وهذا يدل على أن أهل الكوفة كانوا إلى ذلك الحين على علاقة طيبة بأهل البيت «عليهم السلام»، بالرغم من أن الذي اختط الكوفة، وجعلها مركزاً لجنده الذي يحارب في بلاد فارس هو عمر بن الخطاب.

وقد رأينا: أنه قد كان في الكوفة شخصيات شديدة الإخلاص لدينها، مهتمة بالالتزام بأحكامه، ولها تعلق برموزه الحقيقيين، وكانوا باستمرار يعملون على تصحيح المسار في سياسات عمال السلطة، ويكثرون الاعتراض عليهم، فينالهم منه الأذى، ويبتلون بالسجن والإبعاد، وغير ذلك من ضروب العدوان.

---

(١) الآية ٢٩ سورة النمل.

ولكن اللافت: أن أعداءهم والمناوئين لهم كانوا إذا ضاقت بهم السبل أحياناً يلجأون إلى هؤلاء الرجال، لمواجهة المعضلات، وحل المشكلات. فكم من مرة عجزوا عن تحقيق النصر على عدوهم، فيستعينون بأولئك الصفوة، وببركة صدقهم، وإخلاصهم، وشجاعتهم، وحسن تدبيرهم، وصحة سياساتهم، يحققون الأماني، ويصبح ما لم يكن ممكناً بحكم الحاصل.

وخلاصة الأمر: أن الإمام الحسين «عليه السلام» يقول لأهل الكوفة: إن للحب فروضاً ومسؤوليات، وللكرامة والسؤدد اقتضاءات وواجبات، وللشعار دون الدثار وظائف ومهمات. فعليهم أن يقوموا بها على أكمل وجه وأتمه.

٢ ـ ثم قال الإمام الحسين «عليه السلام» لأهل الكوفة: «جدوا في إحياء ما دثر بينكم». فقد يبدو لنا من قوله هذا: أن هناك معانيَ وحالات كانت قائمة بينهم، وهي من مظاهر صلاحهم، ومن موجبات فلاحهم ونجاحهم. فهو «عليه السلام» يطالبهم باستعادتها، بكل جد ونشاط، لأنها ضرورية لهم.

ولم يذكر «عليه السلام» لنا ما يدل على طبيعة هذه الأمور التي كانت بينهم، ثم دثرت، هل هي علاقات المودة والتواصل، أو هي الجهاد في سبيل الله، ولدفع أعداء الله عن العبث بالشرايع والأحكام، وردعهم عن ظلم عباد الله.. بعد أن أصبح همُّ الناس في الجهاد هو الدنيا، والأموال، والنساء، والإقطاع، وما إلى ذلك.

وهذه الكلمة تشير إلى أن الإنسان قد يتهاون في الحفاظ على بعض الأمور، فتتلاشى وتزول، دون أن يشعر. فعليه أن يراجع حساباته دائماً،

ويحفظ نفسه من أن تخسر ما ربحته، وتضيع ما وجدته.

ثم أشار «عليه السلام» إلى أمر آخر قلما يلتفت إليه الناس العاديون، فقد قال: «وإسهال ما توعر عليكم».

فدلنا بذلك: على أن الأمور التي تبدو صعبة، لا ينبغي الاستسلام لصعوبتها، والتوجس والخوف من عدم القدرة على التغلب على تلك الصعوبة، ثم الاستسلام للفشل، والشعور بالعجز، فإن الأمور المتوعرة تشبه الوعورة في المسالك، فكما تسهل تلك المسالك ببذل بعض الجهد، فإن الأمور المتوعرة يمكن تسهيلها أيضاً بجهد يبذل، وعزمة من عزمات الرجال.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: الأمور الوعرة، بل قال: «المتوعرة»، ليدل على أن وعورتها عارضة عليها، وليست أصيلة، ولا متجذرة فيها، ولا هي داخلة في أصل تكوينها.

٣ ـ ثم قال «عليه السلام»: «وألفة ما ذاع منكم». كأنه «عليه السلام» يريد أن يشير إلى انتشار أمورهم، وخروجها عن سيطرتهم، وصيرورتها في متناول أيدي الأغيار، جعلها تفقد الروابط فيما بينها، أو تكاد، حتى اشتبهت الأمور على المخلصين، وتصعبت، وبدا أن إعادة الأمور إلى نصابها غير متيسر.

ولكن الإمام الحسين يقول: لا ينبغي الاستسلام لهذا الشعور، فإن الأمور أيسر من ذلك، فبالإمكان لململة الوضع، ووضع كل شيء في موضعه، وإيجاد جوامع وروابط تعيد الأمور إلى نصابها، وتؤلف بين ما انتشر وتفرق وتشتت.

٤ ـ ثم إنه «عليه السلام» وصف الحرب لأهل الكوفة بما هي عليه في الواقع، فقال: «ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع

متحسَّاة»، فترى: أنه «عليه السلام» لم يهون أمرها، لأن صعوبتها، ومرارتها لا يمكن التغطية عليها، بل إن محاولة التغطية عليها في مثل هذا المقام خلاف الحكمة، وخلاف الشرع والدين، ولا يقبله العقل السليم، ولا المنطق المستقيم، وذلك لما يلي:

أولاً: في الحرب جراح وآلام، وقطع أعضاء، وفيها قتل، ويُتم أطفال، وترمل زوجات، وأعباء تنتقل من فريق إلى فريق، وتنشأ عنها مشكلات اجتماعية، وغير ذلك..

فلا يصح أن نخدع الناس بتهوين الأمر عليهم، لمجرد أننا نريد أن نصل إلى أهدافنا.

ثانياً: في الحرب مسؤولية شرعية تقع على عاتق المحارب تجاه نفسه، حيث لا يجوز أن يعرِّض نفسه لكل هذه المصائب المحتملة، بدون مجوز شرعي، لأنه يكون من الإلقاء بالنفس في التهلكة.

فلا بد له من التحقق من توفر المسوغ الشرعي له، ليقدم على هذا الأمر، فإذا ناله مكروه لا يكون مجرد قتيل، بل هو يريد أن يكون شهيداً مثاباً..

ثالثاً: في الحرب مسؤولية تجاه من يحاربه، من حيث جواز قتله أو جرحه، أو ما إلى ذلك.

رابعاً: الحرب تحتاج إلى نية القربة إلى الله سبحانه، فلا يجوز أن يقتل نفسه، ويقتل الناس لأجل الجاه، أو المال، أو ما إلى ذلك.. كما لا يجوز إكراه أحد عليها، أو خداعه فيها، لأن المطلوب فيها هو الرضا والاختيار التام، وقبول الاستشهاد، أو أي نوع من أنواع التضحية في ميدان الجهاد.

وهذا كله هو الذي يدعو الإمام الحسين «عليه السلام» ليرسم أمام أعين الناس صورة واقعية دقيقة عن الحرب.. لأنه لا يريد، ولا يجوز له أن يخدعهم، أو أن يقصر في بيان الحقيقة لهم.

٥ ـ وقد وصف «عليه السلام» الحرب بأنها: «جرع متحسَّاة» والجرع جمع جرعة، والتحسي ـ كما قال سيبويه ـ عمل في مهلة.. مما يعني: أن جرع الحرب لا تأتي بصورة متلاحقة، بل يكون بينها مهل، فمثلاً إذا جرح المقاتل، فهذه جرعة يعقبها محاولة معالجته، وبعد العلاج قد تنشأ أوضاع يحتاج معها هذا الجريح إلى بعض الأمور التي تيسر له حياته، بعد أن عرض لها بسبب الحرب ما أوجب صعوبتها. وقد تنشأ عن هذه الحاجة المستجدة مشكلات عائلية، ومشاجرات، وما إلى ذلك.

كما أن نفس معاناة القتال، والتعرض للسيوف والرماح والنبال، وتوقع الجرح، أو القتل إنما هو أمر متواصل يشعر به المقاتل آناً بعد آن.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «جرع متحسَّاة». أي تؤخذ بصورة متعاقبة، مع وجود مهلة.

٦ ـ إنه «عليه السلام» بعد أن قدم للناس الصورة الواقعية للحرب بين لهم: أن هذه الصورة لا تعني سقوط التكليف بالحرب للباغين والمعتدين والجبارين، لوجود معالجة صالحة تخفف من ويلات الحرب، والحد من آثارها. والمعالجة هي:

أولاً: أن يأخذ للحرب أهبتها. والتأهب قد يحصل بمجرد التهيؤ والإستعداد للنفر مع النافرين، وإن لم يشحذ سيفاً، ولم يصلح قوساً، ولا

هيأ رمحاً، ولا غير ذلك.

ثانياً: أن يهيئ عدتها، وما تحتاج إليه من آلات القتال، وما يحتاج إليه من وسائل يحتاجها لفرسه، أو لنفسه حين يكون في ساحة الحرب.

ثالثاً: أن لا يبالي كثيراً بالآلام التي تنشأ عنها عند حلولها. لأن الإنسياق مع الآلام، والركون إليها سوف يحبب له القعود عن الحرب، وتجنب الدخول فيما يحتمل أن يسبب له المزيد منها.

وأن يقتنع بأن التساهل في الحضور في ساحات الطعن والضرب أمر خطير عليه وعلى غيره من المسلمين، بل عدم حضوره قد ينتج عنه أمور أشد خطراً عليه فيما لو خاض الحرب وانتصر، أو استشهد.

٦ ـ ثم بين «عليه السلام» صفات من لا يصلح للحرب، فذكر له صفتين أساسيتين لا ترتبطان بالشجاعة والإقدام، ولا بالعدة والعدد، ولا بالتأهب والاستعداد.

بل ترتبطان بتقدير ظروف الحرب، وتحديد لحظة الإقدام والإحجام فيها، ولذلك قال «عليه السلام»:

«ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قَمِنٌ ألا ينفع قومه»، فذكر «عليه السلام»:

أولاً: أن النجاح مرهون بمعرفة اللحظة والفرصة المؤاتية لدخوله في الحرب، فإنه إن دخل فيها قبل أوان فرصتها، فإن جهده سوف يضيع، وسيكون أمر الانكسار والهلاك أقرب.

ثانياً: أن يعرف ما هو المطلوب منه في تلك الحرب، ويحدد وظائفه فيها،

فإنه إن دخل فيها بدون ذلك، فستكون تصرفاته عشوائية، ولا تنتهي أيضاً إلى نتيجة، بل يكون جهده ضائعاً، وبلا فائدة ولا عائدة.

صحيفة الإخبار عن الغائبات:

عن سليم، عن ابن عباس، قال:

«دخلت على علي «عليه السلام» بذي قار، فأخرج لي صحيفة، وقال لي: يا ابن عباس، هذه صحيفة أملاها علي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخطي بيده[(١)].

فقلت: يا أمير المؤمنين، اقرأها علي.

فقرأها، فإذا فيها كل شيء كان منذ قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مقتل الحسين «عليه السلام»، وكيف يقتل، ومن يقتله، ومن ينصره، ومن يستشهد معه.

فبكى بكاء شديداً، وأبكاني.

فكان مما قرأه علي: كيف يصنع به، وكيف تستشهد فاطمة، وكيف يستشهد الحسن. وكيف تغدر به الأمة الخ..»[(٢)].

---

(١) لعل الصحيح: بيدي.

(٢) كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج٢ ص٩١٥ والفضائل لابن شاذان ص١٤١ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٧٣.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ إن الإنسان قد يخبر عن أمر غيبي، ثم يتحقق ما أخبر به، وقد يأتي بالخبر مكتوباً، بتفاصيله، ودقائقه، وحالاته، وتواريخه، وما إلى ذلك.. فترى النفس تسكن إلى هذا الخبر المكتوب، وتختزنه كوثيقة معتمدة لها، ترجع إليها، وتأنس باستعادة مضامينها.

٢ ـ فكيف إذا كانت هذه الصحيفة مشحونة بمفردات كثيرة، وتفاصيل غزيرة؟!

٣ ـ وتتأكد أهمية الصحيفة إذا كانت بإملاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخط يد علي بن أبي طالب، وهما أقدس وأفضل من خلقه الله تعالى في هذا العالم.

٤ ـ إن هذه الصحيفة لم تتناقلها الأيدي، فلا يحتمل أن تكون قد تعرضت لأي جعل أو تصرف، أو زيادة ونقيصة، فابن عباس قد تلقاها من نفس كاتبها.

٥ ـ إن ما يسمعه ابن عباس في هذه الصحيفة إما أنه رآه، أو سيعيش ويشاهده بأم عينيه.

٦ ـ ذكرنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان في مجتمع قد ذاق شيئاً من طعم الدنيا في عهد أبي بكر وعمر وعثمان. ولم تعد تكفيهم القناعة العقلية للتخلي عن ملذاتهم، بل أصبحوا بحاجة إلى هزات عاطفية ووجدانية أيضاً. وكانت هذه الأخبار الغيبية، ولاسيما ما يرتبط منها بما يجري على الزهراء وبعلها، وبنيها من مآسيَ وآلام في سبيل الدين هي من هذه المفردات التي

كانوا بحاجة إليها حاجة ماسة.

من أدلة العصمة:

وقالوا: أتت امرأةٌ مجحٌ أميرَ المؤمنين «عليه السلام»، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني زنيت، فطهرني طهرك الله..

إلى أن تقول الرواية: فأمر أن يحفر لها حفيرة، ثم دفنها فيها. ثم ركب بغلته، وأثبت رجله في غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبابتين في أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته:

«يا أيها الناس، إن الله تعالى عهد إلى رسوله «صلى الله عليه وآله» عهداً عهده محمد «صلى الله عليه وآله» بأنه لا يقيم الحد من لله عليه حد.

قال: فانصرف الناس يومئذٍ كلهم ما خلا أمير المؤمنين، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد»(١).

ونقول:

---

(١) المحاسن للبرقي ج٢ ص٣١٠ والكافي ج٧ ص١٨٦ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٩ وج٦ ص٣٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٨ ص١٠٣ و (الإسلامية) ج١٨ ص٣٧٨ والمقتصر من شرح المختصر لابن فهد الحلي ص٤٠٣ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٩٠ وج٧٦ ص٤٥ ومرآة العقول ج٢٣ ص٢٨٢ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٢.

١ ـ هذه الرواية تدل على عصمة الأئمة علي، والحسن، والحسين «عليهم السلام» من ارتكاب الذنوب التي توجب الحد. وقد رأينا: أن أحداً من الذين انصرفوا لم يثر أي سؤال أو شبهة حول عصمتهم هذه، بالرغم من أن ما جرى ربما يكون قد أحفظ الكثيرين منهم، لأنه تضمن فضيحة قبيحة لجميع من جاء ليشارك في إقامة الحد، ثم منع من ذلك بهذه الطريقة..

ولعل بعض هؤلاء الناس لو وجد ذريعة ـ ولو كانت شايعة واهية من موتور أو حاقد ـ لتشبّث بها، للتخفيف من المصاب الذي ألمَّ به، ولتهدئة بلابل صدره.

٢ ـ ولعلك تقول: إن هذا الاشتراط الذي أثبته عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد يؤدي في بعض الأحيان إلى تضييع الحدود، أو على الأقل إلى صعوبة إجرائها، فإن هذه القضية قد حدثت في عصر كان فيه جيل الصحابة لا يزال حاضراً، وهم يدَّعون ما يشبه العصمة للصحابة، فإذا لم يوجد في ذلك الجمع أحد ليس لله في جنبه حد، باستثناء من نص الله تعالى في كتابه على تطهيرهم وعصمتهم، فما بالك بالأجيال اللاحقة التي انغمست في ملذات الدنيا، وباءت بالآثام؟! وكيف يمكن الركون إلى دعوى عدالة الصحابة، فضلاً عما هو أكثر من ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: بأن عدم وجود أحد بين ذلك الجمع يتوفر فيه الشرط المذكور، لا يعني أن لا يتوفر في جماعات أخرى أشخاص ليس في جنبهم حد لله. مع التفريق بين الحدود والتعزيرات وفق ما جرى عليه الفقهاء.

فقد يوجد شخص قد أحسن أهل بيته تربيته، وقد دخل لتوّه في سن البلوغ، ولم يرتكب بعدُ ما يوجب الحد.. فإن هذا ليس بعزيز.

ثانياً: لعل هذا الشرط ـ الذي جاء في الظاهر مطلقاً وشاملاً لكل حد ـ قد أُريدَ به تكريم من ثبت عليه الحد بإقراره الطوعي.

علماً بأن إجراء هذا الحد عليه سيعيده طاهراً مطهراً كيوم ولدته أمه.. فيستحق أن يكون تطهير هذا الساعي إلى الطهارة، متناسباً مع واقع نفسه، ومع ما يسعى إليه، ومع الذين يريد الله تعالى أن يكونوا الوسيلة التي يطهره بها.

٣ ـ يلاحظ: أن الذنوب وإن سقطت عقوبتها بإجراء العقوبة، أو بالعفو بسبب التوبة، أو بقانون «الجَبّ» في قوله «صلى الله عليه وآله»: «الإسلام يجبّ ما قبله».. وبغير ذلك من أمور.. ولكن ذلك لا يعني المحو المطلق لجميع آثارها، فهناك مراتب ومقامات تبقى محجوبة عن مرتكب بعض الآثام، كما هو الحال في من تلبَّس بالظلم في وقت ما، فإن ذلك يحرمه من أن يناله عهد الله تعالى بالإمامة. فقد قال تعالى عن إبراهيم «عليه السلام»: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**(١).

وليكن ما ورد في هذه الرواية، من أن الله تعالى عهد إلى رسوله محمد «صلى

(١) الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

الله عليه وآله»: بأنه لا يقيم الحد من لله عليه الحد. هو من المفردات المشابهة.

شفاعة أبي طالب:

سأل أحدهم الإمام علياً «عليه السلام» في رحبة الكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب في النار؟!

فقال له: مه، فض الله فاك!! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم! أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟!

ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ومن ولدته من الأئمة، لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بألفي عام(١).

---

(١) الأمالي للطوسي ص٣٠٥ و ٧٠٢ والمحاسن ص٤ حديث٢ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص٩٥ و ٩٦ و (ط دار سيد الشهداء ـ قم) ص٧٤ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٦٩ و ١١٠ والإحتجاج ج١ ص٥٤٦ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٤٠ وكنز الفوائد ج١ ص١٨٣ و (ط٢ سنة ١٣٦٩ هـ ش) ص٨٠ وكشف الغمة ج٢ ص٨٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٤٢ والغدير ج٧ ص٣٨٧ وبشارة المصطفى ص٢٠٢ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣١٢ وماءة منقبة لابن شاذان ص١٥٣ وخاتمة المستدرك ج٥ ص٢٠ ومائة منقبة

ونقول:

١ ـ رأينا أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد تغيظ على رجل إلى حد الدعاء عليه بأن يفض الله فاه، لمجرد طرحه سؤالاً عليه، حول إيمان أبي طالب «عليه السلام».

٢ ـ لم تصرح الرواية بسبب هذا الانزعاج منه «عليه السلام»، فهل كان «عليه السلام» يعرف أن ذلك الرجل يعرف الحق ويجحده، بهدف التشنيع على علي «عليه السلام»، بأمر يعرف بطلانه، باعتبار أن شهرة إيمان أبي طالب، والدلائل عليه كانت كالنار على المنار، بل يكون التشكيك في إيمانه «عليه السلام» كالتشكيك في إيمان الأنبياء، وأوصيائهم، وهذا لا يكون إلا من عدو جاحد، ومن خبيث معاند؟!

أم أن سبب انزعاجه «عليه السلام» هو نفس الشبهة و انتشارها، فأراد أن يواجهها بحزم وقوة ليحدّ من إنتشارها وتداولها؟!

لمحمد بن أحمد القمي ص١٧٤ وكنز الفوائد ص٨٠ والعقد النضيد والدر الفريد ص٣٠ والصراط المستقيم ج١ ص٣٣٦ والصافي (تفسير) ج٤ ص٩٧ والدرجات الرفيعة ص٥٠ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٢٣١ و (ط مؤسسة البعثة) ج٤ ص١٩٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج٩ ص٥١٧ وتأويل الآيات ج١ ص٣٩٦ ـ ٣٩٧ وغاية المرام ج١ ص١٦٣ وج٢ ص٢٩٣ والدرجات الرفيعة ص٥٠ وإيمان أبي طالب للشيخ الأميني ص٧٨.

و السبب هذان الأمران معاً؟!..

٣ ـ يدل كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» على أن أبا طالب أفضل من سائر الأنبياء وأوصيائهم، باستثناء نبينا «صلى الله عليه وآله»، وعلي، وفاطمة، والحسنين، والأئمة التسعة من ولد الحسين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

فإن إطفاء نور أبي طالب لأنوار جميع الخلق باستثناء المعصومين الأربعة عشر معناه: أنه أفضل من جميع الخلق، ما عدا من ذكرهم «عليه السلام».

٤ ـ ويدل على هذه الأفضلية لأبي طالب على سائر الخلق، ما عدا المذكورين: أن نوره «عليه السلام» إنما قد خلق مع أنوار النبي والأئمة قبل خلق آدم بألفي عام.

٥ ـ لعل إطفاء أنوار الخلائق بنور أبي طالب يوم القيامة إنما هو لإظهار هذا المقام العظيم له، الذي لم يتسن له الظهور في الدنيا، بسبب كيد الأعداء، وشبهاتهم وأضاليلهم، فيظهره الله تعالى في الآخرة.

٦ ـ إن هذا الحديث يدل على أن أصحاب الأنوار الخمسة ـ والحسنان «عليهما السلام» منهم ـ هم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين أيضاً. والمعرفة بفضل هؤلاء يزيد من تعلق الناس بهم، والسعي لمعرفة سيرتهم، والاهتداء بهديهم..

٧ ـ يستفاد من كلام علي «عليه السلام»: أن السائل كان يقر بإيمان أبي طالب «عليه السلام»، ولكنه يدَّعي أن الشفاعة لا تناله.

فأجاب «عليه السلام»:

أولاً: إن أبا طالب لا يحتاج إلى الشفاعة، لأنه هو نفسه يشفع بالخلائق، لاسيما وأنه قد بلغ في علو درجته أنه لو شفع بكل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم.

ثانياً: إن كان ولده قسيم الجنة والنار، ويستطيع أن يوصل أباه إلى الجنة، ولو بالشفاعة، فلماذا لا يفعل ذلك؟! إلا إذا فرض أن هذا الولد ليس باراً بأبيه.. وهذا افتراض باطل.

ثالثاً: إذا كان نور أبي طالب قد خلق مع المعصومين الأربعة عشر، قبل خلق آدم بألفي عام، ويطغى نوره على أنوار جميع الخلائق، ما عداهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، فهل يعقل أن يكون في النار؟!

الحسين خير لابنتك:

روى أحمد بن أبي عبد الله البرقي في (المحاسن)، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: أتى رجل أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال له: جئتك مستشيراً: إن الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر خطبوا إلي!!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: المستشار مؤتمن. أما الحسن، فإنه مطلاق للنساء. ولكن زوجها الحسين، فإنه خير لابنتك[١].

---

(١) المحاسن للبرقي ج٢ ص٦٠١ وروضة المتقين ج٤ ص٢٦٩ وهداية الأمة للحر

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ إنه «عليه السلام» لم يشر في جوابه لذلك الرجل إلى عبد الله بن جعفر، لا من قريب ولا من بعيد، رغم علمنا بمحبة واهتمام أمير المؤمنين «عليه السلام» بابن جعفر.. ولكن حين يراد المقارنة بين الحسن والحسين، وكذا سائر الأئمة الطاهرين المعصومين «عليهم السلام»، فالمعيار هو ما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنَّا (نحن) أهل بيت لا يقاس بنا أحد»[1].

العاملي ج٧ ص٣٦٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص٤٣ وج٢٢ ص٩ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٢٧ وج١٥ ص٦٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وج٧٢ ص١٠١ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٦٠ و ٦١.

(١) راجع: بحار الأنوار ج٦٥ ص٤٥ وكنز العمال ج١٣ ص٩٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٠٤ وينابيع المودة ج٢ ص٦٨ و ٨٣ و ١١٤ و ١١٧ وذخائر العقبى ص١٧ والدر النظيم ص٧٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٣٠٤ و ٣٧٨ و ٣٧٩ وج١٨ ص٤٤٣ وج٢٢ ص٥٢٣ و ٥٢٤ وج٢٤ ص٥٨١ وج٣٣ ص١٤٣ وعن منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٥ ص٩٤ وعن كنوز الحقائق للمناوي ص١٦٥ وعن كتاب آل محمد للمردي (مصورة مكتبة السيد الأشكوري)

وورد ذلك عن أمير المؤمنين أيضاً[١]. وقد روي هذا النص عن الإمام الصادق «عليه السلام»[٢]. وعن الباقر «عليه السلام» أيضاً[٣].

ص١٨٣ وعن غريب الحديث لابن الجوزي (ط سنة ١٤٠٥هـ) ج٢ ص٣٨٩ وأرجح المطالب ص٣٣٠ وعن مفتاح النجا للبدخشي، وعن الفردوس ج٤ ص٢٨٣ وفرائد السمطين ج١ ص٤٥.

(١) راجع: شرح الأخبار ج٢ ص٢٠٢ وبحار الأنوار ج٢٦ ص٢٦٩ وج٣٥ ص٣٤٧ وكشف الغمة ج١ ص٣١ وكشف اليقين ص١٩١ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» للشيخ الصدوق ج١ ص٧١ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٥١ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٣٣ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٧ وغاية المرام ج٧ ص١٥٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢١٣ ونهج الحق ص٢٥٣ ودلائل الصدق ج٦ ص٤٢٩ وينابيع المودة ج١ ص٤٥٩ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢١١ و ٣٦١ وتهذيب الكمال ج١٤ ص١٩٥.

(٢) راجع: معاني الأخبار ص١٧٩ والإختصاص للشيخ المفيد ص١٣ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٤٣٤ و ٤٣٥ والدرجات الرفيعة ص٢٣٦ و ٢٣٧ وعلل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص١٧٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٣١٢ و (الإسلامية) ج٧ ص٢٢٦ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٠٦ و ٤٠٧.

(٣) راجع: نوادر المعجزات ص١٢٤ وعيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب ص٧٣ ومدينة المعاجز ج٤ ص٤٣٠ وج٥ ص١٢١ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٢٧٨.

٢ ـ تضمنت هذه الرواية ما يشبه الطعن بالإمام الحسن «عليه السلام»، والثناء على الإمام الحسين «عليه السلام»، وتفضيله على أخيه الإمام الحسن «عليه السلام». فقد دلت على أن زوجات الإمام الحسين «عليه السلام» يكنَّ أكثر سعادة، وحظهنَّ معه أوفر. وأما نساء الإمام الحسن فأقل سعادة معه..

مع أن المفروض أن يكون الإمام ـ كل إمام ـ مهتماً بإسعاد الناس بكل ما يقدر عليه، فإن ذلك من موجبات المثوبة له عند الله، والإمام لا يزهد بالمثوبة الإلهية، بل هو طامع بها، ويلاحقها أينما وجدت.

٣ ـ إن إمامة الإمام الحسن «عليه السلام»، وعصمته، ونزول آية التطهير، وسورة هل أتى في حقه تدفع عنه كل ما يراد انتقاصه به، وتفرض أن يكون أكمل وأفضل البشر في كل شيء.

٤ ـ لماذا يقدم الإمام الحسن «عليه السلام» على أمر يؤذي النساء المؤمنات من دون ذنب أتينه؟!

٥ ـ لا نرى أن مقام الإمامة يقتضي كثرة الطلاق منه لزوجاته، وإلا لوجدنا هذه الخصوصية في سائر الأئمة «عليهم السلام» أيضاً.

٦ ـ كما أن كثرة الزواج تستدعي كثرة الأولاد، ولم نجد عند الإمام الحسن ما يصح أن يكون مصداقاً لهذه الكثرة.

٧ ـ إن كثرة الطلاق تستدعي تعيير الأعداء، وعلى رأسهم معاوية، وانتقاصهم إياه بهذا الأمر.

الفصل السادس:

هنـــا كربـــلاء..

استشهاد الحسين في كلام علي:

ويلاحظ: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ألمح وصرح باستشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» مرات عديدة، نذكر هنا نماذج ثلاثة منها هي التالية:

١ ـ عن محمد بن جعفر الرزاز القرشي، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن علي بن النعمان، عن عبد الرحمان بن سيابة، عن أبي داود السبيعي البصري، عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين، والحسين «عليهما السلام» إلى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسين «عليه السلام» ثم قال: إن هذا يقتل ولا ينصره أحد.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله ان تلك لحياة سوء.

قال: إن ذلك لكائن[1].

٢ ـ عن محمد بن جعفر الرزاز، عن خاله محمد بن الحسين، عن نصر

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه ص٧١ و(ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤١٧هـ) ص١٤٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٤٨ ومعجم رجال الحديث ج١٢ ص٥٩ وج٢٢ ص١٦١.

بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن يزيد بن إسحاق، عن هاني بن هاني، عن علي «عليه السلام»، قال: ليقتل الحسين قتلا، وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل عليها قريباً من النهرين[١].

٣ ـ روى إسماعيل بن صبيح، عن يحيى بن المسافر العابدي، عن إسماعيل بن زياد [قال]: إن علياً «عليه السلام» قال للبراء بن عازب ذات يوم: يا براء، يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره.

فلما قتل الحسين «عليه السلام» كان البراء بن عازب يقول: صدق والله علي بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره. ثم يظهر على ذلك الحسرة والندم[٢].

ونقول:

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه ص٧١ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤١٧هـ) ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ص١٤٩ ومعجم رجال الحديث ج١٢ ص٥٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص٣٣١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٢ وراجع ج٤١ ص٣١٥ والعوالم، الإمام الحسين ص١٤٩ والدرجات الرفيعة ص٤٥٣ ومعجم رجال الحديث ج٤ ص١٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٣٤٥ وكشف اليقين ص٧٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٧٠ و(ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٠٥ و١٠٦ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٨١.

١ ـ ولى معاوية البراء بن عازب اليمن، وكان قد كتم حديث الغدير، ولم يعترف به في إحدى مناشدات أمير المؤمنين للناس، فدعا عليه «عليه السلام»، فاستجاب الله دعاءه(١).

٢ ـ إن تخلفه عن نصرة الإمام الحسين «عليه السلام»، ولاسيما بعد أن أخبره أمير المؤمنين «عليه السلام» بذلك يدل على أنه مخذول، ومرذول، ولا يستحق الاهتمام.

٣ ـ إن قول أمير المؤمنين «عليه السلام» للبراء هذا الكلام يدل على أنه سوف يعيش إلى ما بعد واقعة كربلاء، وهو سليم معافى، وعلى أنه ستبقى لديه القدرة على النصرة، ولكنه لا يفعل ذلك.

٤ ـ إن هذا من الإخبارات الغيبية التي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» ينشرها بين الناس، لتكون من دلائل إمامته «عليه السلام»، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خصه بعلوم ومعارف لم تكن عند أحد سواه.

كما أن ذلك من أسباب حفظ إيمان الناس، وترشيده، ومن لم يكن لديه

---

(١) قاموس الرجال ج٢ ترجمة البراء بن عازب. وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٦٢ وج٧ ص٢٠٠ وج٩ ص٢٥ والغدير ج١ ص١٩٠ وخلاصة الأقوال ص٧٨ ورجال ابن داود ص٥٤ والتحرير الطاووسي ص٩٤ والمناشدة والاحتجاج بحديث الغدير ص٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٣٥ وج٨ ص٧٤٦.

من الإيمان ما يحسن السكوت عليه، فإن هذه الإخبارات إذا تحققت أمام عينيه، تكون حجة عليه.

٥ ـ ذكرت الرواية الأولى: أن الحسين «عليه السلام» يُقتل، ولا ينصره أحد، وهذا يدل على تدني مستوى التقوى والإيمان لدى الناس في تلك الفترة إلى ما دون الصفر. فقد كان نصره «عليه السلام» واجباً على الأمة بأسرها.

ويكفي أن نذكر: أنه «عليه السلام» قد ترك مكة في يوم التروية، وأخبر الأمة كلها بأنه ذاهب إلى حتفه، وأن النساء والأطفال سوف يبتلون بالسبي، ولكن أحداً من حجاج بيت الله الحرام، لم يعرض عليه نصره، ولا طلب أن يكون معه، بل تركوه يغادر مع عياله وأطفاله، وأهل بيته، والذين استشهدوا معه من أصحابه، وكأنهم لا يعرفونه..

أضف إلى ذلك تراجع أهل الكوفة عن البيعة التي أخذها له منهم سفيره مسلم بن عقيل، وتخلوا عن مسلم، حتى استشهد..

كما أن الناس من سائر الأقطار لم يلحقوا به، ولم يرغبوا في أن يكونوا تحت لوائه «عليه السلام».

٦ ـ إن هذه النصوص التي أشارت لاستشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، لم تتضمن حدثاً صنعه الحسين نفسه، لأن غرض علي «عليه السلام» من هذه الإخبارات الغيبية للناس هو فيما يبدو استثمار هذه الأخبار المرتبطة بالحسين «عليه السلام»، وما يجري عليه في ترشيد الحالة الإيمانية للناس، وفي إسقاط ما يواجهه «عليه السلام» من كيد سياسي، وفتك إعلامي بالحقائق والمسلمات الدينية على أيدي الحاقدين، والمأجورين لهم، الذين

يريدون طمس معالم الدين بما يشيعونه من ترهات وأباطيل..

ويلاحظ القارئ الكريم: أننا لا نستقصي ولا نتوسع في إيراد هذه النصوص، بل نكتفي بمجرد إثارة الفكرة بما يحقق الغرض، ونترك سائر النصوص رهينة لحصافة القارئ الكريم، ودقة الملاحظة، وسلامة المقارنة.

علي عليه السلام في كربلاء:

قال المنقري:

قال: حدثني مصعب بن سلام، قال أبو حيان التميمي، عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء، صلى بنا صلاة، فلما سلم رفع إليه من تربتها، فشمها، ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب(١).

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته ـ وهي جرداء بنت سمير، وكانت متشيعة لعلي «عليه السلام» ـ فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن؟! لما نزلنا كربلا رفع إليه من تربتها، فشمها، وقال: واهاً لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟!

فقالت: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يقل

(١) صفين للمنقري ص١٤٠.

إلا حقاً(١).

فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي «عليه السلام» وأصحابه، قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى القوم، وحسين «عليه السلام» وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزل بنا علي «عليه السلام» فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري.

فأقبلت على فرسي، حتى وقفت على الحسين «عليه السلام»، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال الحسين: معنا أنت، أو علينا؟!

فقلت: يا ابن رسول الله، لا معك ولا عليك. تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد.

فقال الحسين «عليه السلام»: فول هرباً، حتى لا ترى لنا مقتلاً، فوالذي نفس محمد «صلى الله عليه وآله» بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل، ولا يغيثنا،

---

(١) صفين للمنقري ص١٤٠ و ١٤١ والأمالي للصدوق ص١٩٩ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤١٩ وج٤١ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وج٤٤ ص٢٥٥ و ٢٥٦ والعوالم، الإمام الحسين ص١٤٧ ونهج السعادة ج٢ ص٢٨٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١٦٩ و ١٧٠ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٥٠٤.

إلا أدخله الله النار.

قال: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي علي مقتله(١).

روى نصر، عن مصعب بن سلام، قال: حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندي، عن أبي جحيفة، قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب.

فسأله، وأنا أسمع، فقال: حديث حدثتنيه عن علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم، إلى علي «عليه السلام»، فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده، ويقول: هاهنا، هاهنا.

فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟!

قال: ثقل لآل محمد «صلى الله عليه وآله» ينزل هاهنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم.

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟!

قال «عليه السلام»: ويل لهم منكم، تقتلونهم. وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم إلى النار(٢).

---

(١) صفين للمنقري ص١٤١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج١١ ص١١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٤٦ وراجع: شرح الأخبار ج٣ ص١٤١ و ١٤٢ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٥٠٤ و ٥٠٥.

(٢) صفين للمنقري ص١٤١ و ١٤٢ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٢٠ وج٤١ ص٣٣٨

وقد روى المنقري هذا الكلام على وجه آخر:

أنه «عليه السلام» قال: فويل [لكم منهم، وويل] لكم عليهم.

قال الرجل: أما ويل لنا منهم، فقد عرفت (عرفناه)، وويل لنا عليهم، ما هو؟!

قال «عليه السلام»: ترونهم يقتلون، ولا تستطيعون نصرهم(١).

روى نصر، عن سعيد بن حكيم العبسي: عن الحسن بن كثير، عن أبيه: أن علياً «عليه السلام» أتى كربلاء، فوقف بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء؟!

قال «عليه السلام»: ذات كرب وبلاء.. ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم. وأومأ بيده إلى موضع آخر، فقال «عليه السلام»: ها هنا مهراق دمائهم(٢).

ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٠٤ ونهج السعادة ج٢ ص١٣٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١٧٠ و ١٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٤٢.

(١) صفين للمنقري ص١٤٢ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٢٠ وج٤١ ص٣٣٨ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٤٣.

(٢) صفين للمنقري ص١٤٢ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٢٠ وج٤١ ص٣٣٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص١٧١ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٠٤

ويقول ابن أعثم:

وأصبح «عليه السلام» سائراً، حتى نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات، وأبصر هنالك نخيلاً.

فقال: يا ابن عباس! أتعرف هذا الموضع؟!

فقال: لا يا أمير المؤمنين، ما أعرفه.

فقال «عليه السلام»: أما إنك لو عرفته كمعرفتي، لم تكن تجاوزه، حتى تبكي لبكائي.

قال: ثم بكى علي «عليه السلام» بكاء شديداً، حتى اخضلت لحيته بدموعه، وسالت الدموع على صدره.

ثم جعل يقول: أواه! ما لي، ولآل أبي سفيان!!

ثم التفت «عليه السلام» إلى الحسين «عليه السلام»، فقال: اصبر أبا عبد الله! فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي[١].

قال: ثم جعل علي «عليه السلام»، يجول في أرض كربلاء، كأنه يطلب شيئاً، ثم نزل ودعا بماء، فتوضأ وضوء الصلاة، ثم قام، فصلى ما شاء أن

وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٤٣.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٢ و ٤٦٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٥٥١ و ٥٥٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج٦ ص٥٩.

يصلي، والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى إلى شاطئ الفرات.

قال: ثم خفق برأسه خفقة، فنام وانتبه فزعاً.

فقال «عليه السلام»: يا ابن عباس! ألا أحدثك بما رأيت الساعة في منامي؟!

فقال: بلى يا أمير المؤمنين!!

فقال «عليه السلام»: رأيت رجالاً بيض الوجوه، في أيديهم أعلام بيض، وهم متقلدون بسيوف لهم، فخطوا حول هذه الأرض خطة، ثم رأيت هذه النخيل، وقد ضربت بسعفها الأرض، ورأيت نهراً يجري بالدم العبيط، ورأيت ابني الحسين «عليه السلام»، وقد غرق في ذلك الدم، وهو يستغيث، فلا يغاث[1].

ثم إني رأيت أولئك الرجال البيض الوجوه، الذين نزلوا من السماء، وهم ينادون: صبراً آل الرسول صبراً! فإنكم تقتلون على أيدي أشرار الناس، وهذه الجنة مشتاقة إليك يا أبا عبد الله!

ثم تقدموا إلي فعزوني، وقالوا: أبشر يا أبا الحسن! فقد أقر الله عينك بابنك الحسين «عليه السلام» غداً يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثم إني انتبهت.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٥٥٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج٦ ص٦٠.

فهذا ما رأيت.

فوالذي نفس علي بيده! لقد حدثني الصادق المصدوق، أبو القاسم «صلى الله عليه وآله»، أني سأرى هذه الرؤيا بعينها في خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كربلاء، التي يدفن فيها ابني الحسين «عليه السلام»، وشيعته، وجماعة من ولد فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، وأن هذه البقعة المعروفة في أهل السماوات تذكر بأرض كرب وبلاء، وليحشرن منها قوم يدخلون الجنة بلا حساب(١).

ثم قال «عليه السلام»: يا ابن عباس! اطلب لي حولها صيران الظباء، فطلبها ابن عباس، فوجدها.

ثم قال: يا أمير المؤمنين! قد أصبتها.

فقال علي «عليه السلام»: الله أكبر! صدق الله ورسوله.

ثم قام علي «عليه السلام»، يهرول نحوها، حتى وقف عليها، ثم أخذ قبضة من بعر الظباء، فشمها، فإذا لها لون كلون الزعفران، ورائحة كرائحة المسك، فقال علي «عليه السلام»: نعم، هي هذه بعينها.

ثم قال «عليه السلام»: أتعلم ما هذه يا ابن عباس؟!

قال: لا يا أمير المؤمنين!

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٣ و ٤٦٤ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٥٥٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج٦ ص٦٠ و ٦١.

فقال «عليه السلام»: إن المسيح عيسى بن مريم، قد مر بهذه الأرض، ومعه الحواريون، فشم هذا البعر كما شممته، وأقبلت إليه الظباء، حتى وقفت بين يديه، فبكى عيسى، وبكى معه الحواريون، وهم لا يدرون لماذا يبكي عيسى «عليه السلام»؟!

فقالوا: يا روح الله! ما يبكيك؟! ولماذا اختلست ههنا؟!

فقال «عليه السلام» لهم: أتعلمون ما هذه الأرض؟!

قالوا: لا يا روح الله!

فقال «عليه السلام»: هذه أرض يقتل عليها فرخ الرسول أحمد المصطفى «صلى الله عليه وآله»، وفرخ ابنته الزهراء «عليها السلام»، قرينة الطاهرة البتول، مريم بنت عمران.

ثم ضرب بيده عيسى إلى بعر الظباء، فشمه، وقال: يا معشر الحواريين! هذا بعر الظباء على هذا الطيب لا [نه] كان [من] حشيش هذه الأرض.

ثم مضى عيسى ابن مريم «صلوات الله عليه»، وقد بقيت هذه البعرات إلى يومنا هذا من ذلك الدهر، حتى إنها قد اصفرت لطول الزمان عليها، فهذه أرض الكرب والبلاء.

قال: ثم بكى علي «عليه السلام»، وقال: يا رب عيسى! لا تبارك في قاتل ولدي، والعنه لعناً كثيراً!

ثم اشتد بكاء علي «عليه السلام»، وبكى الناس معه، حتى سقط على وجهه، وغشي عليه.

ثم أفاق، فوثب، فصلى ثماني ركعات، وسلم من كل ركعتين، فكلما

سلم جعل يتناول من ذلك البعر، فيشمه، ويقول: صبراً أبا عبد الله! صبراً يا ثمرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وريحانة حبيب الله!!

ثم أخذ كفاً من ذلك البعر، فصره في ثوبه، وقال «عليه السلام»: لا يزال هذا مصروراً أبداً، أو يأتي علي أجلي.

ثم قال «عليه السلام»: يا ابن عباس! إذا رأيتها من بعدي، وهي تسيل دماً عبيطاً، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل.

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أشد تحافظاً لها بعد علي بن أبي طالب، وأنا لا أحلها عن طرفي(١).

ونقول:

المرأة على يقين وزوجها في شك:

قد أظهرت قصة هرثمة بن سليم كيف أن المرأة كانت مؤمنة بالغيب، الذي يأتي به علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ليقينها بأنه لا يقول ذلك من عند نفسه، وإنما هو أمر أخذه من رسول الله «صلى الله عليه وآله». فأصبحت مصداقاً ظاهراً لقوله تعالى: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾(٢).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٤ و ٤٦٥ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٥٥٢ و ٥٥٣.

(٢) الآيتان ٢ و ٣ من سورة البقرة.

وهذا توفيق إلهي لهذه المرأة لم يوفق إليه زوجها.. الذي بالرغم من أنه بعد ما يقرب من ربع قرن ينخرط في جيش ابن زياد، ويأتي إلى كربلاء، ويرى بأم عينيه المواضع التي أخذ منها أمير المؤمنين «عليه السلام» التراب وشمه، وأخبر عما يجري في ذلك الموضع على ولده.

ولكنه لا يلجأ إلى معسكر الإمام الحسين «عليه السلام»، ليحارب جيش يزيد، مع أنه قد انخرط في جيش ابن سعد لحرب الحسين «عليه السلام»، بل يختار الهرب على نصرة إمامه. ظناً منه أنه قد نجا بنفسه!! وهيهات..

أنت لنا أم علينا؟!:

يلاحظ: أن هذا الرجل ـ أعني هرثمة بن سليم ـ يحكي قصته للناس، ويسجل على نفسه هذا التصرف الشائن، فقد اعترف للإمام الحسين «عليه السلام» بما رآه وسمعه من أبيه في طريق صفين، حين وصل كربلاء.. فالمفروض بمثل هذا الشخص أن يكون مع الحسين «عليه السلام».. فإن هذه الإخبارات الغيبية للإمام علي «عليه السلام» لا تترك للإنسان المؤمن العاقل خياراً.

ولأجل ذلك، ولأن الخيار الصحيح كان كالنار على المنار.

سأله الإمام الحسين «عليه السلام» عن قبوله بهذا الخيار، فقال له: معنا أنت، أو علينا.

فأجاب جواباً غريباً وعجيباً، حيث قال: لا معك، ولا عليك.. فمن لم تنفع معه تلك الدلائل التي رآها في طريق صفين، ثم عاين تطبيقاتها حرفاً فحرفاً، وكلمة بكلمة، فأي شيء ينفع معه؟!

وقد أتبع قوله للإمام الحسين «عليه السلام»: لا لك، ولا عليك، بقوله: تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد.

ولكن ليت شعري ألم ير هرثمة: أن عائلة الحسين «عليه السلام» كانت في خطر، لأنها حاضرة في كربلاء؟! ألم يفكر فيما سيجري عليها بعد قتل الحسين وصحبه؟!

وكان أفضل إجراء يتخذه الإمام الحسين تجاه هذا الشخص، هو: أن يفسح له المجال، ليذهب حيث شاء، ويحدث الناس بما رأى، وما سمع، وما فعل، ليكون هو الذي يفضح نفسه، ويثبت كرامة للإمام الحسين «عليه السلام»، بما يفضح نفسه به، ويعرف الناس: أنه الإمام المظلوم الذي أخبر الله ورسوله ظالميه بمظلوميته، ولم يردعهم ذلك عن ظلمه وقتله، فأي كفر هذا الذي نراه من هؤلاء؟!

علي عليه السلام لا يعلم الغيب ذاتاً:

إن هرثمة بن سليم قد بادر إلى تكذيب الخبر الذي صدر عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، على أساس أنه «عليه السلام» لا يعلم الغيب.

ونحن نصدقه في أنه «عليه السلام» لا يعلم بالذات، لكنه يعلم الغيب بالتعليم من الله ورسوله، أو بجعل الله قوة فيه تمكنه من الحصول على هذا العلم.

جزاء من لا يغيث الإمام عليه السلام:

إن الإمام الحسين أمر هرثمة بأن يولي هارباً، لأنه لا يرى أحد مقتلهم،

ثم لا يغيثهم إلا أدخله الله النار.

ونقول:

إن الإمام حافظ للدين، فالتفريط بحافظ الدين تفريط بالدين نفسه. وهذا يحتم على كل مكلف أن يبادر إلى حفظه، ومن كان بعيداً لا يعذر في ترك نصرته، لأن غيبته إنما تكون عذراً له إذا كانت نتيجة العجز عن الوصول إليه، أو عدم معرفته بتعرض الإمام والدين للخطر.

ولكننا نقول:

المورد هنا ليس من هذا القبيل، فإن هذا الرجل يعلم أن الإمام في خطر، ولا يزول علمه هذا بالابتعاد عن الإمام أو الاقتراب منه..

فما معنى أن يأمره الإمام بالابتعاد والهرب، حتى لا يعرض نفسه لخطر الدخول في النار؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن هذا الرجل لم يكن مصدقاً حتى بما أخبر به أمير المؤمنين «عليه السلام» في البداية، ولعله لم يصدق بها حتى بعد مشاهداته لكل حركة، وفي كل موضع.. وإن كان قد خاف من احتمال وقوع شيء من ذلك، فآثر الابتعاد. وهذا معناه: أنه إذا غاب عما يجري، فإنه يبقى على شكه في حصول ما يخشاه.

ويؤكد هذا المعنى: أن الإمام «عليه السلام» قد قال له: إن حضوره لحظة مقتله هو الذي يوجب له العذاب في النار، فإن غاب لحظة القتل، وحصل في غيابه فلا شيء عليه. وحين أمره بالهرب لم تكن الحرب قد شرعت بعد.

وهذا معناه: أن شك ذلك الرجل في حصول شيء للإمام لا يضره، ما

دام لم يشهد حصول ذلك الشيء المشكوك.

ثانياً: كان بإمكان هذا الرجل أن يكون في جملة شهداء كربلاء، ولكنه هو الذي اختار أن لا يكون في جملتهم، فلا ينال مقام الشهادة، لأن نيله يحتاج إلى نية صادقة، وقصد صحيح. ولم يكن هذا الأمر موجوداً لدى ذلك الشخص.

كما أنه لم يكن يعرف الإمام والإمامة حق المعرفة، بل كان لا يقبل إخبارات أمير المؤمنين «عليه السلام» الغيبية، لأنه لم يكن بنظره يعلم الغائبات، فهل تراه يعتقد بالإمام الحسين «عليه السلام» أكثر مما يعتقده في أبيه؟! إن مسار الأحداث لا يؤيد هذه المقولة.

هذا هو قسم الإمام!!:

يلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أقسم لهرثمة بقوله: «فوالذي نفس محمد «صلى الله عليه وآله» بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل، ولا يغيثنا، إلا أدخله الله النار».

مع أن المألوف والمتوقع هو أن يقسم الإنسان بما يعود إليه، فيقول:

فوالذي نفسي بيده، أو فوالذي نفس الحسين بيده، فما الذي دعاه «عليه السلام» للعدول عن تلك الصيغة إلى هذه الصيغة؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن هذا من قبيل التغليظ على النفس بالقسم، فإن نفس النبي «صلى الله عليه وآله» أغلى من نفس الحسين «عليه السلام». فهو كما لو أقسم عند الحجر

الأسود في الكعبة، لكي يقنع الطرف الآخر بما يقول.

ومما يؤكد الحاجة إلى التغليظ في القسم أن الكلام مع شخص يرى فصول المعجزة تتجسد أمام عينيه بعد حوالي ربع قرن من إخباره عن فصولها، ثم لا يؤمن، ولا يستجيب، بل يهرب من مواجهة المسؤولية.

وربما أراد «عليه السلام» من القسم بهذه الطريقة الإلماح إلى أن هذا الخبر صادر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

كيف حدد علي عليه السلام الأمكنة:

إن السؤال الذي يحتاج أيضاً إلى جواب هو: أن تحديد المكان الذي ينيخون فيه ركابهم، والإشارة إلى ذلك المكان إشارة حسية، ثم تحديد مكان وضع رحالهم، وتحديد موضع سفك دمائهم، وموضع سبي نسائهم. والإخبار عن وجود الظباء، والأخذ من بعرها الذي مضت عليه المئات من السنين ـ إن ذلك كله ـ يشي بأن علياً «عليه السلام» كان قد جاء إلى ذلك المكان، أو أنه استدل عليها ممن يعرف كل هذه التفاصيل، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى عرَّفه إياها، كما رجحه بعض الأخوة.

أو لعلها مُثِّلت له. إما من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أن الله تعالى مثَّلها له مباشرة، من دون توسيط الرسول «صلى الله عليه وآله». فرأى وعرف، وحفظ..

وحصول هذا الأمر لأئمة أهل البيت «عليهم السلام» الذين أعطاهم الله سبحانه، ما لم يعط أحداً من العالمين ليس بالأمر البعيد، فقد أعطاهم الله ما هو أعظم وأجل من ذلك.

كيف نفهم: املكوا عني هذا الغلام؟!:

إنه «عليه السلام» قد صرح في حديثه مع ابن عباس في كربلاء، بأن آل أبي سفيان هم الذين سوف يقتلون ولده..

ولعلك تقول:

إن هذا يدل على أن الحسين «عليه السلام» سوف لا يصيبه شيء في حروب الجمل وصفين وسواهما، فما معنى أن يقول «عليه السلام» لأصحابه في صفين ـ عن الإمام الحسين «عليه السلام» ـ: املكوا عني هذا الغلام لا يهدني الخ..

ونجيب:

بأن الإخبار عن استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء قد بلغ حد التواتر واليقين..

وقد يقال:

إنه اعتضد ذلك بما دل على عدم عروض البداء لمضمونه، لأنه من فعل واختيار البشر أنفسهم، والله تعالى لا يتدخل فيما يختاره البشر، بل قد يقال أيضاً: إن نفس جعل الأئمة من ذريته «عليه السلام» بمثابة دلالة على الالتزام الإلهي بعدم التدخل، وعدم حصول البداء في هذا الأمر.

غير أننا نقول:

أولاً: قد يقال: إن جعل الأئمة من ذرية الحسين «عليه السلام» إنما هو تفضلٌ من الله تعالى، وكرامة له، وتسلية لأمه وأبيه، وجده وأخيه، وسواهم.

وقد روي في حديث المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أنه سئل فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن «عليهما السلام»، وهما جميعاً ولدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟!

فقال «عليه السلام»: إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك؟!

وإن الإمامة خلافة [من] الله عز وجل، ليس لأحد أن يقول: لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟! لأن الله هو الحكيم في أفعاله، ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾(١)»(٢).

وفي نص آخر: عن الطالقاني عن ابن عقدة عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن هشام بن سالم قال:

«قلت: للصادق جعفر بن محمد «عليه السلام» الحسن أفضل أم الحسين؟!

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٢) الخصال للصدوق ص٣٠٥ وبحار الأنوار ج١٢ ص٦٦ وج٢٣ ص٧٠ وج٢٥ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج٢٦ ص٣٢٣ والبرهان (تفسير) ج١ ص٣١٧ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٤٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٨ ص٤٠٠ و ٤٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٨ ص٤٠١.

فقال: الحسن أفضل من الحسين.

قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟!

فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين، ألا ترى أنهما كانا شريكين في النبوة، كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة؟ وإن الله عز وجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون.

قلت: فهل يكون إمامان في وقت؟!

قال: لا إلا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه وأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا.

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟!

قال: لا إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله عز وجل: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(١) ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة»(٢).

ثانياً: إن ذلك لا يمنع من أن يكون جعل الأئمة من ذريته مرهوناً بقيام

(١) الآية ٢٨ من سورة الزخرف.

(٢) كمال الدين ص٤١٦ و ٤١٧ وبحار الأنوار ج٢٥ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٨٥٣ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٣٤١ و ٣٧٦ و ٣٧٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج٨ ص٢٣٥ .

أبيه وأخيه «عليهما السلام»، وأمه أيضاً، وغيرهم «صلوات الله وسلامه عليهم» بواجبهم في حفظه ونصره، وعدم تعريضه للأخطار التي تهدد حياته، ولاسيما في مثل حروب الجمل، وصفين والنهروان، وفي أي حروب وأخطار أخرى قد تفرض نفسها عليه وعليهم، كحروب الخوارج في زمن معاوية، أو غير ذلك..

ومرهوناً أيضاً بسعي الحسين «عليه السلام» نفسه لتهيئة ظروف حفظ ذريته في الإمام السجاد والباقر «عليهما السلام» في كربلاء من أن يتعرضا لأي مكروه من جيش يزيد، ثم أن تقوم السيدة زينب بالعمل بوصية الإمام الحسين «عليه السلام» لها يوم عاشوراء، بأن تحفظ له العيال والأطفال بعد قتله.

فخشية الإمام علي «عليه السلام» على ولده في صفين لعلها تدخل في هذا السياق، كما هو ظاهر.

اصبر أبا عبد الله:

يلاحظ: أن علياً «عليه السلام» لما جعل يقول: أواه، ما لي ولآل أبي سفيان، التفت إلى الحسين «عليه السلام» وقال: اصبر أبا عبد الله، فلقد لقي أبوك منهم، مثل الذي تلقى من بعدي.

فقد تضمنت كلمته «عليه السلام» هذه أموراً، حيث يلاحظ:

أولاً: إن الحسين «عليه السلام» كان حاضراً وناظراً لما يجري، وقد خاطبه أبوه «عليه السلام» بتلك الكلمات المؤثرة.. ولكننا لم نسمع جواباً من الإمام الحسين «عليه السلام» لأبيه. ولعل سبب سكوته «عليه السلام»: أن المطلوب هو استكمال علي «عليه السلام» الإخبار الغيبي، في سياقه التطبيقي

الحسي، بعيداً عن خلطه بغيره مما هو من قبيل التحليل النظري، أو تسجيل الموقف، أو فسح المجال للتوهج العاطفي، وغير ذلك.

لأن الإخبار التطبيقي الحسي من شأنه أن يحول الحدث الغيبي من كونه مفهوماً ذهنياً، ليجعله حركة حية، وواقعاً معاشاً، تحتضنه الذاكرة، وتحنو عليه المشاعر.

ثانياً: إنه «عليه السلام» لم يوجه للإمام الحسين «عليه السلام» سؤالاً يتوقع أو يطلب منه جوابه.. كما أنه لم يوجه إليه كلاماً يحتاج إلى تتميم، أو يتطلب التعبير عن موقف تجاهه، بل طلب من الإمام الحسين «عليه السلام» الصبر على ما يلقى من آل أبي سفيان.

وهو كلام كما يمكن التعليق عليه بأنواع من الكلام، كذلك يمكن اعتباره كنصيحة من أب مشفق عطوف، يريد الخير لولده، فلا بد من بذل الجهد في امتثالها حرفياً، وبدون أي تردد، أو انتقاص..

وهذا الموقف الأخير هو الأحرى بالإمام الحسين «عليه السلام» الذي يبحث عن الخير والحق ليطبع حياته، وليكون نهجه، وخلقه، ولينال به رضى ربه، ورضا والديه، ويدخل السرور على قلب كل محب له.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد ضمن كلامه إخبار الإمام الحسين «عليه السلام» بطبيعة المآسي والآلام التي سوف يواجهها من آل أبي سفيان، وهو إخبار على شكل إعطاء النظير والمثيل، فقد قال له: «فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي».

يتحدث علي عليه السلام عن عاشوراء بالذات:

ولعلك تقول: إن هذه الفقرة لا تدل على ذلك، أو فقل: إن الواقع في عاشوراء شيء وما جرى لعلي «عليه السلام» شيء آخر، فيبدو: أنه «عليه السلام» بكلمته هذه يريد أن يخبر الحسين «عليه السلام» عن أحداث أخرى غير ما جرى وما سيجري عليه يوم عاشوراء.. حيث لم يجر على علي «عليه السلام» ما يشبه ما جرى في عاشوراء.

فهو إذن يتحدث عن أمور ليس فيها ذبح أطفال، وقطع رؤوس، وسبي نساء و.. و.. الخ..

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» إنما يصف لولده ما يجري عليه بعناوينه العامة، التي من شأنها أن تبين له النظائر التي تحمل معها المعنى الأعمق.

فكأنه يقول له مثلاً: إن بني سفيان سيسعون لذبحك، وذبح كل ناصر ومحب لك، والبطش بكل صغير وكبير، وطفل وشيخ، وعالم وجاهل، وغني وفقير، وامرأة ورجل، وإيصال الأذى إليهم. كما سعوا لذبح أبيك وإيصال الأذى إليه في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعبر التآمر على حياته وحياة محبيه في عهود تلت عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم سعوا إلى تحقيق هذا الهدف في حرب الجمل، ثم في صفين، ثم ما سيشهده الناس من محاولات لقتل كل من يتشيع لهم ويحبهم من قبل معاوية وآل أبي سفيان في عهد معاوية، إلى أن ينتهي الأمر إلى ما جرى بعد ذلك في عاشوراء، وما لحقها من سياسات أكلت الأخضر واليابس.

أقر الله عينك بابنك الحسين عليه السلام:

ويتابع «عليه السلام» كلامه مع ابن عباس، ويذكر له الرؤيا التي رآها عن النهر الذي يجري بالدم العبيط، وقد غرق فيه ابنه الحسين، وهو يستغيث ولا يغاث. وعن الرجال البيض الذين نزلوا من السماء، ثم تقدموا إليه، فعزوه، وقالوا:

«أبشر يا أبا الحسن! فقد أقر الله عينك بابنك الحسين «عليه السلام» غداً يوم يقوم الناس لرب العالمين».

وقد ذكر «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبره بأنه سيرى هذه الرؤيا بعينها في خروجه لقتال أهل البغي عليه.

ونقول:

أولاً: إن الرجال البيض الذين نزلوا من السماء قد اعتبروا ما يجري على الحسين «عليه السلام» من غرقه بالدم من موارد البشارة التي توجب الشعور بالرضى والاعتزاز.. ولكنهم اعتبروها بشارة أخروية وحسب..

ومن المعلوم: أن رؤيا الإمام والنبي «صلوات الله عليهما وآلهما» تأتي كفلق الصبح في وضوحها وفي صحتها وواقعيتها، وهي صادقة دائماً، وليست أضغاث أحلام.

ثانياً: إن ما جرى في عاشوراء فيه أذايا، وآلام، ومرارات، وقتل، وذبح أحبة، وقطع أيدي وأرجل، وسبي نساء وأطفال، وعدوان وظلم هائل، وجوع وعطش، واضطهاد، وما إلى ذلك.

ولكن ذلك كله يكون في الآخرة تاج كرامة، ورضا إلهي، وزلفى وقربى،

وقرة عين للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولفاطمة وعلي «عليهما السلام».

بعر الظباء في صيرانها:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» أمر ابن عباس بأن يبحث له عن صيران الظباء، فبحث عنها فوجدها، فقال علي «عليه السلام»: «الله أكبر! صدق الله ورسوله». ثم قام «عليه السلام» يهرول نحوها..

ثم أخذ قبضة من بعرها، فشمها، فإذا لها لون كلون الزعفران، ورائحة كرائحة المسك الخ.. ثم ذكر «عليه السلام» مرور عيسى «عليه السلام» أيضاً بكربلاء، ومعه الحواريون، فشم هذه البعرات، ثم ذكر «عليه السلام» للحواريين أن الحسين «عليه السلام» فرخ الرسول «صلى الله عليه وآله»، وفرخ ابنته الزهراء «عليها السلام» سيقتل في هذا الموضع..

وذكر علي «عليه السلام» أن البعرات اصفرت لطول الزمان عليها، لأنها هي نفسها التي كانت في زمن عيسى «عليه السلام». ثم أخذ علي «عليه السلام» ـ بعد أن بكى حتى غشي عليه ـ قبضة من تلك البعرات، فصيرها في ثوبه، وقال لابن عباس: «إذا رأيتها من بعدي، وهي تسيل دماً عبيطاً، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل».

ونقول: لاحظ ما يلي:

١ ـ الصوار: القطيع من بقر الوحش. العدد أصورة، ويجمع على صيران[١].

---

(١) العين للفراهيدي ج٧ ص١٥٠.

٢ ـ إن هذا الحديث يدل على بقاء عبد الله بن عباس حياً إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو أكبر من الحسين «عليه السلام» سناً ما بين أربع إلى سبع سنوات.. وهذا الإخبار أيضاً من دلائل إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام».

٣ ـ إنه «عليه السلام» يثق بأن ابن عباس يحفظ أمانته، ولا يفرط بها، وكان ابن عباس صحيح الاعتقاد بإمامة علي «عليه السلام».

٤ ـ إن هذه القضية تشبه حدث القارورة التي أودعها النبي «صلى الله عليه وآله» عند أم سلمة.

٥ ـ إنه «عليه السلام» لو سعى هو لطلب صيران الظباء ـ أي جماعاتها، ووجدها وأخذ من بعرها، فلربما شكك بعض أهل الباطل، بأن هذا من اختراعاته «عليه السلام»، فإنه بمجرد أن رأى الظباء خطر له أن يقوم بما قام به تمويهاً على الناس.

أما إذا كان «عليه السلام» مع الناس، ولم يفارقهم، وقد رأى إلى تلك اللحظة ما رأوا فقط، ثم أرسل ابن عباس ليبحث عن صيران ـ أي قطعان ـ الظباء التي لا مجال للاطمينان لبقائها في مكان بعينه، فإن اهتداء ابن عباس إلى موضعها، لا يبقي مجالاً للطعن في صحة ما يخبر به «عليه السلام».

٣ ـ ويؤكد هذا المعنى، وأنه مستند إلى الوحي: وجود هذه البعرات التي اصفرت بسبب تقادم العهد.. وهذا يؤكد أيضاً صحة ما أخبر به عن عيسى «عليه السلام».

٤ ـ كما أن كون رائحة تلك البعرات كرائحة المسك.. وهي لا تكون

كذلك في الظروف العادية، لا بد أن يرسخ اليقين أكثر فأكثر بصحة ما يخبر به «عليه السلام».

٥ ـ والأمر الأهم، والأصرح والأوضح دلالة: إخباره «عليه السلام» عن أن هذه البعرات سوف تسيل دماً عبيطاً حين استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» الذي سوف يأتي بعد حوالي ربع قرن من الزمن.

الفصل السابع:

قتال الحسين عليه السلام في صفين..

الحسنان على خيل الميمنة في صفين:

قال ابن أعثم: «عبَّى علي بن أبي طالب «عليه السلام» أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين، سبطا النبي «صلى الله عليه وآله»..»[1].

ونقول:

١ ـ إن جعل الحسنين «عليهما السلام» على خيل الميمنة، أو على الميمنة والميسرة معناه: أنه لم يؤمر عليهما أحداً، وهذا المتوقع بالنسبة لمن جعلهما الله ورسوله إمامين، حيث لا ينبغي أن يؤمر أحد على النبي والإمام.

٢ ـ إن جعل الحسنين «عليهما السلام» في هذا الموقع الحساس يجعلهما في معرض الخطر، ويثير الرغبة لدى فرسان الأعداء في أن يقصدوهما بالسوء.. ولاسيما إذا كان الذي يدير معركة الأعداء هو عمرو بن العاص، ومعاوية، ومروان، وأضرابهم من الحاقدين، الساعين في طمس دين الله.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٣ ص٣١ و ٣٢ و (ط دار الأضواء) ج٣ ص٢٤ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٥٧٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٥٢ ومستدركات علم رجال الحديث للشيخ النمازي الشاهرودي ج٨ ص١٣٤.

٣ ـ إن قدرتهما «عليهما السلام» على الخروج سالمين من أتون هذه المعركة يدلل على أن لديهما مهارات قتالية عالية، لا يمكن تجاهلها.

الحسين ومحمد يقتلان مولى أبي سفيان:

روى المنقري عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، قال: مر علي «عليه السلام» يومئذ ومعه بنوه [الحسن والحسين ومحمد] نحو الميسرة، [ومعه ربيعة وحدها]، وإني لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه.

فكان كل ولد منهم يتقدم على أبيه، ليحول بين أبيه وبين أهل الشام، لكي لا يروه، أو لكي يقع نبلهم فيه هو دون أبيه.

فكان علي «عليه السلام» إذا فعل ولده ذلك أخذ بيده، وجره إلى الخلف، ورده عن هذا الفعل..

فهذا كان حال أبنائه، وحاله مع أبنائه.. فيكره علي «عليه السلام» ذلك، فيتقدم عليه، فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك، فيلقيه بين يديه، أو من ورائه (غير مكترث به).

فبصر به أحمر ـ مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية ـ فقال علي «عليه السلام»: ورب الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك، أو تقتلني!

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي «عليه السلام»، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، وخالط علياً «عليه السلام» ليضربه بالسيف، فانتهزه علي «عليه السلام» فتقع يده في جيب درعه، فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علي «عليه السلام»، ثم ضرب

به الأرض فكسر منكبه وعضده.

وشد ابنا علي «عليه السلام» عليه: الحسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما [حتى برد].

فكأني أنظر إلى علي «عليه السلام» قائماً وشبلاه يضربان الرجل، حتى إذا أتيا عليه أقبلا إلى أبيهما، والحسن معه قائم، قال: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟!

قال: كفياني يا أمير المؤمنين(١).

ونقول:

دل هذا النص على أمور، منها ما يلي:

١ ـ إنه «عليه السلام» كان بصدد تفقد الوحدات المختلفة، ليرى سير العمل فيها. إذ لا يكفي تحديد الوظائف والواجبات للأمراء والقادة، ثم ترك الأمور إليهم، وإلى همة الناس معهم، ومدى شعورهم بالمسؤولية، فإن هذا من موجبات وهن العمل والفشل، والخيبة..

وحين يذهب «عليه السلام» لتفقد الوحدات، فإنه لم يكن «عليه السلام»

(١) صفين للمنقري ص٢٤٩ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٦٩ ونهج السعادة ج٢ ص٢٠٣ و ٢٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص١٩٨ والدرجات الرفيعة ص٤٢١ و ٤٢٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٨ ـ ٢١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص١٢ و ١٣ والكامل في التاريخ ج٣ ص٢٩٨ و ٢٩٩.

ليختار طريقاً منعزلاً يمكنه أن يتستر فيه عن عدوه، لأن هذا التصرف من مظاهر الخوف الذي يُطْمِع العدو، ويوهن عزم الولي. بل هو يختار الطريق الذي يراه عدوه بوضوح، ويمطره بوابل نبله ولا يهتز، ولا يعجل، ولا يتلكأ.

٢ ـ إنه كان يصطحب أولاده الثلاثة في تنقلاته تلك، ولعله لكي يراهم العدو والصديق، ويعرف الناس أنهم في متن المعركة، ولم يكونوا في أمكنة يتقون فيها السلاح.. بل هم يراقبون مع أبيهم مسارها. ويعرفون كل ما يجري فيها.

٣ ـ إن النبل الذي كان ينصب على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو في طريقه إلى ميسرة جيشه كان يستقر على عاتقه ومنكبيه «عليه السلام».

وكان أولاده الثلاثة يجهدون في أن يكونوا هم الهدف لهذه النبال دونه. فكان «عليه السلام» يكره ذلك منهم، ويحب أن يناله النبل، ولا يدفع عنه أحد، أي أنه كان ثمة شعور متبادل، فهو يكره من أولاده هذا التصدي الخطير لنبل العدو. ويؤثر أن يصيبه دونهم.

وكان أولاده يؤثرون أن يصيبهم النبل دونه، ويفدونه بأنفسهم.

٤ ـ إنه «عليه السلام» كان يتقدم على ولده ليصبح هو الحائل بينه وبين أهل الشام؛ لكي يكون هو المستهدف بنبالهم.

٥ ـ ثم كان «عليه السلام» يعمد إلى تلك النبال التي انحطت عليه، فيأخذها بيده، ويلقي بها بين يديه، أو من وراء ظهره. وهي حركة تدل على عدم الاكتراث بذلك النبل، وكأنه مجرد حطب، يُلقى به في أي اتجاه كان على سبيل الاستخفاف به، وبمن رماه.

٦ ـ ثم ذكر النص المتقدم كيف أخذ علي «عليه السلام» أحمر مولى بني أمية، وضرب به الأرض حتى كسر منكبه وعضده..

ثم تولى الحسين «عليه السلام» وأخوه محمد الإجهاز على ذلك الشرير. وبقي الإمام الحسن مع أبيه يراقب ما يجري، من دون مشاركة فعلية لأخويه في قتل ذلك الرجل..

فسأل علي «عليه السلام» ولده الإمام الحسن عن سبب عدم مشاركته لأخويه، فقال له: كفياني يا أمير المؤمنين.

ولعل علياً «عليه السلام» أراد بسؤاله هذا: أن يبطل ترهات أهل الباطل، حيث قد يزعمون أن للإمام الحسن «عليه السلام» سياسة تخالف سياسة أبيه، وأنه كان يرى الصلح مع معاوية هو الأصح، أو أنه كان يرى عثمان مظلوماً، أو ما إلى ذلك من مزاعم..

أما الحسين «عليه السلام»، فهو رجل جريء لا يهتم لسفك الدماء. ولذا بادر إلى قتل أحمر.

وكلمة: «كفياني» قد دلت على أن الحسن «عليه السلام» كان يرى أن عليه أن يبادر أيضاً إلى قتل ذلك الرجل، فلما أنجز أخواه المهمة سقط التكليف عنه..

ويبدو لنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان في تلك اللحظة يحاول أن يقي أباه بنفسه، فلم يكن يرى أنه يحق له إشغال نفسه بغير ذلك، لكي لا ينتهز العدو الفرصة، ويناله بسوء.

٧ ـ وقد يتوهم متوهم: أن ما كان يفعله الحسنان «عليهما السلام» لم

يكن يرضي أباهما، ولذا كان «عليه السلام» يأخذ بأيديهما، ويجعلهما خلفه، ليكون «عليه السلام» هو المواجه لأهل الشام دونهم.

وهذا توهم باطل، فإن تكليف ابنيه هو أن يحفظا أباهما الإمام المعصوم من نبل الأعداء، لعلمهما بأن حفظه واجب كحفظ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما أن عملهما هذا تعليم للناس لما يجب عليهم تجاه الإمام «عليه السلام».

أما تكليفه هو «عليه السلام»، فهو أن يكره ذلك منهما، ويؤثر ما عند الله على هذه الحياة أولاً، ولأنه أيضاً يجب عليه حفظ الحسنين، لأنهما وديعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنده.. لأن حفظهما مقدمة لحفظ الإمامة في ذريتهما.

الحسنان عليهما السلام لا يخلان بمركزيهما:

ذكر العياشي وغيره: أن علياً «عليه السلام» قد نهى في صفين العباس بن ربيعة، والحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر أن لا يخلوا بمركز، أو يباشروا حدثاً[1].

---

(١) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج٣ ص٢٣٥ ـ ٢٤٣ و (ط دار الأضواء) ج٣ ص١٤١ ـ ١٤٥ وراجع: بحار الأنوار ج٣٢ ص٦٠٠ و ٥٩ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٩ ـ ٨٠ والبرهان للبحراني ج٢ ص١٠٨ وكشف الغمة ج١ ص٤٥٠

ونقول:

قد يتوهم متوهم: أن هذا الأمر يدل على إمكانية حدوث الإخلال بالمراكز من قبل الحسنين «عليهما السلام» أيضاً، وهذا ينافي صفة العصمة لهما، إذا كان هذا الإخلال يؤدي إلى إفساد الخطة، وإلحاق الضرر.

وإن لم يؤد إلى ذلك، فإن نفس أن يباشر الإنسان حدثاً لم يؤذن له فيه من قبل من يعتبر إذنه، وهو أمير المؤمنين «عليه السلام»، يعد مخالفة لا تصدر عن المعصوم.

ويجاب:

أولاً: إن النهي المتوجه لمجموعة من أشخاص عن فعل شيء بعينه لا يعني أن الجميع سوف يقعون في المخالفة، إذ قد يكون الخطاب للجميع، والمقصود واحد، ولكن لا مصلحة في تعيينه.

فيكون النهي على قاعدة: «إياك أعني، واسمعي يا جارة»، ويكون اليقين بعصمة الحسنين «عليهما السلام»، من خلال آية التطهير وغيرها هو الشاهد على أنهما غير معنيين بالنهي، وإنما وجه الخطاب للجميع لمصالح

و ٤٥١ ومطالب السؤول ص١٢٤ و (ط أخرى) ص١٦٤ الفصل رقم ٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٢١٩ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص١٧٩ ـ ١٨١ ومروج الذهب ج٣ ص١٨ ـ ٢٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١١٩ و ١٢٠.

اقتضت ذلك، بل قد تقتضي التشديد في النهي أيضاً.

ويمكن أن نذكر نظائر لهذا في قوله تعالى لنبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله»: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(١).

وقوله تعالى لنبيه أيضاً: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(٢).

مع أن النبي المعصوم لا يمكن أن يشرك، ولا يمكن أن يتقول على الله تعالى.

ثانياً: لعل من جملة فوائد تعميم النهي للحسنين: أن لا يشعر العباس بن ربيعة، وعبد الله بن جعفر بأنهما متهمان، ويساء الظن بهما.

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» حين يتعامل مع الناس في الشأن العام لا يستثني الإمام المعصوم، بأن يجعل له أحكاماً تميزه عن غيره، بل يصدر أوامره وأحكامه على نسق واحد. لأن الناس يفهمون ذلك على أنه عصبية، وتمييز لأبنائه بلا مبرر. كما أنه «عليه السلام» هو نفسه لا يتعامل مع الناس بما هو معصوم عن الخطأ والسهو والنسيان، بل بما هو مطالب بإنجاز واجب، لا يتوانى عنه، ولا يسوف فيه.

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

(٢) الآيات ٤٤ ـ ٤٦ من سورة الحاقة.

الحسين عليه السلام وعبيد الله بن عمر:

وقال المنقري: وبعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن [الحسين] بن علي «عليهم السلام» فقال: إن لي إليك حاجة فالقني.

فلقيه الحسن [الحسين] «عليهما السلام» فقال له عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئوه، [وذكروا: أنه هو الذي قتل عثمان]، فهل لك أن تخلفه [تخلعه وتحالف غيره] ونوليك هذا الأمر؟!

قال: كلا والله لا يكون ذلك.

ثم قال له الحسن [الحسين]: لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك، أو غدك.

أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك، حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق، تُري نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله، ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال: فو الله ما كان إلا كيومه أو كالغد، وكان القتال(١).

وعند ابن أعثم:

أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لعبيد الله: كلا والله لا أكفر بالله، وبرسوله، وبوصي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إخس ويلك من شيطان مارد! فلقد زين لك الشيطان سوء عملك،

---

(١) صفين للمنقري ص٢٩٧ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٨٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٢٣٣.

فخدعك حتى أخرجك من دينك باتباع القاسطين، ونصرة هذا المارق من الدين، لم يزل هو وأبوه حربين وعدوين لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فوالله ما أسلما ولكنهما استسلما خوفاً وطمعاً!

فأنت اليوم تقاتل عن غير متذمم، ثم تخرج إلى الحرب متخلقا، لترائي بذلك نساء أهل الشام، ارتع قليلاً فإني أرجو أن يقتلك الله عز وجل سريعاً.

قال: فضحك عبيد الله بن عمر، ثم رجع إلى معاوية، فقال: إني أردت خديعة الحسين وقلت له: كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته.

فقال معاوية: إن الحسين بن علي لا يخدع وهو ابن أبيه(١).

ونقول:

هنا أمور عديدة تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

أولاً: إن الرواية المتقدمة كما نسبت إلى الحسين «عليه السلام» وعبيد الله بن عمر، كما في الفتوح لابن أعثم، فقد نسبت إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، وعبيد الله بن عمر، كما في صفين للمنقري.

ثانياً: إن هذا العرض من عبيد الله بن عمر غريب وعجيب، فإن هذا الرجل لم يكن غبياً، ولا جاهلاً بما قاله وفعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» تجاه أمير المؤمنين «عليه السلام»، والتأكيد على إمامته، وخلافته بعده. وما له من مقام عند الله ورسوله..

---

(١) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج٣ ص٣٩ و ٤٠ و (ط دار الأضواء) ج٣ ص٥٧.

كما أنه لم يكن ليخفى عليه مقام الحسن والحسين «عليهما السلام» عند الله ورسوله، وطبيعة تفكيرهما، وعلاقتهما بأبيهما، ونهجهما، وسلوكهما، ومدى التزامهما بنهج أبيهما، وشدتهما في إنجاح أطروحته، ومحاربة عدوه.

ثالثاً: لنفترض: أن الحسين «عليه السلام» قد قبل بتغيير فكره، ونهجه، فكيف يمكن أن يصل إلى الغاية التي حددها له ابن عمر، وهل يمكنه أن يثق بأن يفي له معاوية، حتى لو أعطاه ألف عهد وعهد.

كما أن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هو ما هو الموقع الذي سيحتفظ به معاوية لنفسه في ظل خلافة الحسين «عليه السلام».

وهذا يفسر لنا السبب في أن الحسين «عليه السلام» قال لعبيد الله بن عمر: «كلا والله لا يكون ذلك». ولم يقل له: كلا والله لا أفعل ذلك.

رابعاً: إن الحسين «عليه السلام» حتى لو بويع بالخلافة، فإنه سيكون بمثابة الأسير الضعيف الذي لا حامي له، ولا معين..

ولا يمكن أن يضمن «عليه السلام» أن تصفو له القلوب الحاقدة على أبيه.

خامساً: وهل إذا خلع الإمام الحسين أباه من الخلافة سوف يوجب زوال صفة الخلافة عن أبيه مع أن خلافته ثابته بالبيعة العامة لأهل الحل والعقد، بل هي ثابتة بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما عرفنا؟! وهل سوف يتفرق عن أبيه جنده بمجرد خلع الحسين له؟! وما الذي يدعوهم إلى التفرق عن أبيه؟! ولماذا لا تكون كلمة أبيه فيهم أشد نفوذاً وأعظم أثراً؟!

ولعل ابن عمر كان يحسب أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان على شاكلته، في حبه للدنيا، إلى حد أنه على استعداد لأن يخون الله ورسوله، ويخون

أباه من أجل الحصول عليها.

علي وتر قريشاً:

وقد قال ابن عمر للإمام الحسين «عليه السلام»: إن قريشاً لا تحب علياً «عليه السلام»، لأنه وترها أولاً وآخراً، ولكنه لم يقل لنا: كيف يكون قد وتر قريشاً، والحال، أن قريشاً هي التي كانت تقصد المدينة من مسافة حوالي أربع مئة كيلومتر لكي تحارب الإسلام، وتقتل محمداً وعلياً، وتستأصل من معهما.. وإنما كان علي يدافع عن دينه، ويذب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدافع عن نفسه، وعن كل من يلوذ به.

وهذا أمر يوجبه العقل والشرع، وتقضي به الفطرة والوجدان. فكان «عليه السلام» يطيع الله في كل ما يقوم به.

هذا بالنسبة لقول ابن عمر: إن علياً وتر قريشاً أولاً..

وأما أنه وترها آخراً، فنحن لم نفهم كيف وتر علي «عليه السلام» قريشاً آخراً، فإن الحقيقة هي أن قريشاً هي التي وترته آخراً، حين هجمت على بيته، وجمعت الحطب، وباشرت إحراقه بمن فيه، وفيه: الزهراء، وبعلها، وبنوها.. ثم ضربوا زوجته، وأسقطوا جنينها، فكيف يكون علي «عليه السلام» قد وتر قريشاً آخراً، إن ذلك غير مفهوم.

وها هي قريش لا تزال تواصل بغيها عليه، وتشن عليه الحروب، وتقتل عشرات الألوف في الجمل، وصفين.

لا أكفر بالله ورسوله:

وقد اعتبر الإمام الحسين «عليه السلام» أن خلعه لأبيه كفر بالله ورسوله، وبوصي رسوله، ولعل السبب في ذلك:

أولاً: أن آية الولاية قد حكمت بكفر منكرها، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(١).

فإن الكفر بالوصي سيؤدي إلى أن لا يتمكن من إبلاغ الدين للأجيال اللاحقة، وموته في مهده. كما أن جميع أحكام وشرائع الدين وحقائقه، وكل ما جاء فيه يبقى ناقصاً، وليس هو الذي يريده الله ديناً لعباده.

ثانياً: أن أمر الخلافة والإمامة ليس بيد معاوية، ولا بيد ابن عمر، بل ولا بيدالإمام الحسين «عليه السلام»، وإنما هو بيد الله سبحانه، ولم يكن الإمام الحسين لينقض ما قرره الله ورسوله، ويجعل نفسه مشرعاً مكانهما.. فإن جعل الإنسان لنفسه ما هو لله سبحانه كفر بالله ورسوله، ووصيه كما هو ظاهر.

وكذلك الحال لو أن الإمام الحسين «عليه السلام» جعل لمعاوية الحق في جعل الخليفة، فإنه أيضاً عدوان على الله سبحانه، وعلى رسول الله، وعلى وصيه..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الخبر المرعب لابن عمر:

ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يمهل ابن عمر، بل بادر إلى إخباره بأمور غيبية ترتبط به شخصياً، فأخبره:

أولاً: بأنه مقتول اليوم، أو غداً، وابن عمر، وبنو أمية وسائر الناس قد لمسوا من الوقائع المختلفة التي مرت بهم أن كل ما أخبرهم أهل البيت «عليهم السلام» بوقوعه قد وقع بالفعل، ولا يستطيع ابن عمر، ولا غيره أن يستثنوا هذا الخبر منها.

ثانياً: أخبره «عليه السلام» بأمر لا يمكن أن يطلع عليه غيره، ولا يمكنه أن يكذب على نفسه فيه، لأنه مما توسوس له به نفسه، وتنطوي عليه جوانحه، وهو: أن اندفاعه إلى القتال إنما هو لأجل التباهي أمام نساء أهل الشام.

ومعنى ذلك: أن ابن عمر إذا عاد إلى نفسه، وأدرك صحة هذا الخبر الغيبي، فإنه سيكون دليلاً له على صدق الخبر الآخر الذي تحدث عن أنه سوف يقتل في هذا اليوم، أو في الغد. وكان يفترض في هذين الخبرين: أن يدخلا ابن عمر في فكر عميق، وأن نراه مهموماً مغموماً، حائراً، مرتبكاً.

ولكننا رأيناه على خلاف ذلك. حتى استطاع معاوية أن يخدعه ويرميه في المهالك، لأنه كان يريد له أن يقتل ليشنع به على علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنه قتل ابن الخليفة عمر المحبوب عند العرب.

ولكن قتل عبيد الله بن عمر مرَّ كما يمر الهواء السارح.. وكان علي «عليه السلام» قد توعد هذا الرجل بالقتل قصاصاً بالهرمزان وغيره ممن

قتلهم ظلماً وعدواناً، فكان أن أراحه الله تعالى منه بأن قتل في الحرب، ولم ينتطح فيه عنزان.

ثالثاً: لعل من أسباب مبادرته «عليه السلام» إلى إخبار ابن عمر بهذا الخبر أو ذاك، هو أن يعرف الناس: ان ابن عمر لم يكن يؤمن بما يخبر به الصادقون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عن الله سبحانه وتعالى، كما أنه «عليه السلام» يريد لابن عمر وغيره أن يعرفوا: أن الحسين «عليه السلام» لا يحتاج إلى دلالات ابن عمر وهداياته، لأنه «عليه السلام» مطلع على الغيوب حتى بتفاصيلها، وحتى ما يرتبط منها بابن عمر نفسه، فإذا كانت معارف ابن عمر ظنوناً وحدسياتٍ، فمعارف الحسين «عليه السلام» حقائق لا ريب فيها.

كما أن ابن عمر الذي لا يعرف أنه قد بقي من عمره سويعات كيف يعد غيره بالخلافة وسواها؟!

لله، ولرسوله، وللمؤمنين:

وفي النص الذي نقلناه عن ابن أعثم: أن الحسين «عليه السلام» قال عن معاوية: «لم يزل هو وأبوه حربين وعدوين لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فوالله ما أسلما، ولكنهما استسلما، خوفاً وطمعاً!».

فإثبات اللام في قوله: «لرسوله» وفي «للمؤمنين» وعدم حذفها اكتفاءاً بورودها في المعطوف عليه، وهو لفظ الجلالة «لله»، إنما هو لدفع توهم: أن حذفها من الكلمتين التاليتين للفظ الجلالة إنما كان لأجل أن المجموع سبب واحد للحكم بالمروق من الدين، فلو حارب معاوية واحداً منها، كما لو

حارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقط، أو الوصي فقط لم يكن مارقاً من الدين، وإن كان قد ارتكب ذنباً عظيماً.

فأدخل اللام على كل كلمة من هذه الثلاثة، ليعرفنا أن حربه لكل واحدة منها يوجب الخروج من الدين، ولو لم ينضم إليه الأمران الآخران. وهذا ظاهر.

الحسين لا يخدع، فهو ابن أبيه:

وقد سجل معاوية اعترافاً صريحاً ومزدوجاً للحسين ولأبيه «عليهما السلام» بأنهما لا يخدعان. فإذا كان هناك من مغرور بمعاوية وسياساته، فعليه أن يعترف بما اعترف به معاوية لأمير المؤمنين وأبنائه.. وهي شهادة من عدو ظالم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

كما أن اعتراف معاوية لعلي «عليه السلام» لم يكن قربة إلى الله تعالى، بل لأن عدم الاعتراف سوف يلحق ضرراً بسمعته أمام أهل الشام، فتدارك هذا الأمر بتسجيل هذا الاعتراف.

وقد قال علي «عليه السلام»: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يمكر [يغدر] ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس. ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة. ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.

والله ما أُستغفل بالمكيدة، ولا أُستغمز بالشديدة»(١).

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٨٠ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٩٧

هل هذا حسد أم ضعف؟!:

روى العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم من أيام صفين دعا علي «عليه السلام» ابنه محمداً ابن الحنفية، فقال له: شد على الميمنة.

فحمل محمد مع أصحابه، فكشف ميمنة عسكر معاوية. ثم رجع وقد جرح، فقال: العطش العطش، فقام إليه أبوه «عليه السلام» فسقاه جرعة من الماء، ثم صب الماء بين درعه وجلده، فرأيت علق الدم يخرج من حلق الدرع.

ثم أمهله ساعة، ثم قال: يا بني، شد في الميسرة.

فحمل مع أصحابه على ميسرة معاوية، فكشفهم، ثم رجع وبه جراحة، وهو يقول: الماء الماء، فقام إليه، ففعل مثل الأول.

ثم قال: شد على القلب، فشد عليهم فكشفهم، ثم رجع وقد أثقلته الجراحات وهو يبكي.

فقام إليه أبوه «عليه السلام» فقبل ما بين عينيه، وقال: سررتني فداك

وج٤٠ ص١٩٣ وج٧٢ ص٢٩١ والكافي ج٢ ص٣٣٦ و ٣٣٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٤ والغدير ج١٠ ص١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣٩٤ وج٧ ص٥٤٠ والمعيار والموازنة ص١٦٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص٢١١ وينابيع المودة لذوي القربى ج١ ص٤٥٤.

أبوك، لقد سررتني ـ والله ـ يا بني بجهادك بين يدي، فما يبكيك؟! أفرح؟! أم جزع؟!

فقال: كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات، فسلمني الله تعالى، وكلما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب فما أمهلتني، وهذان أخواي الحسن والحسين «عليهما السلام» ما تأمرهما بشي؟!

فقبل «عليه السلام» رأسه وقال: يا بني، أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفلا أصونهما عن القتل؟!

قال: بلى، يا أبتاه، جعلني الله فداك وفداهما(١).

ونقول:

إن هذه الرواية، وإن دلت على شجاعة عظيمة لمحمد بن الحنفية، وللفريق الذي كان تحت إمرته، ودلت أيضاً على طاعة لا حدود لها كانت لدى ابن الحنفية تجاه أبيه.. ولكنها تضمنت أموراً عديدة أخرى لا يمكن قبولها، لأن الدلائل والشواهد تنقضها، وتحتم ردها..

فمثلاً: إن هذا النص يدل على:

١ ـ أن محمداً ابن الحنفية كان يطيع أباه، ولكنه كان يطيعه مكرهاً، لا

(١) راجع: ذوب النضار لابن نما ص٥٦ و ٥٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣٤٨ و ٣٤٩ وج٤٢ ص١٠٥ و ١٠٦ والعوالم (الإمام الحسين) ص٦٦٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ و ٣٢٢ ودرر الأخبار لحجازي خسروشاهي ص٢٩٦ ـ ٢٩٨.

مقتنعاً بالمثوبة على هذا الجهاد.

٢ ـ تدل الرواية على أن علياً «عليه السلام» كان يكره أبناءه على أعمال لا يحبون الدخول فيها. فلا يبقى مجال للجزم بأن مشاركة ابناء علي في الجمل وصفين كانت عن قناعة بأن أباهم كان محقاً فيها. وهذا وإن لم تصرح به الرواية، لكن نفس أمر علي «عليه السلام» ولده على سبيل الحتم والجزم، مع معرفته بأن ولده لا يرى أمامه خياراً سوى طاعته يعد نوعاً من الإكراه.

٣ ـ إن هذا قد يراد به تأييد أن محمد ابن الحنفية كان مخالفاً لأبيه في أمر عثمان، وأنه لم يكن مقتنعاً بما يجري في الجمل وصفين.

٤ ـ في هذه الرواية دلالة على قسوة قلب علي «عليه السلام»، حتى إنه يرى جراحات ولده تنزف، ثم يرسله مرة بعد أخرى إلى ساحة المعركة الطاحنة، ليزيل ميسرة معاوية وميمنته، وقلب جيشه عن أماكنها. والحال أن جيش معاوية كان يعد بعشرات الألوف. فإذا كان هذا حاله مع ولده، فكيف يتعامل مع غيره؟!

٥ ـ إن النص يدل على أن علياً «عليه السلام» لا يتعامل بإنصاف، حتى مع أولاده، ولا يراعي مشاعرهم. فهو يرهق أحدهم بالحرب الضروس، ولا يكلف ولديه الآخرين بشيء يزعج خاطرهما.

٦ ـ تدل الرواية على أن ابن الحنفية رجل ضعيف، ويبكي كما يبكي الأطفال، لمجرد أن أباه ميز أخويه عليه.

٧ ـ إن ابن الحنفية لم يفرح بإنجازه العظيم الذي لا يضاهى حين أزال جيوش عدوه عن مواضعها، بل كان همه معرفة سبب قسوة أبيه عليه دون

أخويه.. وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على جهله بمقام أخويه عند الله ورسوله. أو يدل على عدم إيمانه بكل ما جاء في حقهما في كتاب الله، وعلى لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٨ ـ بل تدل هذه الرواية على أن ابن الحنفية كان يحسد أخويه، وكان يريد من أبيه أن يساويه بهما في المعاملة.

٩ ـ ادعى ابن الحنفية: أن أباه أمره مرتين بمعاودة الهجوم، ولم يمهله.. مع أن الرواية نفسها تصرح: بأنه أمهله ساعة في المرتين، ثم أعاد إصدار الأمر إليه.

١٠ ـ نسب إلى ابن الحنفية قوله: إن أباه يخصه بالأمور الصعبة، ولا يأمر ولديه بشيء منها. وهو كلام مردود، فقد كان الحسن والحسين على خيل الميمنة، وهي مواقع بالغة الخطورة، ولا توكل إلا لمن هم في أعلى درجات الشجاعة، والبصيرة، والمهارة، والشدة في الحرب.

وسيأتي إن شاء الله: أن الحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر قد جاؤوا أباهم في صفين وسيوفهم مخضبة بالدماء[١].

وذلك يدل على أنهم كانوا يمارسون الحرب، والطعن والضرب، ولم يكونوا متروكين.

---

(١) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج٣ ص١٣٦ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٣٩.

١١ ـ واللافت: أن ابن الحنفية يواجه أباه بأسئلته، ولا نرى أباه يدافع عن نفسه بتقديم مبررات صريحة الدلالة على خطأ ولده في توهماته، سوى أنه قال: «يا بني، أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفلا أصونهما عن القتل؟!

قال: بلى، يا أبتاه، جعلني الله فداك وفداهما».

ويبدو لنا: أن هذا هو بيت القصيد، وبه تدفع سائر الإشكالات المتقدمة، فقد دلت هذه الكلمة من أمير المؤمنين «عليه السلام» على أنه لا يعمل بهواه، بل هو يراعي تكليفه الشرعي تجاه الحسنين «عليهما السلام»، لأن الله تعالى قد أوجب عليه صونهما. فحين يكون هناك واجب كفائي يمكن أن يقوم به غيرهما، مثل محمد ابن الحنفية، فإنه «عليه السلام» يصونهما عن الانخراط فيه، ما دام لا يجب عليهما ذلك.

وإن كان هناك تكليف قد توجه إليهما مباشرة في حرب عدوه، بحيث لا يجوز ظهور اعتزالهما، أو كراهتهما لتلك الحرب، لأن ذلك يؤدي إلى تخاذل الناس عن الانخراط فيها، فيجب عليهما أن يكونا قادة في الميمنة والميسرة، ليحق الله الحق بكلماته، وليخسر هنالك المبطلون.

لم يغرر بك أبوك؟!:

وقالوا:

قيل لمحمد ابن الحنفية: لم يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن

والحسين؟!

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه(١).

وقال «رحمه الله» مرة أخرى ـ حين سئل عن ذلك ـ: أنا ولده، وهما ولدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

وقالوا: كان علي «عليه السلام» يقذف بمحمد في مهالك الحرب، ويكف حسناً وحسيناً عنها(٣).

نستفيد من النصوص المتقدمة ما يلي:

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤ وج١١ ص٢٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٩٩ و ٩٦ وج٤٥ ص٣٤٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ والمستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي ص٢٦٠ وراجع: كشف الغمة ج٢ ص٢٣٥ وذوب النضار لابن نما ص٥٥ والعوالم، الإمام الحسين ص٦٦٨ وقاموس الرجال ج٩ ص٢٤٥ و ٢٤٦ والدر النظيم ص٤٣٨ وشذرات الذهب ج١ ص٨٩ وعن الإشراف للسمهودي ص٥١ وشرح إحقاق الحق ج١٩ ص٣١٨ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٢٥.

(٢) بحار الأنوار ج٤٢ ص٩٦ عن كشف الغمة ص١٨٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٣٥.

(٣) بحار الأنوار ج٤٢ ص٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١.

١ ـ إن هذه الكلمة من محمد ابن الحنفية دلت على أنه «رحمه الله» كان على درجة عالية من الوعي، وعلم تام بحجم نفسه، وبأنه لا يمكن أن يداني أخويه في شيءٍ من سماتهما وصفاتهما..

٢ ـ إن كلمته هذه تقول: إن الحسنين «عليهما السلام» كانا بالنسبة لعلي «عليه السلام» بمثابة عينيه، فإن الإنسان إنما يطمئن إلى أنه يملك الحقيقة إذا رآها متجسدة أمامه.

وعلي «عليه السلام»، حين يريد أن يلمس الواقع، فإن هذا الواقع قد يكون قريباً منه، ويصل إليه بنفسه، فيكون كشفه، وتحصيل اليقين بوجوده، وبما له من خصوصيات ميسوراً له..

أما إذا كان غائباً عنه، فإن اطلاع الحسنين «عليهما السلام» على ذلك الواقع يعطيه اليقين والرضا كما لو أنه هو قد وقف على جميع الحالات والخصوصيات التي يريد معرفتها في ذلك الواقع، مهما كان الأمر معقداً، وذا وجوه، والتباسات.. لأن الحسنين «عليهما السلام» يريان واقعه، وجوهره، وسائر الخصوصيات الظاهرة، والخفية الكامنة فيه.. كما يراه علي «عليه السلام» بنظرته الثاقبة، من موقع إمامته.

٣ ـ أما ابن الحنفية، فإنما له ظواهر الأمور، ولا يستطيع أن ينفذ إلى بواطنها، فالعين التي ينظر بها تختلف عن عين علي، وعين الحسن والحسين «عليهم السلام».. ولا يستطيع علي «عليه السلام» أن يعتمد عليها، بحيث تكون كما لو أنه هو الذي يرى ذلك الأمر رأي العين.

٤ ـ إن ابن الحنفية حين يذكر: أن وظيفته هي حفظ تينك العينين، فإنه

يكون قد أعلن عن استعداده لحفظهما، ولو أنه بذل روحه إن اقتضى الأمر، وهو ببذله هذا يكون في خدمة مقام الإمامة الذي يريد الله تعالى أن يحفظ به الدين كله..

هذا فضلاً عن أن في هذه التضحية والفداء قضاء لحق الأبوة، وبراً وطاعة للأب، كما أنه قضاء لحق الأخوة.

وبذلك يكون «رحمه الله» قد أدى حق الله، بحفظ دينه، وصيانة مقام الإمامة، وأدى حق الأب، وأدى حق الأخ في آن واحد..

وجوب حفظ الإمام:

ومن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» في يوم صفين: املكوا عني هذين الفتيين، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»(١).

وصرح «عليه السلام» بعد عودته من صفين حين جرى الحديث عن أمر صفين وما جرى فيها ـ صرح بقوله ـ: إن هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأمة، فكرهت ذلك(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج٤٢ ص٩٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج٤٢ ص٩٦ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص٦١ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٢٤ وصفين للمنقري ص٥٣٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٤٩٢.

ونقول:

ربما قال قائل: نحن نعلم بأن الحسنين «عليهما السلام» لا يخالفان أوامر أبيهما، فلو أشار إليهما بعدم الإقدام على أي أمرٍ، فإن ذلك يكفي لامتناعهما عنه.

لأنهما يعرفان أن طاعته واجبة كأب، وواجبة لأنه إمام معصوم ومفترض الطاعة.

بل هما يسعيان بتحقيق رغبات والدهما، ولو لم يتفوه بها.. لأن رغباته «عليه السلام» لا تكون إلا حيث يكون الرضا الإلهي.

فما معنى أن يطلب من الناس أن يمنعوهما من السعي للحرب، ولا يبادر هو إلى نهيهما؟!

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» كان يعلم أنه هو نفسه «عليه السلام» مكلف من قبل الله سبحانه بحفظ سلامة الحسن والحسين «عليهما السلام»، لئلا ينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، المتمثل بالأئمة الذين بهم تتواصل أطروحة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويستمر نهجه كرسول، ونبي.

أما الحسنان، فعليهما واجب آخر فيه أيضاً رضا الله سبحانه وتعالى عنهما، ولا يمكنهما إهماله، أو التغافل والسكوت عنه، ولا يصح أن ينهاهما عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هو كوجوب الصلاة بالنسبة إليهما.

وهذا الواجب هو واجب الجهاد، وبذل النفس والنفيس في الذب عن أبيهما وإمامهما في مقتضيات إمامته.. المتمثلة بإثبات حقانية حربه مع الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وإثبات صدق الله ورسوله في كل ما أخبر عنه، ودفع

شبهات الضالين والمبطلين في مساعيهم لطمس هذه الحقائق.

ولو أنهما لم يحاربا في الجمل وصفين، ولم يبذلا جهدهما لبادر المضلون والمبطلون إلى بث الإشاعات والأباطيل حول خطأ علي «عليه السلام»، ومخالفة أبنائه له فيما يدعيه. وسينعكس ذلك سلباً على الدين، وعلى شريعة سيد المرسلين.

وستتسرب الشكوك إلى صدق الإخبارات عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى مدى تأثير وقداسة الآيات الواردة في حق علي، والأقوال الصادرة عن رسوله «صلى الله عليه وآله» فيه «عليه السلام».

ثانياً: إن قول أمير المؤمنين «عليه السلام» للناس أن يملكوا عنه هذين الفتيين مع أنه لم يصدر ولو كلمة واحدة للحسنين «عليهما السلام» تدل على كراهته فعلهما، كان الهدف منه دلالة الناس على أن حفظ الحسنين «عليهما السلام» وصيانة حياتهما كما هو من واجباته «عليه السلام»، كذلك هو من واجبات الأمة..

وهو واجب تستقل به عقولهم بعد إدراك موقعية الحسنين ودورهما في الأمة، كإمامين قاما أو قعدا من جهة، وحفظ الإمام واجب.

وكونهما ـ من جهة أخرى ـ سيكونان منبثق سلسلة الأئمة، وبهما يكون بقاء الإمامة، لأن الإمام السجاد «عليه السلام» إنما ولد سنة ٣٨ للهجرة. كما تقدم. وهذه الكلمة إنما كانت في صفين، وهي في سنة ٣٧ و ٣٨ للهجرة.

فالحسن «عليه السلام» سيكون الجد الأمي للأئمة، والحسين «عليه السلام» سيكون الأب والجد لهم أيضاً.

ثالثاً: كما أن من الطبيعي أن يذكر علي «عليه السلام» من خلال ما قاله

للناس عن لزوم حفظ الإمامين الحسنين «عليهما السلام» لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن من مقاصد محاربيه «عليه السلام» وعلى رأسهم معاوية وبنو أمية إبادة ذرية الرسول «صلى الله عليه وآله»، وانقطاع نسله «صلى الله عليه وآله»، لأنهم يدركون أن بقاء نسله «صلى الله عليه وآله» حتى ولو لم يكونوا شديدي الالتزام بنهجه هو ـ بحسب ما يفكر به أهل الدنيا ـ ان يكونوا منافسين لهم على الملك والزعامة، والسلطة على البلاد والعباد، وسيرى الناس أن ذرية النبي «صلى الله عليه وآله» أحق بهذه المقامات من الأبعدين.

رابعاً: إنه «عليه السلام» بتوجيهه الناس إلى الحاجة إلى من يمنع الحسن والحسين «عليهما السلام» يكون قد أبطل سلفاً ما سيدعيه الأعداء من أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان عثمانياً يخالف أباه في الحرب ومشروعيتها.

فظهر بما تقدم: أن هذه الكلمة المباركة قد عالجت أمراً اعتقادياً، وعالجت مفاهيم خاطئة، وعالجت شائعات وأباطيل سوف يتوسل بها الأعداء، بهدف إبطال جهود سيد الأوصياء، ووضع علامات استفهام على مداليل الآيات والروايات.

ودلت هذه الكلمة على أن على القائد أن يكون قادراً على توقع ما سيواجهه به أعداؤه من خلال معرفته باخلاقهم، ونفسياتهم، وطبيعة ومؤديات ما يفكرون به، ودلت.. ودلت..

حياة الحسين بقيمة حرب صفين:

وقد جرى بعد حرب النهروان لأمير المؤمنين «عليه السلام» مع رأس

اليهود حوار، ذكر فيه «عليه السلام»: أن السبب الذي دعاه لقبول التحكيم هو خوفه على حياة الحسن والحسين «عليهما السلام».

فقد ذكر رفع المصاحف، وانخداع فريق كبير من جيشه بها، حتى أخذ بعضهم يقول لبعض: «إن لم يفعل فألحقوه بابن عفان، أو ادفعوه إلى ابن هند برمته.

فجهدت ـ علم الله جهدي ـ ولم أدع علة في نفسي إلا بلغتها في أن يخلوني ورأيي فلم يفعلوا، وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقة، أو ركضة الفرس، فلم يجيبوا ما خلا هذا الشيخ ـ وأومأ بيده إلى الأشتر ـ وعصبة من أهل بيتي.

فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي إلا مخافة أن يقتل هذان ـ وأومأ بيده إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ فينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وذريته من أمته، ومخافة أن يقتل هذا وهذا ـ وأومأ بيده إلى عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما ـ فإني أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف»(١).

---

(١) الخصال (مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤٢٤ هـ ق) ج٢ ص٤٠٠ ـ ٤١٨ و (ط أخرى) ج٢ ص١٤ ـ ٢٥ و (منشورات مركز النشر الإسلامي سنة ١٤٠٣هـ) ص٣٦٤ ـ ٣٨٢ والإختصاص ص١٦٣ ـ ١٨١ وبحار الأنوار ج٣٨ ص١٦٧ ـ ١٨٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٥٩ ـ ٣٨١ وغاية المرام ج٤ ص٣١٧.

ونقول:

١ ـ إن رضاه «عليه السلام» بالتحكيم إنما كان لأجل حفظ حياة الحسنين «عليهما السلام»، ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر. وقتل الحسنين «عليهما السلام» يوجب انقطاع نظام الإمامة، لأن الأئمة التسعة «عليهم السلام» سيكونون من ذرية الحسين «عليه السلام»، والإمامة حق للأمة كلها إلى يوم القيامة، فليس لأحد التفريط بها، حتى النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام».

٢ ـ وحين استشهد الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء حفظت الإمامة في ولده السجاد «عليه السلام»، ولم يكن ذلك ممكناً في حرب صفين، حيث لم يكن الإمام السجاد قد ولد بعد، وقد كان علي «عليه السلام» راضياً بالقتل نتيجة لرفض التحكيم ـ كما صرح به «عليه السلام» في كلامه مع ابن وديعة الأنصاري، حين عودته من صفين..

ولكن معاوية كان يريد قتل علي «عليه السلام»، وولده، وخيار أصحابه، ثم يلاحقهم بحملة إعلامية وتضليلية، قد يصعب على كثيرين الإفلات من براثنها.

علي يتوعد الحسين عليه السلام بالعقوبة:

روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن الحسين بن علي «عليه السلام» دعا رجلاً إلى المبارزة، فعلم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبنك، ولئن دعاك أحد إلى مثلها، فلم تجبه لأعاقبنك. أما

علمت أنه بغي(١).

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ إن هذه الرواية ضعيفة سنداً، فلا مجال للاعتماد عليها في استنباط الأحكام.

٢ ـ تدل الرواية على أن الحسين «عليه السلام» قد ارتكب مخالفة شرعية، تستحق العقوبة. والحسين «عليه السلام» يجل عن ذلك. بدليل آية التطهير، فإنه أحد مصاديقها.

٣ ـ لو فرض أنه لم يتعمد فعل المعصية لكونه لم يكن عالماً بالحكم، فهو أيضاً يجل عن ذلك، بدليل:

أولاً: إن آية التطهير كما تنزهه عن تعمد المعصية الموجب للعقوبة، فهي أيضاً تنزهه عن الجهل، فإنه من مصاديق الرجس أيضاً.

ثانياً: إن جعل الإمامة له ولأخيه من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قوله «صلى الله عليه وآله»: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة.

وقوله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا. بالإضافة إلى نصوص كثيرة أخرى.

---

(١) الكافي ج٥ ص٣٤ و ٣٥ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٩٠ و (الإسلامية) ج١١ ص٦٨ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٤٦.

إن جعل مقام الإمامة لهما يقتضي الحكم بأن الإمام لا يجهل الأحكام، ولا يرتكب الآثام.

٥ ـ إن ذلك الشامي كان باغياً على الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين «عليهم السلام»، ولو تمكن من قتل أي منهم لبادر إلى ذلك.

٦ ـ بناءً على ما تقدم نقول: إن كان هذا الكلام قد صدر عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، فمعنى ذلك: أنه «عليه السلام» كان يعلم أن ولده لم يكن جاهلاً بالحكم الشرعي، وأن من حقه طلب المبارزة من عدوه، وليس في فعله أي مخالفة للحكم الشرعي، لا عن عمد، ولا عن غفلة، ولا عن جهل.

٧ ـ فظهر مما تقدم: أن علياً «عليه السلام» قد أورد كلامه مع الإمام الحسين على قاعدة: «إياك أعني، واسمعي يا جارة».

أي أن الحكم الذي أشار إليه علي «عليه السلام» في كلامه بقوله: «لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبنك، ولئن دعاك أحد إلى مثلها، فلم تجبه لأعاقبنك». معناها: أن من عدا المبغي عليه، وهو الإمام لا يحق له أن يطلب البراز من أحد من الأعداء، لأن ذلك من البغي على ذلك الرجل الذي تطلب منه أن يبارزك، مع أنك قد لا تكون ممن يقصده في حربه، إلا من باب الدفع والذب عن نفسه، وإزاحة العوائق، ولاسيما إذا كان قد أخرج مكرهاً، كما أنه قد يستجيب لك خجلاً، فيكون قتله، أو العكس قد وقع في غير محله.

أما الإمام، فإنه يحق له أن يطلب المبارزة من أي كان من الجمع الذي حشده عدوه، لأن الجمع يقصده هو بشخصه، ويجعل كل همه هو أن يسفك

دمه، أو أن يمكن عدوه منه، ولو بالتأييد وتكثير جمع عدوه عليه. فبغيه بالنسبة إليه حاصل بلا ريب.

ولعل هذا هو ما يرمي إليه «عليه السلام» في أنه إن طلب أحد الأعداء مبارزتك، وجب عليك الاستجابة، لأنه بمجرد أن يطلب مبارزتك فقد صار باغياً عليك، فيجب إجابة طلبه، ورفع بغيه، ولو بحد السيف.

وما تقدم يلقي لنا ضوءاً على ما جرى بين معاوية ومروان، فلاحظ الفقرة التالية:

معاوية يعير قريشاً، وجواب مروان:

وذكر المنقري: أن معاوية جمع كل قرشي بالشام، فدعاهم في جوف الليل، وطالبهم بتخاذلهم في حرب علي «عليه السلام» في صفين، فمما قاله لهم: «ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم، مبارزة، أو مفاخرة؟!

فقال مروان: أما البراز، فإن علياً «عليه السلام» لا يأذن لحسن، ولا لحسين، ولا لمحمد، بنيه فيه، ولا لابن عباس وإخوته، ويصلى بالحرب دونهم، فلأيهم نبارز؟!

وأما المفاخرة، فبماذا نفاخرهم؟! أبالإسلام؟! أم بالجاهلية؟! الخ..»[١].

---

(١) راجع: صفين للمنقري ص٤٦٢ ـ ٤٦٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٨ ص٩٩ ـ ١٠٠ والفتوح لابن أعثم ج٣ ص١٠٦ ـ ١١٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٠٨.

ونقول:

١ ـ ما ادعاه مروان، من أن علياً «عليه السلام» كان يمنع أولاده من مبارزة أحد، غير صحيح. بل ظهر مما تقدم: أنه «عليه السلام» قد توعدهم بالعقوبة لو دعاهم أحد للمبارزة فامتنعوا.. فلو أن مروان تجرأ، ودعا واحداً منهم لها لرأى ما سيحل به من بلاء وشقاء.

٢ ـ إن جواب مروان لمعاوية يدل على أنه كان يرى نفسه قرناً للحسن، وللحسين «عليهما السلام»، ولمحمد ابن الحنفية، وابن عباس، وابن جعفر. ولست أدري لماذا كان يحيد عنهم حين كانوا يزيلون جيوش أهل الشام عن مواقعها، حتى ليصاب أهل الشام بالذهول والحيرة، ويسقط في أيديهم، ألم يكن مروان في جملة تلك الجيوش المتحيرة المذهولة؟!

٣ ـ إذا كان بنو أمية يسعون لإبادة بني هاشم، وكل من هو متصل بعلي «عليه السلام» بسبب أو نسب، فقد كانت صفين فرصتهم لاصطياد خصوص هؤلاء، فإنهم دون سواهم طلبتهم، وبغيتهم، فلماذا لم يفعلوا ذلك، لو كانوا قادرين عليه؟!

ولماذا لم يعمد معاوية نفسه إلى القبول بالمبارزة حين دعاه أمير المؤمنين «عليه السلام» إليها؟!

فإنها كانت أثمن فرصة له للقضاء على أمير المؤمنين «عليه السلام».

٤ ـ إن ما كان أمير المؤمنين يسعى إليه هو أن تكون جميع حركات فرسان جيشه، وصفوته، وقادته، وأفراده أيضاً في انضباط تام، فلا يتصرف أحد منهم أي تصرف دون علمه وموافقته. ولولا ذلك، لخرجت الأمور

من تحت السيطرة، ولم يعد يعرف حالة فرسانه هل هم أحياء أو أموات؟! وهل هم في مراكزهم، أو أنهم يبارزون أحداً من أقرانهم؟! الخ.. وهل هم في أول الجيش أو في آخره؟!

وهذه الأحوال تؤدي إلى الفشل، وانتشار الأمر، ولاسيما إذا أدت بعض تلك المبارزات إلى تحرك القبائل للإنتقام، وحصلت مواجهات لم يحسب لها حساب، فإذا كانت على حين غفلة، ولم يحسب لها حساب، فقد تتسبب بحدوث كارثة.

معاوية يكيد قيس بن سعد لدى علي:

وكان قيس بن سعد عاملاً لعلي «عليه السلام» على مصر، فحاول معاوية أن يكيده عند علي، فأظهر للناس في الشام أن قيساً قد بايعه.

فسرَّحت عيون علي «عليه السلام» بالخبر إلى علي.

فلما أتاه ذلك أعظمه، وأكبره، وتعجب له، ودعا ابنيه: الحسن والحسين «عليهما السلام»، وابنه محمداً. ودعا عبد الله بن جعفر، فأعلمهم بذلك، وقال: ما رأيكم؟!

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيس بن سعد عن مصر.

فقال لهم: إني والله، ما أصدق بهذا على قيس إلخ..[1].

---

(١) الغارات للثقفي ج٢ ص٢١٧ ـ ٢١٩.

ونقول:

إن ما يهمنا هنا، هو: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ كما دل عليه هذا النص ـ كان يستشير الحسنين «عليهما السلام»، ومحمداً ولده، وعبد الله بن جعفر. فكان يعرض لهم المشكلة أولاً، ثم يطلب منهم إبداء الرأي فيها..

وقد لفت نظرنا هنا ما يلي:

١ ـ إنه «عليه السلام» قد جعل عبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية في موقع المستشار له، إلى جانب الحسنين «عليهما السلام» وهما الإمامان المعصومان المطهران..

٢ ـ ومن المعلوم: أن الإمام «عليه السلام» ـ كالنبي «صلى الله عليه وآله» ـ لم يكن بحاجة إلى مشورة أحد. ولكنه قد يستشير رعاية لمصالح أخرى تفرض الاستشارة عليه..

٣ ـ إن الإمام «عليه السلام» كالنبي «صلى الله عليه وآله» يتعامل مع الناس، كل الناس بعنوان أنه منهم، ولا يقول لهم عن نفسه: إنه معصوم، بل يمارس مهماته من منطلق أنه مسؤول عن رعاية مصالح رعيته، ومن موقع المعلم والمربي، والحافظ والمراقب. والساعي لتلبية حاجات الناس، والمسؤول عن حفظ دينهم، وما إلى ذلك.

٤ ـ إن الاستشارة لا تعني الطاعة للمستشار، ولزوم الأخذ بمشورته، بل تعني السماع منه، ثم يكون المستشير هو الذي يتخذ قراره، الذي قد يخالف آراء جميع من استشارهم.

٥ ـ إن من البديهي: أن يتوافق ما يشير به الحسنان «عليهما السلام» مع ما يفكر به علي «عليه السلام»، لأن المعصوم يرى الواقع، ويعرف المشكلة، ويعرف حلها، والحل الأصلح واحد يدركه أهل العصمة والطهارة. فإن كان هناك اختلاف في الرأي، فإنما هو بين المعصوم وغيره..

ولعل هذا يفسر لنا سكوت الحسنين «عليهما السلام»، وتصدي ابن جعفر لإبداء الرأي.

الحسين استعاد المشرعة في صفين:

روي في بعض الكتب المعتبرة، عن لوط بن يحيى في تاريخه، عن عبد الله بن قيس قال:

«كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين، وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء، وحرزه عن الناس، فشكى المؤمنون العطش، فأرسل فوارس على كشفه، فانحرفوا [لعل الصحيح: فانصرفوا] خائبين.

فضاق صدره، فقال له ولده الحسين «عليه السلام»: أنا أمضي إليه يا أبتاه.

فقال له: إمض يا ولدي.

فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته، وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه فأخبره.

فبكى علي «عليه السلام»، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح بوجه الحسين «عليه السلام»؟!

قال: ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه، ويحمحم،

ويقول: الظليمة، الظليمة، من أمة قتلت ابن بنت نبيها»[١].

ونقول:

تضمن هذا الخبر أموراً ثلاثة، خالف فيها ما هو معروف في الكتب والمصادر، مثل:

أبو أيوب أو أبو الأعور:

تحدث هذا النص عن الشخص الذي استولى على المشرعة من قبل معاوية، فقال: «أخذ أبو أيوب الأعور السلمي».

والموجود في المصادر هو أبو الأعور السلمي. ولا نعرف أنه يقال له: أبو أيوب إلا في هذه الرواية.

وأبو الأعور هذا كان من أشد الناس على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان في جملة الأشخاص الذين كان يلعنهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في صلاة الصبح.

من الذي حرر المشرعة؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي حرر

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٦ ومدينة المعاجز ج٣ ص١٣٩ والعوالم، الإمام الحسين ص١٤٩ و١٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٧٧ والمنتخب للطريحي ج٢ ص٣٠٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥٢.

المشرعة، وطرد عنها أبا الأعور..

مع أن المعروف: أن الذي حرر المشرعة هو الأشتر النخعي، لا الإمام الحسين «عليه السلام».

عدد الذين شاركوا في أخذ المشرعة:

وظاهر الرواية المتقدمة، بل صريحها: أن الذين حرروا المشرعة هم الحسين «عليه السلام» وفوارس معه. والتعبير بالفوارس، وهي صيغة جمع تصدق على القليل، والكثير.. مع أن الروايات تقول: إن الأشتر احتاج إلى اثني عشر ألفاً لتحرير المشرعة.

الفصل الثامن:

من صفين والنهروان.. إلى

علي ﷺ بعد صفين: ما يقول ذوو الرأي؟!:

وحين رجع علي «عليه السلام» من صفين إلى الكوفة، وبلغ مشارفها التقى عبد الله بن وديعة الأنصاري، فسأله عما يقوله الناس فيما جرى في صفين.

فقال له: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له.

فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟!

قال: يقولون: إن علياً «عليه السلام» كان له جمع عظيم، ففرقه، وحصن حصين، فهدمه، فحتى متى يبني مثل ما قد هدم، وحتى متى يجمع مثل ما قد فرق؟!

فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظهره الله، أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم.

فقال علي «عليه السلام»: أنا هدمت؟! أم هم هدموا؟! أم أنا فرقت؟! أم هم فرقوا؟!

وأما قولهم: لو أنه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظفر، أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم.

فوالله ما غبي عني ذلك الرأي، وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدنيا، طيب النفس بالموت.

ولقد هممت بالإقدام [على القوم]، فنظرت إلى هذين [قد ابتدراني ـ يعني الحسن والحسين ـ ونظرت إلى هذين] قد استقدماني ـ [يعني عبد الله بن جعفر، ومحمد بن علي] ـ فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأمة، فكرهت ذلك.

وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني محمد بن علي، وعبد الله بن جعفر ـ.

وأيم الله، لئن لقيتهم بعد يومي، لألقينهم وليس هما معي في عسكر، ولا دار(١).

ونقول:

لا بأس بالتذكير بالأمور التالية:

١ ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد جعل ما جرى من أمر التحكيم، وتضييع ثمرات جهاد المؤمنين، ودماء المجاهدين، وأرواح الشهداء الميامين في عهدة الذين اتخذوا تلك المواقف المخزية، التي بلغت حد التهديد بتسليم علي نفسه إلى معاوية، بعد أن انحازوا عن علي «عليه السلام»، والتهديد بقتاله «عليه السلام».

---

(١) صفين للمنقري ص٥٢٩ و ٥٣٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦١ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٢٣ و ٣٢٤.

٢ ـ وحين سمع رأي العقلاء، بأن الأصلح له كان بأن يمضي بمن أطاعه لحرب عدوه، بيَّن «عليه السلام» أن ذلك لم يخفَ عليه، بل فكر فيه، فرأى أن رفضه للحكم الذي أصدره أبو موسى، وعمرو بن العاص، والذي هو حكم بالهوى، وتضييع للحق، وسرقة للنصر، إن ذلك سيؤدي إلى سفك دمه «عليه السلام»، ودم الحسن والحسين «عليهما السلام»، بالإضافة إلى دم محمد بن الحنفية، وعبد الله بن جعفر «رضوان الله تعالى عليهما».

٣ ـ ثم بيّن «عليه السلام» أن ذلك لم يكن من حقه، فقتل الحسنين «عليهما السلام» تفريط بالإمامة من أساسها، لأنه سيؤدي إلى انقطاع نسل محمد من هذه الأمة.

٤ ـ ويلاحظ: تعبيره «عليه السلام» بنسل محمد «صلى الله عليه وآله» هنا ـ لا نسل علي «عليه السلام»، كما أنه لا يشْرِك نفسه معه «صلى الله عليه وآله» ـ لأن الأمر في هلاك الحسنين «عليهما السلام» إنما يعني محمداً «صلى الله عليه وآله» بالدرجة الأولى، لأن فيه تضييع دينه ورسالته ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه**﴾. ويؤدي هذا التضييع إلى الكفر ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(١).

٥ ـ ولم يكن علي «عليه السلام» ليقدم على أمر تكون هذه ثمرته ونتائجه. فكان لا بد من القبول بما حدث، لأن ما حصل عليه معاوية لا يفيده إلا في

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

مهلة محدودة، ويعرف القاصي والداني: أنها غير مشروعة، ولا مرضية عند الله، بل بنيت على الخداع والغدر والتآمر، غاية الأمر أن ما جرى قد يؤثر على بعض الجهال، وعليهم أن يسعوا في رفع جهلهم.

٦ ـ إن اصطحاب الحسنين «عليهما السلام» إلى صفين، هو الذي يحفظ الحق، ولولاه لأمكن لمعاوية وبني أمية أن يضللوا الأمة، وأن يشيعوا فيها: أن الحسنين «عليهما السلام» يخطئان اباهما في مواقفه، وهذا قد ينسف كل جهود الأنبياء والصالحين والمجاهدين، ويضيع دين الله بسبب ذلك، كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

معاوية يلعن أوصياء الأنبياء:

وكان علي «عليه السلام» [بعد الحكومة] إذا صلى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة يقول: اللهم العن معاوية، وعمرواً، وأبا موسى، [وأبا الأعور السلمي]، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، [والمغيرة، وبسر بن أرطأة، ومروان بن الحكم].

فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً [والأشتر]، وابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن والحسين(١).

---

(١) صفين للمنقري ص٥٥٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٣٠٣ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٢٦٦ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٧٩٤ وشرح نهج البلاغة

ونقول:

إنما ذكرنا هذا النص هنا، لأن معاوية قد لعن الحسين «عليه السلام»، بالإضافة إلى أبيه وأخيه «صلوات الله وسلامه عليهما».

ونحن نسجل هنا الأمور التالية:

أولاً: لو لم يكن للحسين «عليه السلام» هذا الأثر الكبير في النكاية في القاسطين والناكثين لما اختارهما معاوية للتنفيس عن حقده في هذا المورد.

ثانياً: إن هذه الجريمة الكبرى لمعاوية تؤكد على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» ما كانا عثمانيين، ولا معترضين على حرب علي «عليه السلام» للناكثين والقاسطين، أو غير راغبين بالمشاركة فيها.

بل هذا اللعن من معاوية ربما دل على أن الحسنين «عليهما السلام» قد شاركا بصورة قوية لم يجد أعداؤهما وسيلة للتعبير عن حقدهم تجاههما سوى هذه الوسيلة القبيحة والمزرية.

للمعتزلي ج٢ ص٢٦٠ وراجع ج٤ ص٧٩ وج١٣ ص٣١٥ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة ١٣٩٤هـ) ص٣٥١ و ٣٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٧١ و (ط أخرى) ج٦ ص٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٥٢ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٣٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص١٧٨ وينابيع المودة ج٢ ص٢٦ و ٢٧ والنصائح الكافية لابن عقيل ص٢٦ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص٤٤ وشرح الأخبار ج٢ ص٥٣٥.

أما لعن معاوية لابن عباس، فلعله لأجل أن له شخصية مميزة، وكان له مواقف احتجاجية محرجة لمعاوية وفريقه، ولذلك اختاره معاوية أيضاً.

وأما قيس بن سعد، فكان زعيم الخزرج، بل زعيم الأنصار بصورة عامة في تلك الحقبة، بعد موت وقتل كثير من شخصيات الأنصار في حربي الجمل وصفين، وفي حروب سبقت في عهد أبي بكر وعمر وعثمان..

الإشكالات الباطلة:

واللافت هنا: أننا وجدنا مجموعة من الإنتقادات، بالإضافة إلى مفردات من لوم وعتب، يوجهها البعض إلى ما تقدم من أن علياً «عليه السلام» قد بدأ بلعن معاوية ومن معه، في حين نرى الرفق بمعاوية والتهوين لما صدر منه، وغض النظر، والتماس الأعذار له.

ونحن نذكر هنا كل مؤاخذة، أو لائمة، أو عتب على حدة، ونسجل مؤاخذاتنا عليها، ثم ننتقل إلى التي تليها، فنتعامل معها بنفس الطريقة، وهكذا، فنقول:

معاوية والعمل بمبدأ المقابلة بالمثل:

قالوا:

إن علياً «عليه السلام» هو الذي بدأ باللعن، فقابله معاوية بالمثل، وليس على من يقابل بالمثل غضاضة، ولا تتوجه إليه ملامة، وجرمه يكون أخف مما لو كان هو البادئ.

ونجيب:

أولاً: إن الأمر لا ينظر إليه بهذه الطريقة، لأن الحرب كانت بين وصي

نبي، وبين باغ عليه، خارج عن سلطانه الذي انعقد بصورة مشروعة..

كما أنه إمام نصبه الله ورسوله يوم غدير خم، وبايعه عشرات الألوف من المسلمين، ولا يصح نقض بيعة عقدها الله ورسوله، ونزلت الآيات القرآنية لتأكيدها.

هذا بالإضافة إلى نصوص قرآنية أخرى دلت على إمامته وولايته «عليه السلام»، يضاف إليها كمٌّ هائل من النصوص من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومن يخرج على إمام زمانه، أو على إمام منصوب بصورة شرعية ويسعى في نقض سلطانه، ويشق عصا المسلمين، فإنه يستحق اللعن بلا ريب. ولاسيما من قبل الإمام المبغي عليه.

ولا يحق للباغي أن يقابل الإمام والوصي، والولي، والحاكم الذي ثبتت شرعية حكمه بالمثل، لأن هذا المحارب لله، ولرسوله، ولوصيه مستحق للعن، والوصي والولي لا يستحق سوى النصرة، والتعظيم والتكريم، وإعلاء الشأن عند الله.

ثانياً: لو جازت المقابلة بالمثل في هذه الموارد، لصح تجويز لعن الأنبياء والأوصياء، وسائر الأخيار والصلحاء حين يلعنون الظالمين والجبارين، وقد لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رعل، وذكوان، والحكم بن أبي العاص وما ولد، فهل يمكن أن نجوز لهؤلاء المنحرفين لعن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ على سبيل المقابلة بالمثل.

وقد لعن الله تعالى الكاذبين، والظالمين والكافرين، فهل يمكن تجويز مقابلته بالمثل، والعياذ بالله؟!

ثالثاً: إن لعنة الله، والنبي، والوصي للكاذبين، والكافرين، والظالمين، وسواهم قد يكون لأجل استحقاقهم اللعنة، وقد يكون لأجل ردعهم عن الضلال، أو الانحراف، وإعادتهم إلى طريق الصواب.

كما أن لعنهم قد يكون لأجل تحذير الناس من مخالطتهم، والسير في ركابهم، وقبول نهجهم.

وهذا وذاك لا يصدق على الكاذب والظالم، والكافر والمتكبر، الذي يلعنه الله ورسوله أنه يريد ردع النبي والوصي عن نهجه، ولا يمكن القبول بأن يكون هدفه هو ردع الناس عن مخالطتهم الأنبياء والأوصياء والصالحين، والاقتداء بهم، والأخذ منهم.

رابعاً: أن مورد المقابلة بالمثل هو صورة كون اللعن الأول قد صدر على سبيل الظلم والعدوان.

ومن المعلوم: أن هذا الأمر لا يكون من نبي ولا وصي، ولا من أهل الخير والصلاح.

خامساً: بل في بعض الحالات لا تجوز المقابلة بالمثل حتى لو صدر اللعن من البادئ به على سبيل العدوان. وهذا ما تقرر صراحة في القرآن الكريم بالنسبة للوالدين، حيث يقول تعالى: ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾[١].

---

(١) الآية ١٥ من سورة لقمان.

فقد يضرب الوالد ولده، فليس للولد أن يقابله بالمثل، بل حتى لو جاهده والده ليحمله على الشرك بالله، فليس للولد مقابلته بالمثل، بل عليه أن يقابله بالكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة.

اللعن أسلوب الفاشل العاجز:

وقالوا أيضاً:

إن أسلوب اللعن هو أسلوب الفاشل العاجز، وهو لا يليق بعلي «عليه السلام».

وجوابه: إنه ليس كذلك.

أولاً: تقدم: أن لعن علي «عليه السلام» لمعاوية إنما هو لاستحقاق معاوية وأصحابه ذلك. فهم القاسطون الذين كانوا لجهنم حطباً.

ثانياً: قد يكون اللعن من جملة أساليب الردع عن البغي، والرجوع إلى الحق.

ثالثاً: إنه يوجب تحصين الآخرين، من أن يكونوا مع الضالين، ويقتدوا بهم.

وبذلك يكون «عليه السلام» بصدد امتثال واجب إلهي لا يمكنه التخلف عنه، لوجود مصلحة لازمة التحصيل في مورده.

وظهر بذلك أيضاً: أن هذا ليس أسلوب العاجز، أو الفاشل، بل هو أسلوب المسؤول القوي، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

رابعاً: إن معاوية لم يكن قد اعتزل في منزله ليعبد الله فيه، ثم صار علي «عليه السلام» يلعنه، بل كان بصدد جمع الأعوان، وتثبيت أسس باطله وظلمه، والاستمرار في عدوانه على الإمامة وعلى الأئمة، ونقض عرى الإسلام

ما وجد إلى ذلك سبيلاً. فكان لا بد من تحذير الناس منه، وتحصينهم من خداعه لهم.

ومن أهم أساليب ذلك هو: كسر هيبته، والإعلان بلعنه من وصي النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن الإمام المفروض الطاعة، ومن لهج القرآن بتطهيره وتأكيد إمامته وولايته، وليس هذا من الأسلوب الفاشل والعاجز. بل هو الأسلوب الإعلاني المؤثر والقوي والفاعل.

خامساً: إن اعتماد هذا الأسلوب الإعلامي القوي إنما يكون عجزاً وفشلاً لو اقتصر الأمر عليه وجعل ذريعة للاستغناء عن الحرب والقتال بالسلاح.

أما إذا رافق اللعن التهيؤ والاستعداد لمواجهة عدوان الباغي وسلاحه بالسلاح، والقتال أيضاً، فلا يصح القول: إن علياً «عليه السلام» التجأ إلى أسلوب الفاشل والعاجز.

علي عليه السلام والتزام أدب الخطاب:

وقالوا أيضاً: إنه لم يكن يليق بعلي «عليه السلام» أن ينزل في خطابه إلى هذا المستوى، وهو الرجل العظيم والقدوة للناس في أدبه وعلمه، وأخلاقه وفضله.

ويجاب:

أولاً: بأن اللعن لمن يستحق ليس مخالفة لأدب الخطاب، بل هو الخطاب الأبلغ، لأنه المطابق لمقتضى الحال.

ولذا لا يصح أن يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين لعن الحكم وما ولد قد خالف أدب الخطاب، وأخلاق أهل الكرامة، وقد وصفه الله

تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

كما لا يصح القول: إن الله تعالى ـ والعياذ بالله من هذا القول ـ قد خالف.. حين لعن الكافرين والكاذبين.

ثانياً: في آية الملاعنة لا تتحقق احكام اللعان بين الرجل والمرأة، إن لم تصرح المرأة، والرجل باللعن للكاذب منهما، فراجع الآيات ٦ ـ ٨ من سورة النور..

وهذا يدل على مطلوبية اللعن، وعلى ترتب أحكام شرعية عليه. وليس هو أسلوب العاجز والفاشل، ولا توصف أحكام الله تعالى بمثل هذه الأوصاف الرديئة.

وقد قال تعالى أيضاً: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٢].

اللعن سباب عرفي:

وزعموا: أن اللعن يعد عرفاً من مفردات السب. وقد نهى علي «عليه السلام» أصحابه في حرب صفين عن أن يكونوا سبابين. فما باله بعد أن انتهت تلك الحرب قد لجأ إلى ما نهى أصحابه عنه؟! بل إنه حتى لو بدأ معاوية بالسب، فمن المناسب أن يترفع علي «عليه السلام» عنه، ويكون شعاره

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم.

(٢) الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

وعمله وفق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١).

ونجيب:

أولاً: إن وصف الإنسان بما فيه، أو الدعاء عليه بما يستحقه، ليس سباباً، بل السباب هو السعي للإنتقاص منه، بإطلاق كلمات موهنة، ومحقرة له، كوصفه باللئيم، والحقير، وبالنذل، ونحو ذلك.

واللعن ليس من هذا القبيل، بل هو مجرد دعاء عليه بأن يجازيه الله بعمله، ويبعده عن رحمته، ولا يعامله بالعفو والرحمة، بل يعامله بالعدل والنقمة.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» في نفس الوقت الذي نهى أصحابه عن سب أهل الشام، فإنه أمرهم بأن يصفوا أعمالهم، ويبينوا للناس حالهم. مع أن هذا سيكون أشد أذى لهم من السباب، لأنه يمثل فضائح لهم لا تطاق.

فقد قال لهم: «ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر»(٢).

---

(١) الآية ٣٤ من سورة فصلت.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٨٥ الخطبة ٢٠٦ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٥٦١ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٥ ص٢٧ وج٨ ص٢١٣ وميزان الحكمة ج٢ ص١٢٣٦ والمعيار والموازنة ص١٣٧ وشرح نهج البلاغة

ثالثاً: إن هذا المورد ليس من موارد الدفع بالتي هي أحسن. بل هو من موارد الشدة على أهل الباطل، وفضح أباطيلهم، والطلب من الله معاملتهم بالعدل والنقمة، لا بالعفو والرحمة.

لأنهم إذا لم يتراجعوا عن غيهم، فالمطلوب هو إفساد خططهم بتحذير الناس من الانضواء تحت لوائهم، والالتزام بنهجهم.

أهل النهروان في أصلاب الرجال:

١ ـ عن أبي جعفر الفراء قال: سمع علي أحد ابنيه ـ إما الحسن أو الحسين ـ يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد من هذه العصابة.

فقال علي «عليه السلام»: لو لم يبق من أمة محمد إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء(١).

٢ ـ عن حبة العرني: لما فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً.

فقال علي «عليه السلام»: مه! لا تقل هذا، فوالذي فلق الحبة، وبرأ

للمعتزلي ج١١ ص٢١.

(١) المعجم الأوسط ج٧ ص٣٣٩ وكنز العمال ج١١ (ط مؤسسة الرسالة) ص٢٩١ عن الطيالسي، ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٤٢ عن الطبراني في الأوسط، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٥٥٤ و ٥٥٥.

النسمة، إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء. ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين، حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم، فلا يعودون أبداً[(١)].

ونقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

علي عليه السلام لم يخطِّئ ولده:

قد يظن القارئ للنص الذي ذكره أبو جعفر الفراء: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد خطَّأ ولده فيما قال، فصحح كلامه على النحو الذي تقدم.

ونقول:

إن علياً «عليه السلام» لم يخطِّئ ولده، بل خطأ الرجل الآخر المشار إليه في رواية حبة العرني. ولأجل ذلك قال لهذا الرجل: «مه! لا تقل هذا»، ثم أقسم ليثبت بالقسم، وبإن، وباللام، والجملة الإسمية: أن ما سوف يحدث هو خلاف قول ذلك الرجل، فقال «عليه السلام»: «فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنهم لفي أصلاب الرجال الخ..».

ولكنه بالنسبة لما قاله ولده اكتفى بالقول: «لو لم يبق من أمة محمد إلا ثلاثة

---

(١) تاريخ بغداد ج٨ ص٢٧٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٦٩ ومروج الذهب ج٢ ص٤١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٠٧.

لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء».

والسبب في ذلك: أن الحسين أو الحسن «عليهما السلام»، لم يتحدثا عمن سيأتي في المستقبل، من هم على مثل رأي هذه العصابة من الخوارج.

بل تحدثا عن خصوص العصابة التي قتلت في النهروان، فارتاحت الأمة ـ أمة محمد آنئذٍ ـ من شرها بقتلها.

ثم جاءت كلمة علي «عليه السلام» لتتميم هذا الكلام بإضافة معلومات جديدة، حول ما سيكون عليه حال من هم على مثل رأي هذه العصابة في المستقبل.

والخلاصة: أن الأمة قد ارتاحت بالفعل من شر العصابة التي قتلت في النهروان، ولكنها ستبتلى بغيرهم ممن يكونون على مثل رأيهم.

وجود الخوارج أمر طبيعي:

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا: أن وجود هذا النوع من الناس نتيجة طبيعية لعوامل معينة.

ومنها: شيوع الجهل، والغباء، والسطحية..

ومعه حب الدنيا، فإذا ظهر لهم أن أسهل الطرق لنيل الدنيا هي التظاهر بالعبادة والزهادة، وإظهار التشدد في الدين.. فإنهم سيلجأون إلى ذلك، وسيجهدون أنفسهم في قراءة القرآن، دون أن يفقهوا معانيه، وسيتبعون متشابهاته دون محكماته، ويسخرونه لخدمة أهوائهم، وسيكفِّرون كل من خالفهم من أمة محمد، وسوف تزداد هذه الأماني الباطلة تضخماً في نفوسهم،

وسوف تصيبهم سهام الغرور، وتفسح لهم بالمعاصي، وتمنيهم النصر في الحروب، وسيتطرفون في مطالبهم وتطلعاتهم، ويكونون ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.. وسيسعون في الأرض فساداً ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

وهذه السمات هي بعينها سمات العصابة التي قتلها علي «عليه السلام» في النهروان. ويمكن أن يوجد هذا النوع من الناس في كل مكان وزمان.

يأخذ الحق حتى من الحسنين عليهما السلام:

نسبوا إلى ابن عباس: أنه أخذ من بيت مال البصرة بعض المال، حين كان والياً عليها من قبل علي. فجرت مكاتبات بينه وبين علي «عليه السلام».

وجاء في أحد كتبه «عليه السلام» إلى ابن عباس قوله:

«ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما»(١).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٦٧ الكتاب ٤١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٥٠٠ وج٤٢ ص١٨٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٦٧ و ١٦٨ وراجع: ربيع الأبرار ج٣ ص٣٧٥ وبعضه في إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص٢٧٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٥٧ ومختصر تاريخ دمشق ج١٢ ص٣٢٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٦ ص٢١٨ وجواهر

ونحن، وإن كنا قد ناقشنا هذا الموضوع، وبيَّنَّا الكثير من مواضع الخلل والخطل فيه، فقد قلنا أيضاً: إن ذلك لا يمنع من أن يكون لهذه القضية أصل، سليم عن أية مؤاخذة، فراجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٤٩ للاطلاع على ذلك.

ولسنا هنا بصدد البحث في هذا الموضوع.

غير أن الفقرة التي نقلناها من كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» هي محط نظرنا، فقد أشارت إلى أمور، نذكر منها:

١ ـ إن الحاكم العادل، الذي يريده الله هو ذلك الذي يرفع الغطاء عن كل أحد حتى أقرب الناس وأحبهم إليه.. وهذا ما دلت عليه هذه الفقرة التي ذكرناها آنفاً.

٢ ـ إن الحسنين «عليهما السلام» معصومان بنص آية التطهير، وبما ورد على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مما صرح بعصمتهما. ولكن علياً «عليه السلام» اتخذ منهما مثالاً لتصميمه الأكيد على إجراء الأحكام، فكيف يمكن التوفيق بين معنى العصمة فيهما، وهو ما لا ينكره علي «عليه السلام»، وبين هذا الموقف الحاد والقاطع منه «عليه السلام»؟!

ونجيب:

بأن هذا منه «عليه السلام» جارٍ على القاعدة التي وضعها القرآن في

المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٨٣.

تأكيداته على مقاصده، وقاطعيته، وعدم محاباته فيها.. وهي القاعدة التي تجسدها الآيات الكريمة، مثل:

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(٢). فإن الشرك، والتقول على الله لا يمكن أن يصدر منه «صلى الله عليه وآله».

وكذلك الحال بالنسبة لما يروى عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: «وأيم الله، (والذي نفسي بيده)، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٣). مع أنها «عليها السلام» مطهرة معصومة بمقتضى آية التطهير أيضاً.

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

(٢) الآيات ٤٤ ـ ٤٦ من سورة الحاقة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٩٦ وج٥ ص٢٥٩ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي، وأشار في هامشه إلى: البخاري ج٦ ص٥١٣ (٣٤٧٥) و (ط دار الفكر) ج٤ ص١٥١ و ٢١٤ وج٥ ص٩٧ وج٨ ص١٦ ومسلم ج٣ ص١٣١٥ (٨/ ١٦٨٨) و (ط دار الفكر) ج٥ ص١١٤ و ١١٥ وأحمد ج٣ ص٣٨٦ و ٣٩٥ وج٦ ص١٦٢ وراجع: المحلى ج١٠ ص٤٩٦ وج١١ ص٣٥٨ و ٣٥٩ وسنن النسائي ج٨ ص٧٣ و٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٥٤ و ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٣٣٢ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٩١ والسنن

وكلام أمير المؤمنين «عليه السلام» يراد به إظهار شدة تصميمه على إجراء أحكام الله، كما قلنا..

٣ ـ دل هذا النص على حزم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتصميمه القاطع على إعادة الأمور إلى نصابها، مهما كلفه الأمر، ثم أتبع ذلك بقوله: «عليه السلام»: «ولا ظفرا مني بإرادة».

٤ ـ ودل أيضاً: على أنه سوف يعتمد المتابعة الحثيثة والمتواصلة، وبلا

الكبرى للنسائي ج٤ ص٣٣٤ والبداية والنهاية ج٢ ص١٧٢ وج٤ ص٣٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٠١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٩ ونيل الأوطار ج٧ ص٣٠٥ و ٣١١ وسنن الدارمي ج٢ ص١٧٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٥١ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٨١ وسنن ابن داود ج٢ ص٣٣٢ وسنن الترمذي ج٢ ص٤٤٢ وعمدة القاري ج١٦ ص٦٠ وج١٧ ص٢٩١ وج٢٣ ص٢٧٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٥٩ وعون المعبود ج١٢ ص٢١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٧١ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٢٤٨ والمعجم الأوسط ج٧ ص٢٧٢ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص٤٧٤ والإستذكار ج٧ ص٥٧٠ ورياض الصالحين ص٣٣١ و ٣٣٢ و ٦٨١ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٤١٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٩ وتفسير الآلوسي ج١٨ ص٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٧١٠ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٢٦.

انقطاع. فلاحظ قوله: «ما كانت لهما عندي هوادة».

الرجعة إلى صفين:

وقد روي عن نوف البكالي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد جمع الناس للحرب، وعقد الألوية، وجعل الإمام الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، وقيس بن سعد على عشرة آلاف، وأبا أيوب الأنصاري على عشرة آلاف، وعقد لغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم «لعنه الله»، فتراجعت العساكر(١).

ونقول:

علينا لفت النظر إلى ما يلي:

علي عليه السلام لم ينقض العهد:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين جمع العساكر، وأراد الرجوع إلى

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج٢ ص٣٦٩ و (ط المطبعة العلمية في إيران) ج٣ ص١٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٧٦هـ) ج٢ ص٣٧٤ وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١١٠ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٣ ص٣٩٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٣٩٤ وج٣٤ ص١٢٧ ومنهاج البراعة ج٢ ص١٨٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص١٠٠ والكنى والألقاب ج١ ص١٨٥ وربيع الأبرار ج٥ ص١٩٣ وينابيع المودة ج٢ ص٢٩ وج٣ ص٤٤٤.

صفين ثانية لم يكن ناقضاً للعهد، الذي ألزمه به جهال أصحابه.. بل كان معاوية هو الناقض له، بغاراته المتواصلة التي كانت خيله تشنها على أطراف بلاد علي «عليه السلام»، فتفسد، وتشيع الخوف، وتؤذي، وتقتل، وتفعل الأفاعيل، حتى لقد بلغت خيل معاوية الأنبار.

وواضح: أنه لم يكن إقناع العراقيين بالعودة إلى الحرب أمراً سهلاً، فلو لم يكونوا قد لمسوا الخطر المحدق لم ينفروا معه إلى عدوه وعدوهم، بعد أن لقي «عليه السلام» منهم أذى كثيراً، وقد شكاهم، ووبخهم على تخاذلهم، واستنامتهم لعدوهم مرات ومرات.

لا تناقض بين أقوال وأفعال علي عليه السلام:

وقد يدور بخلد البعض: أن ثمة اختلافاً وتناقضاً بين بعض ما قاله «عليه السلام» في هذا المورد، وبين فعله.. فقد تقدم: أنه «عليه السلام» حين رجع من صفين، ولقي عبد الله بن وديعة الأنصاري عند مشارف الكوفة.. وسأله عما يقوله ذوو الرأي في مسيره ذاك.. أكد «عليه السلام» أنه كان قد همَّ بأن يسير بمن أطاعه، إذ عصاه من عصاه، وإذ بالحسنين «عليهما السلام» قد ابتدراه، وإذ بعبد الله بن جعفر، وابن الحنفية قد استقدماه، فعلم أنه إن قتل الحسنان انقطع نسل محمد «صلى الله عليه وآله»، وأشفق على ابن جعفر وابن الحنفية من الهلاك أيضاً.

ثم أقسم قائلاً: وأيم الله، لئن لقيتهم بعد يومي، لألقينهم وليس هما معي في عسكر، ولا دار.

وها نحن نرى: أنه يجمع العساكر مرة أخرى، ليسير إلى صفين، ويجعل

ولده الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف.

فكيف نجمع بين قسمه ذاك، وبين عقده للحسين «عليه السلام» على هذه العشرة آلاف؟!

ونجيب:

أولاً: قد يقال: إنه «عليه السلام» إنما أراد أن لا يكون الاثنان من أولاده، وهما الحسنان معه، وهو هنا لم يجمعهما، بل عقد للحسين «عليه السلام» فقط، دون الحسن «عليه السلام».

وإن كان المقصود بكلامه هو عبد الله بن جعفر، ومحمد ابن الحنفية، فلم يرد لهما ذكر في حديث العودة إلى صفين، فلا يرد الإشكال من ناحيتهما.

ثانياً: إن هذا الجمع الذي جمعه للعودة إلى صفين قد جمعه، وهو يخبر الناس أنه مقتول في يومه ذاك، أو في الذي بعده، وكان «عليه السلام» كما سيأتي يفطر يوماً عند الحسن، ويوماً عند الحسين، ويوماً عند ابن عباس، أو ابن جعفر، (وابن جعفر هو زوج الحوراء زينب «عليها السلام»).

وهذا يعني: أنه سوف لا يجتمع مع الحسنين «عليهما السلام» في عسكر ولا دار.

لماذا عقد للحسين فقط؟!:

واللافت هنا: أن علياً «عليه السلام» وهو يستعد للعودة إلى صفين قد عقد للحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، ولقيس بن سعد على مثلها، إلى آخر ما تقدم..

ولم يعقد للإمام الحسن «عليه السلام» على قليل ولا كثير!! فلماذا؟!

ونجيب:

بأن النص المتقدم يصرح: بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد جمع العساكر للعودة إلى صفين، وأمر الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، وكذلك قيس بن سعد، وأبا أيوب وآخرين.. فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم، فتراجعت العساكر..

يضاف إلى ذلك: أن النصوص الأخرى تصرح: بأنه «عليه السلام» كان يصرح في نفس تلك الأيام، حيث كان يفطر عند أبنائه: بأنه مقتول في يومه، أو في غده.

فإذا كان «عليه السلام» يخبر من جهة بأنه مقتول، فذلك يعني: أنه لن يكون مع الحسن والحسين في عسكر ولا دار، كما تقدم. كما أنه إذا كان مقتولاً في يومه أو غده، فلماذا يجمع العسكر؟! وإذا كان مقتولاً، فلا بد من إعداد الخليفة من بعده، وإعادة الوصية بالخلافة.

ولو أنه «عليه السلام» كان قد جعل الإمام الحسن «عليه السلام» قائداً على عشرة آلاف، أو أقل أو أكثر، فالمفروض هو أن يجرده من هذا المنصب، ليوصي إليه بالخلافة. والنصب والخلع يضعف من مقام من يتعرض لذلك.

فكانت الخطة التي اتبعها هي تعريف الناس بأنه مرتبط بالغيب، وأنه يتصرف من خلال علم الإمامة الذي اختصه الله به، فيخبر عن موته في يومه أو غده، ثم يتعمد جعل الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، دون الإمام الحسن «عليه السلام»، ليدل على أن الإمام الحسن حين يقتل أبوه،

أو يضرب سيكون هو الخليفة، والإمام من بعده، وسيصرح أبوه بالوصية له بالخلافة كما سنرى..

فالمطلوب إذن، هو إبقاء الإمام الحسن «عليه السلام» من دون أي منصب آخر سوى منصب الإمامة والخلافة.

وقد كان من الطبيعي أن يكون تدبير علي «عليه السلام» الدقيق هو هذا الذي فعله «عليه السلام».

ولأجل ذلك اختار علي «عليه السلام» ولده الحسين فقط، وعقد له على عشرة آلاف، لعلمه بأن من الطبيعي أن يكون هو القائد للعساكر بين يدي أخيه.

فإن أراد أخوه المسير إلى صفين ثانية، فالحسين «عليه السلام» سيكون بين يديه، وإن أراد أن يدفع عساكر معاوية الذي سيبادر إلى مهاجمته، فالحسين «عليه السلام» أيضاً سيكون هو القائد.

وبذلك يكون علي «عليه السلام» زاوج بين علم الإمامة المستند إلى الغيب، وبين التدبير العملي الصحيح. أي أنه يكون قد راعى في تخصيص الإمام الحسين بالنصب على العسكر، وعدم تنصيب الإمام الحسن «عليه السلام» ـ راعى ـ علمه الخاص بما يجري عليه من القتل، وراعى ايضاً ما يقتضيه التدبير الصحيح، والإعداد والاستعداد لحرب الناكث للعهود، والذي يتوقع منه المزيد، ولاسيما إذا استشهد الإمام علي «عليه السلام»..

وهذا غاية في حسن التدبير، وحسن التوقع لما يكون، والإعداد لكل حادث وطارئ.

الفصل التاسع:

البغيبغة وعين أبي نيزر..

كتاب علي عليه السلام في عين أبي نيزر:

كان علي «عليه السلام» يستنبط العيون، يغرس النخيل، وينشئ البساتين، ويعمر الضياع.. ثم يوقف ذلك على المستحقين، طلباً لثواب الله، والتماساً لمرضاته..

وقد استنبط «عليه السلام» عين أبي نيزر، وسارع إلى وقفها.

يقول النص:

ثم أخذ «عليه السلام» المعول وانحدر فجعل يضرب، وأبطأ عليه الماء، فخرج وقد تفضَّخت جبهته عرقاً فأستشفَّ العرق من جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وجعل يهمهم. فانثالت كأنها عنق جزور.

فخرج مسرعاً وقال: أشهد الله أنها صدقة، علي بدواة وصحيفة، قال [أبو نيزر]: فعجلت بهما إليه، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة.

لا تباع، ولا توهب، حتى يرثهما الله، وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين، فهما طلق لهما، وليس لأحد غيرهما.

قال [أبو نيزر]: فركب الحسين دين، فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى [الحسين] أن يبيع، وقال: إنما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حرّ النار[1].

ونقول:

مئتا ألف دينار ثمن ضيعة؟!:

تقدم: أن معاوية بذل مئتي ألف دينار، وعند العسقلاني مئة ألف[2] للحسين «عليه السلام» ليبيعه عين (أبي نيزر)، فرفض «عليه السلام»،

---

(١) راجع الكامل للمبرد ج١ ص١٣٢ و (ط أخرى) ج٣ ص٢٠٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٨١ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٦٢ و ٦٣ ومعجم البلدان (ط مصر) ج٦ ص٢٥١ و (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٩٩هـ) ج٤ ص١٧٦ والكنى والألقاب ج٣ ص١٣٨ و ١٣٩ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٩١ و ٩٢ وربيع الأبرار (مخطوط) ص٦٧٩ و (ط الأعلمي سنة ١٤١٢هـ) ج٥ ص٣٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٣٤ ومعجم ما استعجم ج٢ ص٦٥٨ وأبصار العين في أنصار الحسين ص٩٧ وشرح إحقاق الحق ج١٨ ص٥٤ وج٣٢ ص٣٠٣ وراجع: الروض المعطار ص١١٢.

(٢) الإصابة ج٧ ص٣٤٣.

فلماذا يبذل معاوية هذا القدر الكبير من المال ثمن ضيعة؟!

إننا سوف نجيب على هذا السؤال فيما يأتي، حيث سيتضح لنا: أن من سياسة بني أمية شراء الضياع والأراضي، من بني هاشم..

وستأتي الإشارة، إلى بعض أهداف هذه السياسة، إن شاء الله تعالى..

متى وقف علي عين أبي نيزر والبغيبغة؟!:

قال المبرد: إن علياً «عليه السلام» قد جعل عين أبي نيزر والبغيبغة صدقة، وكتب الكتاب بذلك، لسنتين من خلافته «عليه السلام»(١).

ونقول:

أولاً: لم يذكر المبرد مستنداً يثبت صحة هذا التاريخ..

وقد يستفاد من كلام بعض العلماء: أن خطاب أبي نيزر لعلي «عليه السلام» بأمير المؤمنين، وكذلك وصف علي «عليه السلام» نفسه في كتاب الوقف بـ «أمير المؤمنين» يدلان على أن هذا الوقف قد حصل في أيام خلافته.. لأنه إنما خوطب بهذا اللقب في تلك الفترة(٢).

غير أننا نقول:

إنه استدلال غير تام، فإن لقب أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يطلق

---

(١) الكامل للمبرد (ط أوربا) ص٥٥٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٣٣.

(٢) راجع: أعيان الشيعة ج١ ص٤٣٣.

على علي «عليه السلام» من زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان بذلك معروفاً منذئذٍ، وكان أصحابه يخاطبونه به، وكانوا يطلقونه عليه حتى وهم يحاورون خصومه وخصومهم..

ولم ينقطع ذلك في أيام استيلاء مناوئيه على الخلافة وعلى هذا اللقب بالذات «أعني لقب أمير المؤمنين»..

بل تجد في كلماتهم ما يدل على أن هذه الكلمة إذا أطلقت، ولم يذكر الإسم الصريح انصرف الذهن إلى علي «عليه السلام»..

والشواهد على ذلك كثيرة..

ثانياً: ورد في كتاب الوقف المتقدم: أن علياً «عليه السلام» استنبط الماء في عين أبي نيزر، وأنه ضرب بالمعول فانثالت كأنها عنق جزور، فبادر في نفس تلك اللحظة إلى كتابة كتاب التصدق بها هي والبغيبغة.

وهذا إنما يكون بالحجاز حيث يوجد هذان العقاران، ونحن نعلم أنه «عليه السلام» قد قصد العراق في أول خلافته، ليحارب الناكثين، والقاسطين، والمارقين، ثم استشهد بالعراق، ودفن هناك. ولم نجد ما يدل على أنه «عليه السلام» قد رجع إلى الحجاز، بعد أن خرج إلى العراق..

هذا.. والمراد بالصدقة في كلامه «عليه السلام»، الوقف كما قالوا: ويقال للوقف: صدقة جارية(١).

---

(١) راجع ما تقدم في أعيان الشيعة ج١ ص٤٣٣.

أمير المؤمنين هو علي عليه السلام:

وهذه نماذج من الشواهد التي تدل على ما قلناه، من أن علياً «عليه السلام» كان يخاطب بأمير المؤمنين في عهد رسول الله ثم في عهد الخلفاء، وبعد ذلك.

وسيرى القارئ في بعضها: أن الخلفاء أنفسهم وعمر بالذات كانوا يخاطبونه «عليه السلام» بهذا اللقب.

والشواهد هي التالية:

١ ـ لقد خاطبه بهذا اللقب إثنا عشر رجلاً من أعيان الصحابة وكبارهم، وهم: خالد بن سعيد بن العاص الأموي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري..

حيث تشاوروا بينهم بعد البيعة لأبي بكر في أن ينزلوا أبا بكر عن منبر رسول الله، ثم قالوا: فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» لنستشيره، ونستطلع رأيه.

فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به، وأولى به من غيرك. إلخ..[(١)].

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٥٧ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٩٠ وج٢٩ ص٣ و

٢ ـ في حديث تطويق أمير المؤمنين خالداً بطوقٍ من حديد، وعجز الناس عن فكه، التجأ أبو بكر إلى علي نفسه ليفكه عنه، وسأله بحق رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفكه عنه.

فلما سأله بذلك استحيا، وكان «عليه السلام» كثير الحياء، فجذب خالداً إليه، وجعل يخذف من الطوق قطعة قطعة، ويفتلها في يده، فانفتل كالشمع.

ثم ضرب بالأولى رأس خالد، ثم الثانية، فقال: آه يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قلتها على كره منك، ولو لم تقلها لأخرجت الثالثة من أسفلك، ولم يزل يقطع الحديد جميعه إلى أن أزاله عن عنقه(١).

٣ ـ قصة المرأة التي من بني حنيفة، وقد أخبرها أمير المؤمنين «عليه السلام» بقصتها.

فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين فإنه كذلك.

فقال: وبه أخبرني ابن عمي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(ط حجرية) ج٨ ص٧٩ وغاية المرام ج٢ ص١٢٠ و ١٢٣ وج٣ ص١٩٦ وج٦ ص١١ والخصال ص٥٤٨ و حلية الأبرار ج٢ ص٣٠٥ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٧٣ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص٢٠١.

(١) بحار الأنوار ج٢٩ ص١٦١ ـ ١٧٤ وإرشاد القلوب للديلمي ص ٣٧٨ ـ ٣٨٤ و الأنوار العلوية ص ١٤٨ ـ ١٥٣ والثاقب في المناقب ص١٦٦ـ ١٩٦.

فقالت: ما العلامة بيني وبين أمي؟!

فقال: إنها لما وضعتك، كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس، وأودعته عتبة الباب، فلما كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به. فلما كانت ثمان سنين عرضت عليك، فأقررت به.

ثم جمعت بينك وبين اللوح، فقالت لك: يا بنية، إذا نزل بساحتكم سافك لدمائكم، ناهب لأموالكم، ساب لذراريكم، وسبيت فيمن سبي، فخذي اللوح معك، واجتهدي أن لا يملكك من الجماعة إلا من يخبرك بالرؤيا وبما في هذا اللوح.

قالت: صدقت يا أمير المؤمنين فأين اللوح؟!

قال: في عقيصتك.

فعند ذلك دفعت اللوح إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ثم قالت: يا معاشر الناس، اشهدوا أني قد جعلت نفسي له عبدة[1].

---

(١) الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص٢٦٩ ـ ٢٧٤ و (ط المطبعة الحيدرية ـ النجف سنة ١٣٨١ هـ) ص٩٩ ـ ١٠١ وأشار في هامش النسخة الأولى إلى المصادر التالية: بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٥٧ عن الروضة، وفيه: الحسين بن أحمد المدني، عن الحسين بن عبد الله البكري، عن عبد الله بن هشام، بدل ما في المتن.

وراجع: مدينة المعاجز ج٢ ص٢١٩ ح٥٢٠، عن كتاب سير الصحابة، وعن البرسي والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٦٣، ح٢١ مرسلاً و ص٥٨٩، ح١ عن دعبل

٤ ـ في حديث الشاب المقدسي الزاهد، الذي اتهم بالسرقة، وبارتكاب الفاحشة، وكانوا في سفر، فلما رجعوا إلى المدينة، فشا هذا الأمر، واجتمع الخلق في مسجد الرسول «صلى الله عليه وآله»..

فجاء «عليه السلام» فقال: ما هذا الرهج في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقالوا: يا أمير المؤمنين: إن الشاب المقدسي الزاهد قد سرق وفسق.

فقال «عليه السلام»: والله ما سرق، ولا فسق، ولا حج أحد غيره. إلخ..

فترى أن الجواب قد جاء من جماعة الحاضرين مصدراً بكلمة: «يا أمير

الخزاعي، قال: حدثني الرضا، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام»، قال: كنت عند أبي الباقر «عليه السلام».. وبتفاوت يسير في كليهما. عنه بحار الأنوار ج٤١ ص٣٠٢ ح٣٥ وج٤٢ ص٨٤ ح١٤ وإثبات الهداة ج٣ ص٥٣ ح٤٥ باختصار، ومدينة المعاجز ج٥ ص١٧٤ ح ١٥٤٩ والعوالم ج١٩ ص٣٣٥ ح١ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٧٨ مرسلاً، عن الباقر «عليه السلام».. وبتفاوت يسير. عنه بحار الأنوار ج٤١ ص٣٢٦ ح٤٧ وإثبات الهداة ج٢ ص٤٢ ح١٧٠ باختصار عن كتاب الروضة في الفضائل المنسوب إلى ابن بابويه وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٠١ س١٠ عن بحر المناقب لابن حسنويه.

وراجع: الروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان بن جبرئيل القمي (ط سنة ١٤٢٣ هـ) ص٣٦.

المؤمنين» وكان ذلك في عهد عمر.

إلى أن تقول الرواية: إن علياً «عليه السلام» قال لتلك المرأة، وهو يخبرها عن مكرها بالمقدسي: يا ملعونة، لقد تجريت على الله، ويلك ألم تأتي إليه وقلت له: كيت وكيت، فلم يجبك إلى ذلك.

فقلت له: والله لأرمينك بحيلة من حيل النساء لا تنجو منها؟!

فقالت: بلى يا أمير المؤمنين كان ذلك.

فقال «عليه السلام»: ثم إنك استنمتيه، وتركت الكيس في مزادته، أقري.

قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: اشهدوا عليها.

ثم قال لها: وهذا حملك من الراعي الذي طلبت منه الزاد، فقال لك: أنا لا أبيع الزاد، ولكن مكنيني من نفسك وخذي حاجتك، ففعلت ذلك، وأخذت الزاد وهو كذا وكذا..

قالت: صدقت يا أمير المؤمنين إلخ..[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٠ ص٢٧٠ - ٢٧٤ والكافي ج٨ ص٦ و ٧ والروضة في فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن شاذان ص٢٩٧ ـ ٣٠٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٠٧ ـ ١١١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص٤٩ ـ ٥٥ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٥٤ ـ ٤٦٠ عن مشارق أنوار اليقين، وإحقاق الحق ج٨ ص١٨٩ عن در بحر المناقب لابن حسنويه، مدينة المعاجز ج٢ ص٤٥٤ ـ ٤٦٠.

٥ ـ حديث المرأة الأنصارية التي دخل عليها رجل بثياب امرأة واغتصبها، فقتلته، ووضعته في المسجد، فلما ولدت جاءت بالطفل، ووضعته في المسجد. وذلك في زمن عمر أيضاً.

فأعطى علي «عليه السلام» الطفل لامرأة كي ترضعه. وطلب منها أن تأتيه بالمرأة التي تأتي إليها وتقبِّل الطفل، وتقول كلمات معينة..

فكان كما قال «عليه السلام»، وتشبثت بها المرضعة، فقالت لها تلك المرأة: إرفعي يدك عني، فإنك إن أتيت بي أمير المؤمنين فضحتني بين الملأ. وأنا أكون خصمك يوم القيامة.

قالت المرضعة: ما يمكنني أن أفارقك حتى آتي بك أمير المؤمنين.

قالت: إذا أتيت بي أمير المؤمنين لا يعطيك عطاءاً، بل اذهبي معي حتى أعطيك هدية تفرحين بها، وهي بردتان يمانيتان، وحلة صنعانية، وثلاث مائة هجرية، وكوني كأنك ما رأيتني، واكتمي أمري، وإذا أقبل عيد الأضحى يشهد الله عليَّ أن أعطيك مثلها إذا رأيت الطفل سالماً.

ثم أحضرها «عليه السلام»: وقررها، فأنكرت أن تكون أم الطفل قد أتت، فأخبرها علي «عليه السلام» بأنها تكذب، وشرع في ذكر ما جرى لها معها.

فقالت: يا أمير المؤمنين، الصدق أحسن الكلام، كذلك كان.

إلى أن تقول الرواية:

قال عمر: أشهد أني سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وسمعته يقول «صلى الله عليه وآله»: أخي علي ينطق بلسان الحق. الآن

احكم أنت يا أمير المؤمنين هذا الحكم، فإنه لا يحكم فيه سواك(١).

٦ ـ وفي حديث التي أنكرت ولدها لأجل الميراث، تقول الرواية: فمضى قنبر وأحضرها بين يدي الإمام، فقال لها: ويلك، لم جحدت ولدك؟!

فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا بكر ليس لي بعل إلخ..(٢).

النار لا تلفح وجه علي عليه السلام:

قد يقال: إن علياً «عليه السلام» إذا كان قسيم الجنة والنار، وهو نفس الرسول، فكيف تلفح النار وجهه، لكي يحتاج إلى ما يقي وجهه منها؟! إلا أن لا يكون على يقين من وعد الله تعالى له، وهذا ما لا يمكن نسبته إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» المطهر المعصوم..

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٢٣٨ ـ ٢٤٢ عن درر المطالب، وعن ابن أبي الحديد، عن الليث بن سعد مختصراً، مقتصراً على وقوع القضية في زمن عمر. والأنوار العلوية ص ١٠١-١٠٥.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٩٢ و ٣٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن شاذان ص٤٥ ـ ٤٦ والفضائل لابن شاذان ص١٠٦ و (ط أخرى) ص٢٨٩ ـ ٢٩٢ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٥٢ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٦٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١٤١ ونفس الرحمن ص٤١٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٧٧ عن در بحر المناقب لابن حسنويه.

ويجاب:

بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» يعامل نفسه باعتبار أنه عبد مأمور مقصر في حق ربه، بل هو عاجز عن أداء هذا الحق، وهو «عليه السلام» يعلم: أن الحساب والمطالبة بالأعمال تكون على قدر المعرفة بحق الله تعالى، وبجلاله وعظمته، ونعمه وفواضله التي لا تحصى، ولا تستقصى.

ومن مثل علي في معرفته بالله، فمن الطبيعي أن يتنامى شعوره بالقصور والتقصير في حقه تعالى. إلا أن يكفيه بلطفٍ منه، والتعامل مع النفس على هذا الأساس، وبهذه الطريقة هو الذي يرفع مقام علي عند الله، ويوجب له المزيد من الفضل لديه.

علي عليه السلام يكرم ويعظم الحسنين عليهما السلام:

صرح علي «عليه السلام» في وصيته بأمواله، التي ذكرها الكليني «رحمه الله» في الكافي، والشيخ الطوسي في التهذيب: بأنه «عليه السلام» قد أطلق يد الحسن والحسين في صدقاته، وأمواله بأن يأكل كل منهما منها بالمعروف، وينفقها حيث يراه الله في حل محلل، لا حرج عليه فيه..

ثم قال: «وإنما جعلت الذي جعلت لابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل، وتكريم حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتعظيمهما، وتشريفهما، ورضاهما»(١).

---

(١) الكافي ج٧ ص٤٩ ـ ٥١ وج٦ ص٧٧ وتهذيب الأحكام ج٩ ص١٤٦ ووسائل

وقد تضمنت هذه الفقرة خمسة أمور، قال «عليه السلام»: إنها دعته إلى ذلك، هي:

١ ـ التقرب إلى الله.

٢ ـ تكريم حرمة الرسول، وهذا يدل على أن الحسنين «عليهما السلام» جزء من هذه الحرمة، وأن كل عدوان عليهما يكون عدواناً على حرمته «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ تعظيم الحسنين «عليهما السلام»، فإنه مطلوب لله تعالى.

٤ ـ تشريفهما «عليهما السلام».

والفرق بين التعظيم والتشريف: أن العظمة حالة كامنة في ذاتيهما، تفرض على الآخرين الاحترام والتقدير له. ولا يلحظ هذا في الشرف، بل هو خصوصية تضاف إلى الشخص توجب له امتيازاً على غيره.

٥ ـ أن يكونا راضيين «صلوات الله عليهما».

ومن المعلوم: أن الحسنين لا يسخطان ما يفعله أبوهما، لأنهما يعرفان: أنه لا يفعل «عليه السلام» إلا ما يريده الله تعالى، ولكنه «عليه السلام» أراد

الشيعة (آل البيت) ج١٩ ص١٩٩ ـ ٢٠٢ و (الإسلامية) ج١٣ ص٣١٢ ـ ٣١٤ وروضة المتقين ج١١ ص١٧٢ ـ ١٧٥ والوافي ج١٠ ص٥٦١ ـ ٥٦٣ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٤ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ وبحار الأنوار ج٤١ ص٤٠ ـ ٤٢ وج٤٢ ص٧١ ـ ٧٤ ومرآة العقول ج٢٣ ص٨٣ ـ ٨٨.

بذلك توسعة الأمور عليهما إلى أقصى حد ممكن من الناحية الشرعية، لأن ذلك هو ما يريده الله في ظروفٍ ستكون صعبة للغاية.

هل تباع الصدقة؟!

ذكر النص المتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» بمجرد أن استنبط الماء في عين أبي نيزر طلب دواةً وصحيفة، وكتب كتاباً بالتصدق، بها وبالبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله تعالى بها وجهه «عليه السلام» من حر النار، فلا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله، وهو خير الوارثين.

ثم قال: إلا أن يحتاج الحسن والحسين، فهما طلق لهما، ليس لأحد غيرهما.

فكيف تكون البغيبغة وعين أبي نيزر صدقة على الفقراء، وأبناء السبيل، فلا تباعا وتوهبا حتى يرثهما الله. ثم يكون للحسن والحسين بيعها إن احتاجا إلى ذلك؟! فهل يصح بيع ما هو صدقة؟! لاسيما إذا كان المراد بالصدقة الوقف كما قيل؟!

وقد تقدم: أن الحسين «عليه السلام» احتاج إلى بعض الأموال لسداد دين كان عليه، فحاول معاوية شراء تلك الأرض منه «عليه السلام»، فرفض بيعها له.. ولكنه أعطى البغيبغة لأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر نحلة كما سنرى، فكيف يمكن الجمع بين هذين الأمرين؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إنه «عليه السلام» إنما أوصى بحاصل هاتين الضيعتين أن ينفق على الفقراء، وأبناء السبيل، ولم يوص بنفس الضيعتين، ولم يوقفهما، بل

كانت رقبة الأرض ملكاً للحسنين «عليهما السلام» مسلوب المنفعة، من حيث الثمرة، فالمورد من موارد الحبس لا من موارد الوقف، ولذا جعل للحسن والحسين أن يبيعاها إن احتاجا إلى ثمنها، مع علمه بأنهما «عليهما السلام» لن يفعلا ذلك، لأنهما لا يفرطان برغبة أبيهما في أن يقي وجهه حر النار يوم القيامة..

ثانياً: إنهما حتى لو كانتا وقفاً، فمن الذي قال: لا يجوز بيع الوقف عند الحاجة؟! فإن ذلك تابع لشرط الواقف.

وعمل أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا يدل على جواز اشتراط ذلك ولا يضر هذا الشرط بصحة الوقف.

ويدل عليه أيضاً: ما ورد في وصيته «عليه السلام» للإمام الحسن «عليه السلام» ومن بعده للحسين «عليه السلام»، وفيها:

«إن ما كان من مال بينبع، يعرف لي فيها، وما حولها صدقة، ورقيقها، غير أن رباحاً وأبا نيزر وجبيراً ليس لأحد عليهم سبيل..

ثم ذكر سائر أمواله وبين حالها.. وأكثر ما ذكره من أموال: قد صرح بأنها صدقات، بين وجوهها.

ثم قال: «يقوم على ذلك الحسن بن علي، يأكل منه بالمعروف، وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل، لا حرج عليه فيه.

فإن أراد أن يبيع نصيباً من المال، فيقضي به الدين، فليفعل إن شاء».

إلى أن قال: «وإن حدث بحسن حدث وحسين حي، فإنه إلى الحسين

بن علي، وإن حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً»(١).

فقد صرح: بأن للحسن وللحسين «عليهما السلام» أن يبيعا شيئاً من المال لقضاء الدين، كما صرح بأن لهما أن يأكلا منها بالمعروف..

ولو نوقش في الدلالة، بحجة الإجمال وعدم الوضوح في المراد بالأموال التي لهما بيعها، وأنها هل تشمل الصدقات، أو تختص بما عداها.. فإن نوقش بذلك، فإن ما كتبه عن البغيبغة وعين أبي نيزر لا مجال للنقاش فيه.

ثالثاً: يمكن أن يكون المراد بالاستثناء في قوله: «إلا أن يحتاج الحسن أو الحسين، فهما طلق لهما»: أن التصدق بغلة الضيعتين للفقراء، وأبناء السبيل مشروط بعدم حاجة الحسنين، فإن احتاجا إلى هذه الغلة لم يتصدقا بها، ويكون المراد الأعم من البيع والتصرف، فإن احتاجا إلى البيع باعا، وإن إحتاجا إلى غلتهما لم يتصدقا بالغلة.

البغيبغة لأم كلثوم:

ورغم أن معاوية بذل للحسين «عليه السلام» ثمناً مغرياً لعين أبي نيزر، وهو مائتا ألف دينار، فقد أبى «عليه السلام» بيعها له. وقال: إنما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حر النار.

مع أنه كان بأمس الحاجة للمال لأجل قضاء دينه.

وبالرغم من أن علياً «عليه السلام» قد تصدق بعين أبي نيزر وبالبغيبغة

---

(١) راجع الهامش السابق.

في نفس الساعة، وكتب كتاب الصدقة بهما معاً..

نعم بالرغم من هذا وذاك نجد الإمام الحسين «عليه السلام» يعطي البغيبغة نحلة لأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، حين زوجها من القاسم بن محمد بن جعفر مع أنها صدقة، ومع أن أباه تصدق بها ليقي وجهه حر النار، ونرى أن إعطائها لأم كلثوم كان ضرورياً، وأن ما فعله «عليه السلام» هو الصواب بعينه.

ونحن نذكر هذه القضية أولاً، ثم نشير إلى بعض ما ينبغي أن يقال في الجواب على هذا السؤال، فنقول:..

الفصل العاشر:

هــذا ليــس غدراً..

زواج يزيد من هاشمية:

١ ـ قال ابن شهرآشوب: خطب الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» عائشة بنت عثمان، فاعترض مروان وقال: بل أزوجها عبد الله بن زبير!

وبعد مدة كتب معاوية إلى مروان ـ وكان عامله على الحجاز ـ يأمره بأن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأتى مروان إلى عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك.

فقال عبد الله: إن أمرها ليس إلي، إنما هو إلى سيدنا الحسين «عليه السلام» وهو خالها.

فأخبر الحسين بذلك، فقال «عليه السلام»: أستخير الله تعالى. اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين «عليه السلام»، وعنده من الجلة ـ أي الأصحاب الأجلة ـ.

فقال مروان: إن (أمير المؤمنين!!) أمرني بذلك ـ أي أن أخطب أم كلثوم ليزيد ـ. وأن أجعل مهرها:

١ ـ حكم أبيها بالغاً ما بلغ.

٢ ـ مع صلح ما بين هذين الحيين.

٣ ـ مع قضاء دينه.

وأضاف مروان للحسين «عليه السلام» إغراءاً به، وترغيباً، قائلاً: وأعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام!! فرد خيراً يا أبا عبد الله.

فقال له الحسين «عليه السلام»: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه.

وأيم الله، لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

يا مروان، قد قلت فسمعنا.

أما قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك، ما عدونا سنة رسول الله في بناته، ونسائه، وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمئة وثمانين درهماً.

وأما قولك مع قضاء دين أبيها: فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا؟!

وأما صلح ما بين هذين الحيين: فإنا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري فلقد أعيى النسب فكيف السبب؟!

وأما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أب يزيد؟! ومن جد يزيد؟!

وأما قولك: أن يزيد كفو من لا كفو له، فمن كان كفوه قبل اليوم، فهو كفوه اليوم، ما زادته إمارته في الكفائة شيئاً.

وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام!! فإنما كان ذلك بوجه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأما قولك: من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال بعد كلام: فاشهدوا جميعاً، أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة ـ أو قال: أرضي بالعقيق ـ، وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله.

فتغير وجه مروان، وقال: غدراً يا بني هاشم؟! تأبون إلا العداوة!!

فذكره الحسين «عليه السلام» خطبة الحسن، عائشة بنت عثمان وفعله، ثم قال: فأين موضع الغدر يا مروان؟!

فقال مروان:

أردنا صهركم لنجد وداً ... قد أخلقه به حدث الزمان
فلما جئتكم فجبهتموني ... وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم بالشعر قائلاً:

أماط الله منهم كل رجس ... وطهرهم بذلك في المثاني
فما لهم، سواهم من نظير ... ولا كفؤ هناك ولا مداني

أيجعل كل جبار عنيد إلى الأخيار من أهل الجنان

ثم إن الحسين تزوج بعايشة بنت عثمان(١).

٢ ـ عن محمّد بن سعد، عن الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن أمّ بكر بنت المسور عن أبيها قال:

كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة: أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وأمّها زينب بنت علي. وأمّها فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، على ابنه يزيد، ويقضي عن عبد الله دينه، وكان خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة، ويكرمها بعشرة آلاف دينار. فبعث مروان إلى ابن جعفر، فأخبره، فقال: نعم. واستثنى رضاء الحسين بن علي(٢).

فأتى الحسين، فقال له: إنّ الخال والد وأمر هذه الجارية بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك، ثمّ قال للجارية: يا بنيّة إنّا لم نخرج منّا غريبة قطّ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨ ـ ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٠٧ و ٢٠٨ والعوالم ج١٧ ص٨٧ و ٨٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٩٨ ومن أخلاق الإمام الحسين «عليه السلام» لعبد العظيم المهتدي البحراني ص٩٦ .

(٢) وعند الحموي: قال عبد الله: إن خالها الحسين بينبع، وليس ممن يفتأت عليه، فأنظرني إلى أن يقدم.

أفأمرك بيدي؟!

قالت: نعم[١].

فأخذ بيد القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب فأدخله المسجد، وبنو هاشم وبنو أميّة وغيرهم مجتمعون.

فحمد مروان الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين قد أحبّ أن يزيد القرابة لطفاً والحقّ عظماً، وأن يتلافى ما كان بين هذين الحيّين بصهرهما، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمّه من بني هاشم، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه.

وولَّى أمرها الحسين خالها، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين.

فتكلَّم الحسين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

إنّ الإسلام دفع الخسيسة، وتمّم النقيصة، وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلم إلَّا في أمر مأثم، وإنّ القرابة التي عظَّم الله حقّها وأمر برعايتها، وأن يسأل نبيّه الأجر له بالمودّة لأهلها قرابتنا أهل البيت.

وقد بدا لي أن أزوّج هذه الجارية من هو أقرب نسباً، وألطف سبباً، وهو هذا الغلام، وقد جعلت مهرها عنه البغيبغة.

فغضب مروان وقال: غدراً يا بني هاشم؟!

---

(١) وعند الحموي: قال: يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق، وقد نحلتك البغيبغات.

ثمّ قال لعبد الله بن جعفر: ما هذا بمشبه أيادي أمير المؤمنين عندك.

فقال عبد الله: قد أخبرتك أنّي جعلت أمرها إلى خالها.

فقال الحسين: رويدك، ألا تعلم يا مسور بن مخرمة: أنّ حسين بن علي خطب عائشة بنت عثمان، حتّى إذا كنّا في مثل هذا المجلس، وقد أشفينا على الفراغ، وقد ولّوك يا مروان أمرها قلت: قد رأيت أن أزوّجها عبد الله بن الزبير؟!

قال مروان: قد كان ذلك.

قال الحسين: فأنتم أوّل الغدر وموضعه(١).

ثمّ نهض.

فقال مروان للمسور: يا أبا عبد الرحمن، والله لغيظي على عبد الله بن جعفر أشدّ من غيظي على الحسين، لرأي أمير المؤمنين فيه وأياديه عنده، ولأنّ

---

(١) وعند الحموي: فقال مروان: ما كان ذاك؟!

فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب، وقال : أنشدك الله أكان ذاك ؟

فقال : اللهم نعم.

فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم، يتوارثونها حتى استخلف المأمون، فذكر ذلك له، فقال : كلا هذه وقف علي ابن أبي طالب على ولد فاطمة، فانتزعها من أيديهم، وعوضهم عنها، وردّها إلى ما كانت عليه . إنتهى

الحسين وغر الصدر علينا، وعبد الله سليم الصدر، لأمير المؤمنين لصنائعه عنده.

فقال المسور: لا تحمل على القوم، فالذي صنعوا أفضل، وصلوا رحماً، ووضعوا كريمتهم حيث أرادوا، فأمسك مروان(١).

٣ ـ قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عليّ بن محمّد، عن جويرية بنت أسماء قال:

خطب معاوية بن أبي سفيان ابنة عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية، فشاور عبد الله حسيناً [«عليه السلام»] فقال: **أَتُزَوِّجُهُ وَسُيُوفُهُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمائنا؟ ضُمَّها إِلى ابْنِ أَخيكَ الْقاسِمْ بنِ مُحَمَّد.**

قال: إنّ عليّ ديناً.

قال: **دُونَكَ الْبُغَيْبَغَة، فَأَقْضِ مِنْها دَيْنَكَ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ ما كانَ يَصْنَعُ فيها عَمُّكَ.**

فزوّجها من القاسم.

ووفد عبد الله [على] معاوية، فباعه البغيبغة بألف ألف، وكتب معاوية

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص١٤٣ و ١٤٤ ومعجم البلدان ج١ ص٤٦٩ و ٤٧٠ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٨١ ـ ٨٣ والكافي ج٦ ص١٧٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٧١ والكامل للمبرد ج٣ ص١١٢٧ ـ ١١٣٠ وراجع: الإصابة ج٧ ص٣٤٣ و أعيان الشيعة ج١ ص٤٣٤.

إلى مروان يحزها، فركب مروان ليقبضها فوجد الحسين واقفاً على الشعب، قال: مَنْ شاءَ فَلْيَدْخُلْهُ، وَاللهِ! لا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ إِلاّ وَضَعْتُ فيهِ سَهْماً.

فرجع مروان، وكتب إلى معاوية..

فكتب إليه معاوية: أعرض عنها، وسوّغ المال عبد الله بن جعفر.

فلمّا هلك معاوية، وقُتل الحسين [«عليه السلام»] أخذ يزيد بن معاوية البغيبغة، فلمّا هلك يزيد ردّها ابن الزبير على آل أبي طالب.

فلمّا قتل ابن الزبير ردّها عبد الملك على آل معاوية.

فلمّا ولّي عمر بن عبد العزيز ردّها على ولد عليّ.

فلمّا ولّي يزيد بن عبد الملك قبضها، ودفعها إلى آل معاوية.

حتّى ولّي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال: ارتفعوا إلى القاضي(١).

وبعدما تقدم نقول:

سياسات تثير الريبة:

إن من يراجع كتب الحديث والتاريخ، يلاحظ أنها تشير إلى كثير من معاملات البيع والشراء للأراضي بين بني هاشم ومناوئيهم، وكانت تحصل خصومات فيها بينهم، بسبب تعمد التعدي على بني هاشم، ومحاولات

---

(١) ترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من الطبقات لابن سعد ص٣٩ ح ٢٤٦ وموسوعة كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

الإحتيال عليهم، واستلاب ما لديهم، بطريقة أو بأخرى..

وقد بدأت سياسة الإستيلاء على ضياع وعقارات بني هاشم في قصة الإستيلاء على فدك الشهيرة، حيث انتزعوها من فاطمة الزهراء «عليها السلام» بالقوة.

وكثيراً ما تنتهي تلك الخصومات إلى المرافعات عند من يتصدى للقضاء، أو لدى من يتراضى به المتخاصمان..

وكان عقيل «رضوان الله تعالى عليه» يتولى المرافعة عن علي «عليه السلام» في أمثال هذه الأمور..

ومن جهة أخرى نجد: أن ثمة تعمداً من مناوئي بني هاشم للزواج من كريمات الهاشميين. وكان هذا الأمر يحمل إحراجات ومشكلات كبيرة لبني هاشم.. ولاسيما بعد حربي الجمل وصفين، فإن قتل الهاشميين وإبادتهم على بكرة أبيهم كان غاية أماني مناوئيهم، وأعذب أحلامهم..

ويبدو لنا: أن الهدف من اعتماد سياسة شراء العقارات، والضياع، هو أن لا يبقى في أيدي الهاشميين شيء ذا بال، أو ذا قيمة تذكر، لأن توافر الأموال في أيديهم يفسح لهم المجال ـ وهم أهل الكرم والجود ـ لبذلها في قضاء حاجات الناس، وحل مشكلاتهم، وهذا يزيد من تعلق الناس بهم، وصرف أنظارهم إليهم.

كما أنهم ربما كانوا يخشون من أن يستفيد من فائض المال في تهيئة أسباب المنعة والقوة، وفي جذب فئات كثيرة إليهم، وإعدادها للإستفادة منها في حالات معينة.

أما ما يرتبط بالهدف من إنشاء علاقة المصاهرة مع الهاشميين، فربما كان هو استثمار هذه العلاقة في مجالات عدة.. حيث إن المرأة أو الزوجة إذا كان زوجها من فريق مناوئ لقومها، فإنها تصبح من وسائل الضغط على جماعتها، حين تتعرض للإذلال، أو تهدد بالطلاق، أو تتعرض للأذى في الجسد، أو للضغوط النفسية، أو تستعمل كوسيلة لتزويد هذا الفريق بأخبار عن الفريق الآخر، وربما كانت أخباراً حساسة ومضرة.. أو حين يراد إذلال جماعتها بها من خلال الحديث عن عيوب فيها، أو الإفتراء عليها، ونسبة ما هي بريئة منه إليها.

وربما يستفيدون من هذه العلاقة لإحداث انشقاقات أو خلافات في الفريق الآخر، وإضعافه من خلال احتواء جهد، أو الحصول على ولاء فريق منهم.

وكل هذه الإحتمالات لها شواهد حفل بها التاريخ، وبعض ذلك حصل في نفس يوم عاشوراء في كربلاء أيضاً، وذلك حين حاول اليزيديون إضعاف موقف الإمام الحسين «عليه السلام» بإعطائهم الأمان للعباس وإخوته، حين قال الشمر «لعنه الله»: أين بنو أختنا؟! فلم يجيبوه.

فقال لهم الحسين: أجيبوه وإن كان فاسقاً.

فأجابوه بما أفشل المحاولة، وأجهضها[1].

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ وج٤

الإمام الحسن عليه السلام يخطب بنت عثمان:

قد يستغرب المرء خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» عائشة بنت عثمان. والكل يعلم: أن عثمان لم يكن يطيق رؤية علي «عليه السلام» وأهل بيته. وله مع الإمام مواقف غير حميدة، وتصرفات غير سديدة.

ولكن التأمل في الأمور يعطي: أن أهل البيت «عليهم السلام» كانوا باستمرار دعاة وفاق ووئام، وكانوا بالرغم من المعاملة السلبية التي كان يبديها عثمان وفريقه يواجهون بها علياً وأهل بيته، كانوا «عليهم السلام» دائماً يسعون لتبريد الأجواء، ويساعدون على حلّ المشاكل.

ولتكن هذه المبادرة الحسنية من جملة المحاولات التي بذلت لرأب الصدع، وجمع شمل الجمع..

فقابل مروان هذه المحاولة بالصد بطريقة غادرة ومؤذية للإمام، وكان

ص١٢٩ وج٧ ص٤٣٠ ولواعج الأشجان ص١١٦ وأبصار العين للسماوي ص٥٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩١ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٤٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٨٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٥ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٩٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٤ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٨١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٢

البديل الأثير لديه هو عبد الله بن الزبير، الذي كان يخطط للإستيلاء على الحكم من أيدي بني أمية. وهذا ما حصل بالفعل.

كما أن هذا الموقف من مروان قد مهد السبيل للإمام الحسين «عليه السلام»، ليمنع من تزويج يزيد بن معاوية من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بطريقة حكيمة، وكان مروان هو الخاطب ليزيد، ولم يستطع أن يسجل أي اعتراض على الإمام، أو أي مؤاخذة عليه..

لا يفتأت على الحسين عليه السلام:

وتقدم: أن عبد الله بن جعفر حين فاجأه مروان بأمر خطبة ابنته ليزيد «لعنه الله»، جعل أمر ابنته إلى خالها الحسين الذي كان بيُنبع خارج المدينة، وقال لمروان عن الحسين «عليه السلام»: إنه «ليس ممن يُفتأت عليه».

وهذا يدل على عظمة الإمام الحسين «عليه السلام»، وأنه قد بلغ حداً لم يعد يمكن تجاهله، ولا التصرف بدون أخذ رأيه.

ولم يناقش مروان في هذا الأمر، بل سلّم وخضع، ولم يحاول أن يدعي أن أمر معاوية ويزيد مقدم على أمر الحسين ورأيه..

أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟!:

وقد صرحت **الرواية الثالثة والأخيرة**: بأن ابن جعفر استشار الحسين «عليه السلام» في تزويج يزيد.

فقال «عليه السلام»: «أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا»؟!

وفي **رواية البلاذري**: أنه قال لأم كلثوم: «يا بنية، إنّا لم نخرج منا غريبة قط».

أما رواية ابن شهرآشوب، فتذكر: أنه لما أخبر الحسين بالأمر، وأن الأمر إليه قال:

«أستخير الله تعالى. اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد..» .

وفي أجواء هذه الكلمات المباركة نلاحظ مايلي:

١ ـ إن من يسعى في سفك دماء أهل بيت النبوة، وسائر بني هاشم، لن يكون رؤوفاً ولا رحيماً بامرأة من أهل هذا البيت، يرى لنفسه السلطة عليها، بل يرى نفسه ملكاً ومالكاً رقاب المسلمين عامة، ولديه الجيوش والأموال، والهيمنة، والسلطة، ولا شيء يردعه عن ارتكاب أي موبقة، لأنه لا دين له، ولا أخلاق، ولا قيم، ولا مقدسات.

وقد سعوا في قتل وصي نبيهم، ومن هو كنفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، وحاولوا إبادة أهل بيته، وأوغلوا في قتل خيار وأبرار هذه الأمة في حروب الجمل وصفين..

٢ ـ إن تزويجها لمن لا يرعون حقها، ولا قرابتها من رسول الله، ويعتبرونها غريبة عنهم، أو عدوة لهم، إن هذا التزويج لا يرضاه الله تعالى، لأنه قطع لرحمها. وتضييع لحقوقها، وتعريض لها للبلاء والشقاء..

٣ ـ إنه «عليه السلام» حين قال: أستخير الله، يكون قد أفهمهم أنه سيراعي في هذا التزويج رضا الله تعالى، فمن يكون تزويجه أرضى لله، فإنه هو الذي سيقع الإختيار عليه.

٤ ـ ثم نظر في حال الشخصين الذين يفترض أن يكون أحدهما هو الزوج، ويفترض في أهله وأقاربه أن يكونوا البيئة الحاضنة للزوج، ويفترض

أن يكون قد اكتسب منهم الكثير من عاداته وأخلاقه، وخصائصه ومكونات شخصيته، فوجد «عليه السلام»: أن آل محمد هم الأمثل، والأفضل، فدعا الله تعالى أن يوفق لهذه الجارية من يرضاه لها من آل محمد..

كانت تلك المعايير الحسينية للزواج. وهي معايير ربانية وإيمانية خالصة.

المعايير الأموية للزواج:

والمتأمل في نصوص هذه القضية يخرج بحقيقة: أن المعايير الأموية للزواج ولسائر العلاقات ليست معايير، بل هي أحابيل شيطانية بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

وقد عرضها مروان.. وفندها الإمام الحسين «عليه السلام» بصورة قوية وحاسمة، ولا نريد أن نعيد كل الكلام المتقدم، بل نقتصر على التذكير بأمور هي:

الأول: الإغراء بالمال الذي هو في الأكثر مغتصب ومستلب، أو فقل: نتيجة إغارة على بيت مال المسلمين، وربما حصلوا على بعضه بطرق ملتوية، ولم يكن نتيجة جهد بذلوه، أو خدمة قدموها، ولأنهم لم يتعبوا في تحصيل هذه الأموال، فكان يهون عليهم أن يبذلوا منها المبالغ الكبيرة في سبيل أغراضهم وأهوائهم.

وقد رأينا: أن معاوية ـ كما في رواية البلاذري ـ قد كتب إلى مروان: أن يخطب أم كلثوم. ويقضي عن عبد الله بن جعفر دينه، وهو خمسون ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف، ويصدقها أربع مئة، ويكرمها بعشرة آلاف.

لكن الرواية الأولى تقول: إن مروان ذكر: أن معاوية أمره أن يجعل

مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ. بالإضافة إلى قضاء دينه، وصلح ما بين الحيّين.

الثاني: إن تزوير الحقائق، قد تناهى إلى حد مخيف، فهم يجعلون الحق باطلاً، والعالم جاهلاً، والعكس.. ويجعلون الشيطان تقياً عابداً، والسارق السالب والمعتدي الغاصب عفيفاً زاهدا.. وما توصيف مروان ليزيد: بأنه يستسقى بوجهه الغمام، وبأنه كفؤ من لا كفؤ له، وبأن من يغبطهم بيزيد أكثر ممن يغبطه بهم، إلا الدليل الواضح على ما نقول..

اللهم إلا أن تكون المفاهيم قد تبدلت، والحقائق قد انقلبت إلى أضدادها عند أمثال مروان ومعاوية، ومن هم على شاكلتهم، من بني أمية وغيرهم.

الثالث: إن مروان جعل زواج يزيد من هاشمية من مفردات التفضل والإحسان من معاوية لبني هاشم.

وهذا عجيب، فإن الناس يتبركون بقرابة الرسول، ويتشرفون بهم، ويرجون بالتقرب منهم الزلفى عند الله، ولكن معاوية يرى أن تزويج ابنه يزيد الفاسق، والقاتل، وشارب الخمر، و.. و.. تفضلاً وإحساناً منه لقرابة الرسول!!

نظرة في جواب الحسين عليه السلام لمروان:

وقد تضمن كلام الإمام الحسين «عليه السلام» أموراً كثيرة على جانبٍ كبير جداً من الأهمية والحساسية، واستقصاء هذه الأمور وبسط الكلام فيها، يحتاج إلى توفر تام، ووقت طويل، غير أن ما لا يدرك كله لا يترك

جلَّه، فنحن نشير بإيجاز إلى شيء من ذلك، كما يلي:

اختار لنفسه:

بدأ كلامه «عليه السلام» بقوله: «الحمد لله الذي اختارنا لنفسه»، ومن المعلوم: أن اختيار شيء لشيء يحتاج إلى مبرر يجعل هذا الاختيار مفهوماً، ومنسجماً مع الحكمة، ومستنداً إلى العلم بحقيقة واستعدادات، وقدرات وأهلية من وقع الإختيار عليه للوفاء بالغرض الذي اختير لأجله.

فإذا كان الذي يختار الشخص أو الأشخاص هو الله تعالى العليم الخبير، والحكيم البصير، وكان يريد أن يختار من يختص به لنفسه، ممن يقدر على حفظ أهدافه، ولديه الأهلية لتحقيق غاياته. فإن ذلك يفرض أن يطلعه على الكثير من أسرار ملكوته، وبديع صنعه، ويجعله عيبة علمه، وأمينه في خلقه، وحجته على عباده..

وفي زيارة أمير المؤمنين «عليه السلام»، نقول: السلام عليك يا أمين الله في خلقه، وحجته على عباده..

وأين معاوية، ويزيد، ومروان، وسائر بني أمية، والخلق أجمعون ممن يختارهم الله لنفسه.. فيكون «عليه السلام» بقوله: «الحمد لله الذي اختارنا لنفسه» قد أبطل جميع ما ادعاه مروان ليزيد زوراً بفقرة واحدة مؤلفة من ثلاث كلمات هي قوله: «واختارنا الله لنفسه»، ولا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة، أو أن يناقش فيها أي كان من الناس، إلا على سبيل الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق.

ارتضانا لدينه:

وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد. ولكن الإمام الحسين «عليه السلام» يريد أن يعطي درساً بليغاً للأمة بأسرها، ليستفيد الأول والآخر منه حقائق ودقائق هم بحاجة ماسَّةٍ إلى معرفتها، والإستفادة منها. فقال «عليه السلام»: «وارتضانا لدينه».

والمراد من ارتضائهم لدينه: أنهم هم الذين يحفظون هذا الدين، وينشرون أحكامه، ويدفعون الشبهات والأضاليل عنه، ومنهم تؤخذ حقائق هذا الدين، وعليهم يعول، وهم المرجع للأمة فيه. وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة، ودليل عليه.

ولا يرتضي الله لدينه على هذا النحو من يخطئ ويصيب، ولا يختار له من يتبع هواه، ولا يراقب في قوله وفعله. ولا يرتضي من يجهل شيئاً من حقائقه، ومن سائر أحكامه.

فارتضاء الله أهل البيت لدينه إنما هو لعلم الله بعصمتهم عن الخطأ وعدم اتّباع الهوى، ولعلمه بمعرفتهم الشاملة، بكل المعارف الدينية وغير الدينية التي لها نحو من أنحاء الإرتباط بمهمتهم ومسؤليتهم تجاه هذا الدين، وهذا الخلق كله، فهل يقاس بأهل البيت من عاش في بيئة الفجور والإنحراف، والإنغماس في المعاصي والآثام؟!

واصطفانا على خلقه:

ثم قال «عليه السلام»: «واصطفانا على خلقه» للدلالة على أن الله تعالى لم يختر أهل البيت لأمر كان يمكن لغيرهم أن يتولاه على حدّ توليهم له، بل

هو اختارهم، إذ لم يوجد في الخلق نظير لهم، ولا بديل عنهم.

فكيف يقاس بهم يزيد أو غيره من أهل الخمور والفجور، والقتلة والظلمة، وما إلى ذلك؟!

جزاء الإنتقاص من أهل البيت عليهم السلام:

وقال «عليه السلام»: «وأيّم الله، لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته».

وما ذكره «عليه السلام» ظاهر المأخذ، فإنهم «عليهم السلام» إذا كان الله تعالى قد ارتضاهم لنفسه، ولدينه، واصطفاهم على خلقه، وأنزل عليهم كتابه ووحيه، فإن من أراد أن يذهب بحقهم، أو ببعض ذلك الحق، سيكون عمله هذا مضراً بالأهداف الإلهية، ومضراً بالدين، وبالوحي والكتاب.

مما يعني: أن العدوان على أهل البيت عدوان على الله تعالى، وتضييع لدينه، ووحيه وكتابه، وأهدافه، فلا بد أن يتولى الله عز وجل الإنتقام ممن يفعل ذلك، ولذلك قال «عليه السلام»: «إلا انتقصه الله في حقه في عاجل دنياه وآخرته».

وهذا تقريع لمعاوية ويزيد، ومروان، وكل من حارب أهل البيت ولا يزال يسعى للإنتقاص منهم، وجحد مقاماتهم..

والعاقبة لأهل البيت عليهم السلام:

ثم قال «عليه السلام»: «ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة. ولتعلمن نبأه بعد حين».

وهذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ويبدو لنا: أنه «عليه السلام» أراد أن يشير إشارة إلى الواقع الذي كان قائماً في تلك الأيام، بعد خيانة جيش الإمام الحسن «عليه السلام»، التي أدت إلى ما يسمى بالصلح بينه «عليه السلام» وبين معاوية، الذي تسلط على الأمة بالقهر والغلبة.

فإن هذه الدولة والغلبة التي حصلت لمعاوية وبني أمية لا تعني أن أمر أهل البيت قد انتهى، بل لا شك في أن الأمور ستعود إليهم، وستكون العاقبة لهم، وإن بعد حين.

وهذا إخبار غيبي يعرف مروان أنه «عليه السلام» لا يقوله من تلقاء نفسه، بل هو خبر صادقٍ عن صادقٍ، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عن جبرئيل، عن الله عز وجل.

وهو خبر تطير له قلوب بني أمية خوفاً وجزعاً، لمعرفتهم أنه واقع لا محالة..

سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته:

ويتابع الإمام الحسين «عليه السلام» تفنيد مزاعم مروان حول مقدار المهر، فيقول في جوابه: «..لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته، ونسائه، وأهل بيته..».

فقد يقال: إن هذا يدل على أن للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات غير الزهراء، وأنهن قد تزوجن، وكانت لهن مهور لا تعدو أربعمئة وثمانين درهماً.. فما معنى إثارة الشبهة حول زوجتي عثمان، وإنكار أنهن بنات

رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ونجيب:

بأن الله سبحانه يقول في آية المباهلة: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾(١).

ثم لم يدع النبي «صلى الله عليه وآله» من الأبناء سوى الحسن والحسين «عليهما السلام»، ولم يكن له أبناء سواهما، وهما اثنان، وليسا جمعاً..

كما أنه لم يدع من النساء سوى فاطمة «عليها السلام»، وهي امرأة واحدة أيضاً، مع أن كلمة نساء في الآية تدل على الجمع..

وهكذا يقال بالنسبة إلى الأنفس، فإنها جمع أيضاً، ولكنه لم يدع غير علي «عليه السلام».

ولعل الحكمة في إيراد لفظ الجمع في أمثال هذه الموارد: هو الإلماح لخصوصيات أخرى تحسن مراعاتها في موارد كهذه، وربما كان منها أن يرى المخاطب نفسه في فسحة من أمره لشعوره بأن الأمر مفوض إليه، ولو على سبيل التوسع في مداليل الكلام، ليشمل البنت بالولادة، والبنت بالتربية مثلاً، وليشمل لفظ الابن بعد التوسع فيه الإبن بالتبني أيضاً، وهكذا في سائر الموارد.

---

(١) الآية ٦١ من آل عمران.

لا نعدو مهر السنة:

وحين عرض مروان أن يكون مهر أم كلثوم حكم أبيها بالغاً ما بلغ، قال الإمام الحسين «عليه السلام» في جواب مروان: «لو أردنا ذلك، ما عدونا سنة رسول الله في بناته، ونسائه، وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقيه إلخ..»، فيكون بذلك:

١ ـ قد أفرغ تبجح مروان بالأموال وكثرتها من محتواه.

٢ ـ ثم بيَّن أنه عرض لا ينسجم مع سنة الرسول في مهور النساء..

٣ ـ وبيَّن أن أهل البيت ليسوا من أهل الطمع بالأموال، مهما كثرت وعظمت.

٤ ـ ويبدو أنه أراد أيضاً: أن يلمح قبل أن يصرح: إلى أنهم «عليهم السلام» لا يريدون زواجاً كهذا، حتى لو كان الخاطب هو معاوية لابنه يزيد، ولأجل ذلك استفاد من كلمة «لو» الدالة على الإمتناع، فقال: «لو أردنا».

ثم إنه «عليه السلام» صدق القول بالفعل، فزوجها من القاسم بن محمد بن جعفر..

عاديناكم في الله:

وقول الإمام الحسين «عليه السلام»: «عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري فلقد أعيا النسب فكيف السبب»؟! لا يحتاج إلى مزيد بيان:

١ ـ فإن من يعادي لأجل الدنيا لأن عدوه قد حال بينه وبين الحصول عليها، فإن عداوته تزول إذا أزال ذلك الشخص ذلك الحائل، ومكنه من الحصول على دنياه، فلا يبقى مبرر للعداوة.

ولكن من يعادي في الله، فإن عداوته لا تزول إلا إذا حصل الرضا الإلهي، من خلال العمل بما أمر، والإنتهاء عما نهى..

٢ ـ أما قوله «عليه السلام»: «فلقد أعيا النسب فكيف السبب»؟! بمثابة الشاهد الواقعي على صحة القرار الذي تضمنته الفقرة الأولى.. فإن القربى النسبية بين بني هاشم وخصومهم، إذا لم توجب زوال تلك العداوة التي في الله، فإن القربى السببية المتمثلة بزواج إحدى بنات بني هاشم بأحد رجال بني أمية، لن تزيل هذه العداوة قطعاً، فإن صلة النسب هي الأقوى، فلا معنى للتشبث بصلة السبب التي هي الأضعف.

قضاء دين أبي الجارية:

وقد سدد «عليه السلام» سهماً حاداً إلى كبرياء المستولين على الملك بالغلبة والقوة حين رفض عرض سداد دين عبد الله بن جعفر، لأجل تزويج ابنته من يزيد، حيث قال: «فمتى كن نساءنا يقضين عنّا ديوننا»؟!

فإذا كان هذا ليس من شيم بني هاشم، لأنهم يرون ذلك ضعفاً، أو انكساراً ومهانة، فإن من قدم هذا العرض، إنما قدمه لأنه لا يرى فيه أية مهانة أو ضعف، فلا مانع لديه من الإقدام عليه.

وكلمة الإمام الحسين «عليه السلام» هذه قد بينت: أن عنجهية هؤلاء الناس تتلاشى أمام حطام الدنيا. حتى إنهم على استعداد لارتكاب هذا

الأمر المذل، بالرغم من كل ادعاءاتهم الزائفة للنبل والكرامة، والإباء.

الإمارة لا تزيد في الكفاءة:

وقد زعم مروان: أن يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فجعل كونه إبناً للحاكم المتسلط على رقاب المسلمين من أسباب زيادة كفاءته. فإن ابن الحاكم والملك كفؤ لبنت الحاكم والملك الذي يضاهي أباه في الملك.

وقد بيَّن الإمام الحسين «عليه السلام» الخطأ في هذه المعادلة، فإن الكفاءة تنبع من داخل ذات الإنسان، ومزاياه في نفسه، وفي إيمانه، واستقامته على جادة الصواب والحق والدين..

وهذا لم يكن لدى يزيد شيء منه.. وإلا فقد كان ابن نوح كافراً، فهل هو كفؤ لأية مسلمة مؤمنة، حتى لو لم تكن بنت نبي؟!

ليس عند الحسين خلاف:

وبحسب نص البلاذري ـ قال مروان بعد أن أنهى كلامه في خطبة أم كلثوم ليزيد ـ: «..وولى أمرها الحسين، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين».

وكأن مروان أراد أن يحرج الحسين، بإطلاقه هذا التهديد المبطن، بأن رد يزيد سيعتبره معاوية ويزيد من الخلاف عليه، الذي لا بد من الحذر منه، لأن له عواقب خطيرة.

ولكن الإمام الحسين «عليه السلام» يعرف موقعه وتكليفه الشرعي، ولن يثنيه شيء عن امتثال الأمر الإلهي. فإنه لا يخاف في الله لومة لائم.

وهذا بالذات هو ما أجاب به «عليه السلام» على هذا التهديد، حيث قال: «وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلمٍ إلا في أمر مأثم». كما ورد في نص البلاذري المتقدم.

أحب أن يزيد القرابة لطفاً:

وقد زعم مروان: أن معاوية «قد أحب أن يزيد القرابة لطفاً، والحق عظماً»، وما أسرع ما سمع الجواب الصاعق من الإمام الحسين «عليه السلام»، على قاعدة: «من فمك أدينك»، فقد قال له:

«إن القرابة التي عظم الله حقها، وأمر برعايتها، وأن يسأل نبيه الأجر له بالمودة لأهلها، قرابتنا أهل البيت».

فهو «عليه السلام» في حين قد ألزم مروان، ومن وراء مروان بما ألزموا به أنفسهم من رجحان رعاية القرابة، وتعظيم حق الرحم.. فإنه قد بين لهم أنهم قد أخطأوا في التطبيق. فإن المقصود بها هو ما عناه الله تعالى بقوله: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[(١)]. والمقصود بالقربى هو قرابتهم أهل البيت. التي لم يرعها بنو أمية، بل حاربوها وسعوا في استئصالها.

وقد قال الحسين «عليه السلام» لابن جعفر مشيراً إلى ذلك: «أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا»؟!

---

(١) الآية ٢٣ من الشورى.

ثم بادر إلى تطبيق هذه القاعدة بالذات بتزويج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، من القاسم بن محمد بن جعفر.

فدحض مزاعم مروان حيث قال: «وقد بدا لي أن أزوج هذه الجارية، من هو أقرب نسباً وألطف سبباً، وهو هذا الغلام إلخ..».

البغيبغة لمن أصبحت:

تقول رواية ابن شهرآشوب المتقدمة: أن الحسين «عليه السلام» قد زوج أم كلثوم على أربع مئة وثمانين درهماً، قال: «وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة ـ أو قال: أرضي بالعقيق ـ وإن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار.

لكن رواية البلاذري تقول: إنه «عليه السلام» قال: «وقد جعلت مهرها عنه البغيبغة».

أما رواية ابن سعد، فتقول: إن الحسين «عليه السلام» قال لعبد الله بن جعفر: «أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟! ضمها إلى ابن أخيك القاسم بن محمد.

قال: إن علي ديناً.

قال له: دونك البغيبغة، فاقض بها دينك».

ثم ذكرت الرواية: أن عبد الله بن جعفر، باع البغيبغة لمعاوية بألف ألف.

وأن الحسين «عليه السلام» منعهم من دخولها. فأعيدت إلى أهلها..

ـ فهل أعطاها البغيبغة نحلة؟!

ـ أو أنها كانت هي المهر كما في نص البلاذري؟!

ـ أو أعطاها لأبيها ليقضي دينه منها؟!

ـ أو أنه أعطاها لها ثم أرشد أباها إلى إمكان أن يقضي دينه من غلتها؟!

كل ذلك محتمل، ولكن ما لا شك فيه هو: أن هذه الأرض أصبحت في عهدة أبناء جعفر لكي يصرفوا غلتها فقط في حاجاتهم، أما نفس رقبة الأرض فهي للحسن والحسين «عليهما السلام».

ويشهد لذلك: أن الحسين «عليه السلام» حين نحل أم كلثوم هذه الأرض، قال: «وإن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار».

فالنحلة هي غلة الأرض لا رقبتها. وسيتضح ذلك مع شواهد أخرى نذكرها حين الحديث عن رواية ابن سعد.

توجيهات لا تكفي:

وقد حاول السيد الأمين «رحمه الله» ترجيح رواية المبرد، فقال:

كلام المبرد في خبر تزويج أم كلثوم هذه يدل على أن الحسين «عليه السلام» نحلها البغيبغة، ورواية ابن شهرآشوب تدل على أنه نحلها ضيعته بالمدينة، أو أرضه بالعقيق. وأرض العقيق خارجة عن البغيبغة التي بيُنبع، أما ضيعته بالمدينة فيمكن انطباقها على التي بيُنبع، لأنها من توابع المدينة، وحينئذ فيرجح ما ذكره المبرد، ويضعف أنه نحلها أرضه بالعقيق(١).

____

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص٤٣٥.

ويؤيد ذلك: ما ذكر، من أن البغيبغة كانت في عهد المأمون في أيدي بني عبد الله بن جعفر، فانتزعها منهم المأمون وردها وقفاً، كما أرادها علي «عليه السلام»[١].

حيث يدل على أن البغيبغة هي التي أعطيت لأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، أو أعطيت لعبد الله بن جعفر نفسه لصده عن تزويج ابنته ليزيد..

قال السيد الأمين تعليقاً على ما ذكره ياقوت ما يلي:

«ما فعله المأمون أراد به الجمع بين بقاء وقف علي «عليه السلام» على حاله، وعدم الحيف على ولد عبد الله بن جعفر، فانتزعها منهم وردها إلى ما كانت عليه، وعوضهم عنها»[٢].

ولكن ما فعله المأمون لم يكن صواباً، ولا ينبغي تبريره، لأنه تضمن نقضاً لما فعله الإمام الحسين «عليه السلام»، الذي لا يمكن التشكيك في صحة ما يقول ويفعل وصوابه، ولاسيما بعد أن صرح الإمام علي «عليه السلام» في نفس كتاب التصدق بهذه الأرض: بأن للحسن والحسين أن يتصرفا في هذه الأرض بكل ما يرونه مناسباً، إن احتاجا إلى ذلك.

وأية حاجة أعظم من حفظ هذه المرأة الصالحة من أن يظفر بها يزيد

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص١١٣ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٦٥٩.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص٤٣٥.

المعلن بالفسق، وشارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة؟!

أيادي معاوية عند ابن جعفر:

وقد عبر مروان عن مرارته البالغة من عبد الله بن جعفر، لأنه لم يحفظ أيادي معاوية وصنائعه عنده!!.

وليت شعري من أين لمعاوية المال لكي يسخو به على الآخرين؟! أليست هي أموال بيت مال المسلمين الذي استولى عليه بقوة السلاح، وصار يصرفه في مباهجه، ويهبه لأعوانه، ويمنحه لأقاربه وخلانه؟!

الفرق بين ابن جعفر والحسين عليه السلام:

وقد زعم مروان: أن الحسين «عليه السلام» كان وغر الصدر على بني أمية، ولم يكن عبد الله بن جعفر كذلك، بل كان سليم الصدر لمعاوية لصنائعه عنده..

ونلاحظ:

أن مروان يرى: أن المال هو كل شيء في الحياة، فبذله يغير النفوس، ويبدل الأخلاق، ويؤثر على العقول، ويقلب الشخصية الإنسانية في صفاتها وسماتها، وحالاتها لتصبح موجوداً آخر غير الذي كان..

إنه ظن أن إعطاء معاوية الأموال لابن جعفر، قد فعل فعله في ابن جعفر، ولم يعد يوغر صدره ما يوغر صدر الحسين «عليه السلام»، ولا يغتاظ من الظلم والبغي، والكذب، ومخالفة الشرع والأخلاق، وقتل النفوس، والتعدي على الناس، والعبث بحقائق الدين، ومحاربة الإمام،

وقتل صلحاء الأمة و أبرارها في الجمل وصفين..

وإذا به يفاجأ: أن ابن جعفر لا يزال يحمل في داخل ذاته أخلاقاً وقيماً، وفي وجدانه إنصافاً، وفي ضميره حياة، وفي سلوكه التزاماً بأحكام الشرع والدين.

كما أنه يحمل نفساً نبيلة، وصفاتاً جميلة لم يكن يتوقعها مروان.

في رواية البلاذري تحريف:

زعمت رواية البلاذري: أن مروان اعترف للحسين «عليه السلام» بصحة ما ذكره من تزويج عائشة بنت عثمان لعبد الله بن الزبير، بواسطة مروان، مع أنه كان المقرر المتفق عليه هو تزويجها من الإمام الحسن «عليه السلام»، في ذلك المجلس الذي كان مخصصاً لإجراء العقد.

لكن الرواية الأخرى التي ذكرها ياقوت وغيره، تقول: إن مروان أنكر ذلك، وقال: «ما كان ذلك»

فالتفت الإمام الحسين إلى محمد بن حاطب، قائلاً له: أنشدك الله، أكان ذلك؟!

فقال: اللهم نعم».

فمروان يكذب جهاراً نهاراً، دون حياء، ولولا إقدامه على الكذب لما احتاج الإمام الحسين «عليه السلام» إلى شهادة محمد بن حاطب..

ليس هذا غدراً:

وقد زعم مروان: أن ما فعله الإمام الحسين «عليه السلام» كان غدراً

من بني هاشم..

وهو كلام باطل، فإن عبد الله بن جعفر لم يجب مروان بالإيجاب حين فاتحه في أمر زواج ابنته ليزيد، بل قال له: إني جاعل أمرها إلى خالها، كما في رواية البلاذري.

وبحسب رواية ابن شهرآشوب، قال له: إن أمرها ليس إلي، وإنما إلى الحسين «عليه السلام»، وهو خالها، ولما أخبر الحسين بالأمر، قال: «أستخير الله تعالى».

فلا يوجد قرار، أو اتفاق، أو جواب بالإيجاب من ابن جعفر حول تزويج ابنته من يزيد، فأين الغدر في تصرف الإمام الحسين «عليه السلام» هنا يا ترى؟!

أما في قصة عائشة بنت عثمان: فقد ذكرت رواية البلاذري المتقدمة: أن الإمام الحسين قال للمسور بن مخرمة: «ألا تعلم يا مسور بن مخرمة: أن حسين [حسن، كما عند ابن شهرآشوب] بن علي خطب عائشة بنت عثمان، حتى إذا كنا في مثل هذا المجلس، وقد أشفينا على الفراغ، وقد ولوك يا مروان أمرها، قلت: قد رأيت أن أزوجها عبد الله بن الزبير».

فإن هذا النص يدل على أن الأمور كانت قد حسمت، وأشفوا على الفراغ، ولم يبق إلا إيقاع العقد، فولوا أمرها مروان، فعدل عن الإمام الحسن أو الحسين إلى عبد الله بن الزبير، ولذلك قال الإمام الحسين هنا لمروان: «فأنتم أول الغدر وموضعه».

رواية ابن سعد هي الفيصل:

وقد أوضحت رواية ابن سعد المتقدمة ما أبهم في قصة عين أبي نيزر، وأجابت على الإشكالات، ونحن نذكر هنا بعض ما ألمحت إليه، فنقول:

إن عليَّ ديناً:

أظهرت رواية ابن سعد: أن الدين الذي ركب عبد الله بن جعفر ـ والدين هم بالليل وذُلّ بالنهار ـ قد دعاه إلى التفكير في إجابة طلب معاوية تزويج ابنته من يزيد..

وبالرغم من أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد وضعه أمام إحراج كبير، بقوله له: أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟! مما يعني: أن هذا التزويج سوف يزعج سائر بني هاشم، الذين لن يكونوا سعداء إذا تزوجت ابنتهم بمن أوغل في دمائهم، أو دماء أحبائهم، وأنصارهم..

وإذ بعبد الله بن جعفر يدلي بعذره في رضاه بهذا الأمر، حيث قال: «إن عليَّ ديناً». أي أنه يأمل أن يساعده هذا التزويج على قضاء دينه.

فعرض عليه الحسين «عليه السلام» حلاً أرضاه، حيث قال له: دونك البغيبغة، فاقض منها دينك، فقد علمت ما كان يصنع بها عمك.

فزوجها من القاسم.

دونك البغيبغة:

وهذا الجواب الحسيني لعبد الله بن جعفر دقيق وعميق، وإن كان عبد الله بن جعفر قد غفل عن دلالته ومراميه..

وتوضيح ذلك:

١ ـ إنه «عليه السلام» قد قال لابن جعفر: «دونك البغيبغة، اقض منها دينك» ولم يقل له: خذها واقض دينك منها.. بل قد أباح له أن يستفيد منها في قضاء دينه، وكما يكون ذلك بأخذها وبيعها، فإنه يكون أيضاً بالإستفادة من غلتها التي تبلغ ثمانية آلاف دينار في السنة.

ومراده «عليه السلام» هو هذا الخيار الثاني، لأجل القرائن التالية:

ألف: إن كلمة «دونك» لا تفيد أكثر من إباحة الإستفادة من الشيء، ولا تفيد تمليكه، فهو كقولك لشخص عطشان: دونك الإبريق، فارفع به عطشك. وقولك لمن يحتاج دابة توصله إلى بيته: دونك فرسي، فاركبها..

ب: إنه قال له: «فاقض منها دينك»، ولم يقل له: فاقض بها، فهو كقولك: دونك الإبريق، أو دونك البئر فاشرب منه، فإنه لا يدل على أنه قد ملك الإبريق أو البئر.

ولكن لو قال: دونك البغيبغة، فاقض بها دينك، فذلك يدل على إباحة التصرف في ذات الأرض، حتى بالبيع، أو بإعطائها مقابل الدين..

ج: **والقرينة الثالثة**: قوله «عليه السلام»: «فقد علمت ما كان يفعل بها عمك». فإنه إشارة إلى أن علياً «عليه السلام» كان يصرف غلتها في سدِّ حاجات الناس، وقضاء ديونهم.. مما يعني: أنه أباح له فعل ذلك أيضاً فيما يرتبط بقضاء الديون التي عليه..

د: **وهنا قرينة رابعة وهي**: أن علياً «عليه السلام» قد صرح في كتاب الصدقة: بأنه ليس لأحد الحق في التصرف في نفس الأرض إلا الحسن

والحسين، فما معنى إقدام ابن جعفر على التصرف بها بالبيع، وهو إنما أبيح له الإستفادة من غلتها وحسب؟!

هـ: إن الحسين «عليه السلام» وقف على الشعب ليمنع مروان من دخول البغيبغة. فعاد أدراجه، ولا يفعل الحسين هذا لو كان يصح لابن جعفر بيع تلك الأرض، لما تقدم: من أن الحسين «عليه السلام» إنما أجاز لابن جعفر أن يقضي دينه من الناتج من تلك الأرض لا من بيع الأرض نفسها..

الحسين عليه السلام ليس قاطع طريق:

تقدم: أن الحسين «عليه السلام»، وقف ومنع مروان من الدخول إلى تلك الأرض، وهدد «عليه السلام» من يدخل إليها بأنه سيضع فيه سهماً، فرجع مروان من حيث أتى.

فلو لم يكن الحسين «عليه السلام»، محقاً في موقفه هذا لشنع عليه بنو أمية، واتهموه بأنه أصبح قاطع طريق، ويمتهن العدوان، وسلب الناس أموالهم.

وقد أدرك معاوية: أنه لو أصر على أخذ هذه الأرض، لكان هو الخاسر الأكبر، ولو وجد أية وسيلة لاستلابها من بني هاشم لما تأخر عن ذلك.

والسبب في ذلك: أن الناس كانوا يعرفون أن هذه الأرض من صدقات علي «عليه السلام»، وأنه حبسها أو وقفها لتكون غلتها للفقراء، وأبناء السبيل، وفيها كتاب بخط علي «عليه السلام»، فاستلابها وتداولها بالبيع والشراء سيكون فضيحة لمعاوية.

فبيع ابن جعفر لها إنما هو بيع لما لا يملك.

ولعل معاوية قد أقدم على شرائها من ابن جعفر ظناً منه أن ابن جعفر قد حل مع الإمام الحسين «عليه السلام» مشكلة كونها لا تباع ولا توهب، بل يجب التصدق بغلتها، ولم يعد هناك اعتراض من الحسين على بيعها..

وموقف الإمام الحسين «عليه السلام» قد عرَّف الناس كلّهم أن عبد الله بن جعفر حين باعها من معاوية كان واقعاً في وهم كبير. وأن التكليف الشرعي للإمام الحسين «عليه السلام» هو حفظ هذه الأرض، لأن رقبتها مملوكة له (أو هي موقوفة على بعض الإحتمالات) ـ نعم.. إن المطلوب هو حفظها ـ لكي تنفق غلتها في مواردها وعلى النحو الذي حدده أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وتبقى المشكلة بين معاوية، وعبد الله بن جعفر، فهما يتوليان حلها بين بعضهما البعض، وفقاً لما تفرضه العلاقة بينهما، ولما لديهما من اعتبارات، لا تعني للإمام الحسين «عليه السلام» شيئاً.

معاوية مضطر للتراجع:

وحين أمر معاوية مروان بالإعراض عن تلك الأرض لم يفعل ذلك معاوية إلا اضطراراً، لا عن كرم أخلاق، ونبل، وحلم وتسامح. بل لم يكن أمامه خيار غير الإعراض عن الأرض، أو تعريض نفسه لما يتحاشاه، لاسيما، وهو يعد العدة لتولية يزيد العهد من بعده.

ومما يؤكد: أن معاوية كان مضطراً للتراجع عن استلاب هذه الأرض التي يسيل لها لعابه، ويريد أن يخرجها من يد أهل البيت، لأنها تجلب لهم

المحبين: أنه كان قد شرط في عقد العهد بينه وبين الإمام الحسن: أن أمر الأمة بعده يعود للإمام الحسن، ثم الإمام الحسين «عليهما السلام»، وليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده.

فليس من المصلحة تحريك الإمام الحسين «عليه السلام» بالعدوان عليه في استلاب المال الذي هو له، أو يعود أمره إليه، في هذه البرهة بالذات.

الفصل الحادي عشر:

حـــديث الإســـتشـــهاد..

علي عليه السلام للحسين عليه السلام: كم بقي من شهرنا؟!:

«..وقدم علي كرم الله وجهه من سفره، واستقبله الناس، يهنئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر، فخطب خطبة حسنة.

ثم التفت إلى ابنه الحسين، فقال: يا أبا عبد الله، كم بقي من شهرنا هذا؟! يعني شهر رمضان الذي هم فيه.

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته، وهي يومئذٍ بيضاء، وقال: والله ليخضبنّها بالدم، إذا انبعث أشقاها.

قال: ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي ... خليلي من عذيري من مراد

فسمع ابن ملجم لعنه الله؛ فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك؛ فجاء حتى وقف بين يدي علي «رضي الله عنه»، فقال:

أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك، فاقطعهما، أو اقتلني.

فقال علي «كرم الله وجهه»: وكيف أقتلك، ولا ذنب لك عندي؟! إني لم

أردك بذلك المثل. ولكن خبرني النبي «صلى الله عليه وآله»: أن قاتلي رجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، ولكن هل كان لك لقب في صغرك؟!

فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين.

قال علي: فهل لك حاضنة يهودية، فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح؟!

قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فسكت علي، وركب، وصار إلى منزله»[1].

ونقول:

كم بقي من شهرنا هذا:

لا ريب في أن علياً «عليه السلام» كان يعرف جواب السؤال الذي وجهه إلى الإمام الحسين «عليه السلام» بقوله: «كم بقي من شهرنا هذا»؟!

وهذا يجعل السؤال التالي يفرض نفسه:

لماذا يطرح «عليه السلام» سؤالاً يعرف جوابه؟!

واللافت: أنه طرح سؤاله هذا، وهو يخطب على المنبر، وفي الملأ العام.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص١٣٦ و١٣٧ و (ط دار الأضواء) ص٢٧٦ و ٢٧٧ وكشف الغمة ج١ ص٢٧٦ وراجع: مطالب السؤول ص٤٧ و (تحقيق ماجد العطية) ص٢٣٨ و ٢٣٩.

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» وجه سؤاله إلى ولده ربما ليشد الأنظار إلى ما سيقوله، وأنه يشتمل على مضمون مثير، ومهم. ولعله أراد أيضاً: أن يجعل الحسين «عليه السلام» في واجهة الاهتمامات، باعتبار أنه سوف يضطلع بمهمة أساسية، في حركة الواقع الذي سيتقرر بكلامه الذي هو بصدد إبلاغه للناس.

كاد المريب أن يقول: خذوني:

ويلاحظ:

١ ـ لقد بدأ علي «عليه السلام» كلامه الذي هيأ الناس لتلقيه بحركة اختصرت كل ما كان يريد أن يقوله للناس، حيث ضرب بيده إلى لحيته وهي بيضاء، وأخبر أنها سوف تخضب من دم رأسه..

ثم تابع كلامه، ليكون أكثر تحديداً لمرتكب هذه الجريمة، فأخبر من خلال الشعر الذي تمثل به أنه من قبيلة مراد..

٢ ـ وعلى قاعدة: «كاد المريب أن يقول: خذوني» يبرز ابن ملجم، ليبرئ نفسه.. ربما لأنه كان قد استقر في النفوس ـ بما فيهم ابن ملجم ـ أنه «عليه السلام» يعلم الغيب، وذلك لكثرة ما كان يخبر الناس بها في تلك الفترة. فوقف ابن ملجم بين يديه في مسعى منه لتبرئة نفسه..

الحسين عليه السلام يراقب ما يجري:

ومن جهة أخرى نقول:

١ ـ من الطبيعي أن يكون الإمام الحسين «عليه السلام» راصداً لكل

حركة، ولكل قول، ولاسيما بعد أن استشار أبوه منذ البداية كل وجوده، وكل إهتمامه، ورأى وسمع بدقة الحوار الذي دار بين أبيه، وبين ابن ملجم. والنتيجة التي انتهى إليها..

٢ ـ وطبيعي أيضاً: أن ينصب معظم اهتمام الإمام الحسين «عليه السلام» على رصد ومتابعة كل حركات ابن ملجم وسكناته..

٣ ـ إن ما جرى في هذا الموقف، قد جعل الناس، وكذلك الإمام الحسين «عليه السلام» على علم بالقاتل، وأنه بينهم، وقد رأوه وعرفوه، وسمعوا كلامه في وقت سابق.

٤ ـ لذلك نلاحظ: أنه بمجرد أن حصل ما حصل خرج الإمام الحسين «عليه السلام» والإمام الحسن «عليه السلام» أيضاً، فأخذا ابن ملجم، وأوثقاه، وأتيا به(١).

لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن ابن ملجم تقدم إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وبرأ نفسه من أن يكون بصدد ارتكاب جريمة قتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعرض عليه أن يقطع يمينه وشماله، أو أن يقتله.. فرفض «عليه

---

(١) الأمالي للطوسي ص٣٦٥ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٠٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص١١٢.

السلام» هذا العرض بكلا شقيه، وحجته في ذلك، قوله «عليه السلام»:

أولاً: «كيف أقتلك ولا ذنب لك عندي».

ثانياً: قوله: «إني لم أردك بذلك المثل».

ثالثاً: قوله: «لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك».

فكيف نفسر هذه الحجج بنحو يتوافق مع الضوابط الشرعية، ومع ما نعتقده في الإمام «عليه السلام» من أنه كان يعلم جزماً بأن ابن ملجم قاتله بلا ريب؟!

وقبل أن نجيب، نذكر القارئ الكريم بما ذكرناه أكثر من مرة من أنه ليس للنبي ولا للإمام أن يتعامل مع الناس، أو أن يؤاخذهم إستناداً إلى ما لديه من علم الإمامة، أو فقل: من علم الشاهدية، وما يصل إليه بطريق لا سبيل لسائر الناس إلى الوصول إليها والإستفادة منها.. إلا في مواقع معينة كموارد التحدي لإبطال النبوة أو الإمامة. ولهذا البحث مجال آخر، وبعد ما تقدم نقول:

يمكن أن نجيب أيضاً بما يلي:

أولاً: بالنسبة للفقرة الأولى نقول:

إنها صحيحة بلا ريب، فإن ابن ملجم لم يقترف بعد ذنباً يرتبط بأمير المؤمنين «عليه السلام»، يستحق العقوبة عليه.. ولا يعاقب الناس على نواياهم ما لم تخرج إلى العلن في صورة أفعال، أو أقوال مؤذية.

ثانياً: بل يمكن القول: إن ابن ملجم، ربما لم يكن قد اتخذ قراره بعد بقتل أمير المؤمنين «عليه السلام». بأن كان لا يزال متردداً، أو أنه لم يكن عازماً

على قتله بصورة علنية، وفي مجلس حاشد كهذا المجلس. وإنما كان يريد قتله غدراً وغيلة..

ثالثاً: بالنسبة لقوله: «إني لم أردك بذلك المثل» نقول:

إنه أيضاً صحيح، لأنه «عليه السلام» كان بصدد تذكير الناس بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه يقتل على يد رجل من مراد، ولم يكن بصدد تعيين الشخص، بالاسم أو الوصف، لاسيما وأنه لا دليل يمكن أن يقدم للناس يثبت وجود نية لديه للقتل فعلاً، أو في ظرف كهذا..

رابعاً: فيما يرتبط بقوله «عليه السلام»: «لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك». نقول:

لعل قائلاً يقول: إن علياً «عليه السلام» كان يعلم أن قاتله هو ابن ملجم..

ولو قبلنا أنه لم يكن يعلم، فإنه قد عرفه بعد أن أقر له بأن حاضنته قالت له: «يا شقيق عاقر ناقة صالح».

ونجيب:

ألف: إن مناداته بهذه الجملة «يا شقيق عاقر ناقة صالح» تبقى مجرد قرينة يرى الناس أنها توجب الظن، ولا تصل إلى إفادة اليقين، فمعاقبة ابن ملجم استناداً إليها لن تكون مقنعة، ولا مقبولة..

ب: ذكرنا آنفاً: أن ابن ملجم حين قدم نفسه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، لم يكن يتخذ لنفسه صفة قتالية، ولا كان بصدد الهجوم على أمير المؤمنين لكي يقال: إنه يحق لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن يقتله دفاعاً عن نفسه.

فقد يكون قوله: «لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك» ناظراً إلى أنه في تلك اللحظة لا يرى أنه بصدد ارتكاب هذه الجريمة ليحق له، دفعه عن نفسه ولو بالقتل.

ج: لا دليل يثبت أن ابن ملجم إلى تلك الساعة كان قد صمم على قتل علي «عليه السلام»، فلعله كان متردداً.

د: إن القصاص قبل وقوع الجناية لا يصح، كما تقدم.

هـ: إن معرفة أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن ابن ملجم هو قاتله إنما هو من مفردات العلوم التي تلقاها بطريق غير عادي، وقد قلنا إنه لا يحق له التعامل مع الناس بهذه العلوم، وإنما هي تفيده في مقام إثبات إمامته. وفي جهات أخرى تختص به.

ابن ملجم متهم مسبقاً:

أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن أسباط يرفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: دخل أمير المؤمنين الحمام، فسمع صوت الحسن «عليه السلام» والحسين «عليه السلام» قد علا، فقال لهما: ما لكما فداكما أبي وأمي؟!

فقالا: اتبعك هذا الفاجر، فظننا أنه يريد أن يضرك.

قال: دعاه، والله ما أطلق إلا له[(١)].

ونقول:

---

(١) بصائر الدرجات ص٢٣٤ و (ط طهران سنة ١٤٠٤هـ) ص٥٠٠ و ٥٠١ ومختصر بصائر الدرجات ص٦ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٩٧ وراجع ص٢٣٤ وراجع: الخرائج والجرائح ج٢ ص٧٧١ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٢.

يدل هذا النص على:

١ ـ يقظة الحسنين «عليهما السلام» واهتمامهما بالحفاظ على سلامة أبيهما.

٢ ـ يدل على جواز إبعاد المتهم، وتعجيزه عن نيل ما يُخشى عليه منه.

٣ ـ يبدو: أن ابن ملجم كان ظاهر الإنحراف، مشتهراً بالفجور، وقد وصفه الحسنان «عليهما السلام» بذلك، ولم يعترض عليهما أبوهما «عليه السلام».

ويشهد لذلك: أنه شرب الخمرة ليلة قتله علياً «عليه السلام»، وفعل أموراً أخرى أشنع من ذلك.

٤ ـ إن أباهما أمرهما بتركه وشأنه، مع تصريحه بأنه بصدد القيام بما ظناه فيه، وهذا يشير إلى أنه «عليه السلام» كان يعلم أن منيته على يده لم تكن حضرت، لأنها مرهونة بأمور سوف تصاحبها، مثل صياح الأوز وغير ذلك. ولم تكن تلك الإشارات قد ظهرت بعد..

ولعلك تقول: ربما يكون أمرهما بتركه، لأن العقوبة قبل الجناية لا تجوز.

ويجاب:

إن محاولة إبعاد الشخص المتهم عن المكان بحيث يعجز عن ارتكاب الجريمة المحتملة ليس عقوبة، وإنما هو احتياط تفرضه المعرفة بسوابق ذلك الشخص، الدالة على نواياه وخططه التي ظهرت بوادرها، أو أخبر النبي المعصوم عنها.

يا أبه، ما هذه الطيرة؟!:

١ ـ قال ابن أعثم: فلما كان يوم ثالث وعشرين من شهر رمضان خرج

علي من منزله، فلما صار في صحن الدار كان في داره شيء من الوز، فتصايح الوز في وجهه.

فقال علي «رضي الله عنه»: صوائح تتبعها نوائح.

فقال له ابنه الحسين: يا أبة! ما هذه الطيرة؟!

فقال: يا بني! لم أتطير، ولكن قلبي يشهد أني مقتول في هذا الشهر(١).

٢ ـ وحين ضرب ابن ملجم «لعنه الله» أمير المؤمنين «عليه السلام» «خرج الحسن والحسين «عليهما السلام» وأخذا ابن ملجم وأوثقاه»(٢).

ونقول:

ألف: ما ذكره ابن أعثم، من أن ابن ملجم قد ضرب علياً يوم ثالث وعشرين من شهر رمضان، واستشهد «عليه السلام» في السابع والعشرين منه خلاف المشهور، فالمشهور: أنه ضرب ليلة التاسع عشر، واستشهد في الحادي والعشرين من شهر رمضان.

---

(١) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٧٧ وراجع: مطالب السؤول ص٣١٧ و ٣١٨ وكشف الغمة ج١ ص٤٣٦ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٦٤ وراجع: مروج الذهب ج٢ ص٤١٨ ونهج السعادة ج٧ ص١٢١ و ١٢٢.

(٢) الأمالي للطوسي ص٣٦٥ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٠٥ و ٢٠٦ ونهج السعادة ج٧ ص١٢٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٣٢.

ب: إن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يعرف أن أباه لا يمكن أن يتطير، لعلمه بأن الشارع قد نهى عن الطيرة، وعلي «عليه السلام» لا يفعل ما نهى عنه الشارع.

ولكنه كان يريد دفع الشبهة من ذهن الآخرين على لسان نفس أمير المؤمنين «عليه السلام» مباشرة، ويعرفهم أن ثمة فرقاً بين الطيرة التي هي التشاؤم بالشيء، وانفعال النفس بالإنقباض واحتمالات السوء بما يراه أو يسمعه.

وقد أخبر أمير المؤمنين ولده «عليهما السلام» بأن هذا الأمر لم يحصل له، ويخبر عن خلجات قلبه: أنها لم تتأثر بصوت الأوز، ولا تشأمت به..

ج: على أن من الممكن جداً أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر علياً «عليه السلام» عن أن صياح الأوز في وجهه، وانحلال إزاره هي من علامات ليلة استشهاده، والظاهر: أن هذا هو السبب في أن قلبه يشهد بأنه مقتول لأنه رأى العلامات التي تجعل الأمر كأنه حاضر بعينه، ومرئي بشخصه. ولذا قال «عليه السلام»: «قلبي يشهد»، والشهادة حضور مباشر، ولا يكون كذلك إلا إذا حصل اليقين، وأين هذا من الطيرة؟!

ولو أن الإمام الحسين «عليه السلام» أخبر الناس بهذا الأمر وبهذه التفاصيل مباشرة لاتهمه أهل الباطل بأنه يقول ذلك من عند نفسه، لأنه يحسن الظن بأبيه، أو لأنه لا يريد للناس أن يعرفوا أن أباه يتطير، مع صدور النهي عن ذلك.

منام علي عليه السلام بعد النهروان:

قال ابن عباس: فلما رجع علي «عليه السلام» من صفين، وفرغ من

أهل النهروان، دخل عليه الأعور الهمداني.

فقال له علي «عليه السلام»: يا حارث! أعلمت أني منذ البارحة كئيب حزين، فزع وجل؟!

فقال الحارث: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟! أندماً منك على قتال أهل الشام، وأهل البصرة، والنهروان؟!

فقال «عليه السلام»: لا، ويحك يا حارث! وإني بذلك مسرور، ولكني رأيت في منامي أرض كربلاء، ورأيت ابني الحسين «عليه السلام» مذبوحاً مطروحاً على وجه الأرض، ورأيت الأشجار منكبة، والسماء مصدعة، والرحال متطامنة، وسمعت منادياً ينادي بين السماء والأرض، وهو يقول: أفزعتمونا يا قتلة الحسين «عليه السلام» أفزعكم الله، وقتلكم!!

ثم إني انتبهت، وأنا منه على وجل لما رأيت.

فقال له الحارث: كلا يا أمير المؤمنين! لا يكون إلا خيراً.

فقال له علي «عليه السلام»: هيهات يا حارث! سبقت كلمة الله، ونفذ قضاؤه، وقد أخبرني حبيبي محمد «صلى الله عليه وآله»: أن ابني يقتله يزيد ـ زاده الله في النار عذاباً ـ.

قال زهير بن الأرقم: فلما أصيب علي «عليه السلام» بضربة ابن ملجم، دخلت عليه، وقد ضم الحسين «عليه السلام»، إلى صدره، وهو يقبله، ويقول له: يا ثمرتي، وريحانتي، وثمرة نبي الله، وصفيه، وذخيرة خير العالمين، محمد بن عبد الله! كأني أراك وقد ذبحت عن قليل ذبحاً.

قال: فقلت: ومن يذبحه يا أمير المؤمنين؟!

فقال: يذبحه لعين هذه الأمة، ثم لا يتوب الله عليه، ويقبضه، إذا قبضه، وهو ملآن من الخمر سكران.

قال زهير: فبكيت.

فقال لي علي «عليه السلام»: لا تبك يا زهير! فالذي قضي كائن (١).

ونقول:

لنا مع هذا النص وقفات وملاحظات، نذكرها ضمن ما يلي من عناوين:

رؤيا النبي والوصي:

١ ـ إن هذا النص يدل على ما ذكرناه من صحة رؤيا الأنبياء والأوصياء. فإنه «عليه السلام» أكد على وقوع مضمون رؤياه بقوله «عليه السلام»: «هيهات يا حارث! سبقت كلمة الله، ونفذ قضاؤه».

٢ ـ ثم أخبره باسم قاتله على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ربما لكي يخرج هذا الخبر الصادق من دائرة الرؤى التي قد لا يطمئن كثير من الناس إلى صدقها ووقوعها، ويدخله في دائرة الخبر الغيبي الصادق، لأنه صادر من مصدر الوحي، ومن لا ينطق عن الهوى..

٣ ـ إن هذا النص يدخل في سياق الأخبار الغيبية الدالة على إمامته «عليه السلام».

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٥ و ٤٦٦ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٥٥٣ و ٥٥٤.

٤ ـ إن هذا النص يدل أيضاً على أن الإمام الحسين «عليه السلام» سوف يبقى حياً، ولن يصاب في هذه الحروب.

الانتقام من النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام:

إن حديث زهير بن الأرقم ـ ولعله زيد بن الأرقم ـ أشار إلى أن علياً «عليه السلام» حتى بعد أن ضربه ابن ملجم، يضم الحسين «عليه السلام» إلى صدره، ويذكره بما يجري عليه في كربلاء، وأنه يذبح ذبحاً.

وكأنه «عليه السلام» يريد أن يثير لديه الحسَّ بالمقارنة بين الضربة على القرن بسيف مسموم، كما جرى لأبيه، وبين الذبح الذي يجري للإمام الحسين «عليه السلام»، فإن هذا، وإن كان أشد فظاعة، ولكن مرد هذه الفظاعة إلى أمر واحد هو الذي يدعو بني أمية إلى فعل هذا أو ذاك:

فأولاً: انتقاماً من علي «عليه السلام»، لأن الحسين «عليه السلام» ابنه وثمرته. وقد قالوا يوم عاشوراء حين ناشدهم الإمام الحسين «عليه السلام»: إنما نقاتلك بغضاً منا بأبيك(١).

ثانياً: انتقاماً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن الحسين أيضاً ثمرته.

ويلاحظ: أنه قال عنه: «وثمرة نبي الله»، ولم يقل ثمرة محمد بن عبد الله،

---

(١) ينابيع المودّة ص٤١٦ و (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٤٧ وعن مقتل الحسين «عليه السلام» ومصرع أهل بيته ص١٣٢ وعن معالي السبطين ج٢ ص١٢.

لأن نبوة محمد هي التي أزعجت قريشاً وحركتها لحربه، وكرست بغضه، ودعتها إلى الانتقام من ذريته.

ثالثاً: إن الحسين «عليه السلام» ذخيرة محمد بن عبد الله، فإن هذا أيضاً من أسباب حقدهم عليه، وسعيهم للانتقام منه «عليه السلام».

والسبب في ذلك: أن الحسين «عليه السلام» بما هو بشر سوف تولد له ذرية، وسيكون الأئمة التسعة، بقية الاثنا عشر من هذه الذرية. وبنو أمية يعرفون ذلك من خلال إخبارات رسول الله «صلى الله عليه وآله» للأمة. ويعرفون أن هؤلاء الأئمة سيكونون هم السبب في بقاء هذا الدين من خلال حفظه، وتقويته، ودفع الشبهات عنه. ولن يُفرِح هذا بني أمية، ولا غيرهم من طواغيت الأرض.

بل هو سيزيد من حرصهم على قتله وقتل أصحابه، وأهل بيته، وكل من يؤيده، ويسير على نهجه.

فحقد بني أمية على الحسين «عليه السلام» من هذه الناحية ليس لأجل فعل صدر منه، بل لأجل بشريته التي سوف تنتج ذرية صالحة. تكون تلك الذرية هي التي تتصرف وتمارس واجباتها، وتعمل فيما يرضي الله.

وهذا كله يوضح لنا السبب في قول علي للحسين «عليهما السلام»: «يا ثمرتي، وريحانتي، وثمرة نبي الله، وصفيه، وذخيرة خير العالمين محمد بن عبد الله! كأني أراك وقد ذبحت عن قليل ذبحاً».

لعين هذه الأمة:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» قال عن قاتل الحسين «عليه السلام»: إنه

«لعين هذه الأمة»، ثم قال: «ثم لا يتوب الله عليه، ويقبضه، إذا قبضه، وهو ملآن من الخمر سكران».

ونقول:

المراد: أن قتله للإمام الحسين «عليه السلام» قد كان لأجل بغضه لسيد الأوصياء «عليه السلام»، وبغضاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسعياً في طمس دينه الذي جاء به، ولم يكن لهذا المجرم أي عمل صالح، إنساني أو غيره يستحق أن يكافأ عليه ولو في الدنيا.

فلم يبق شيء يمكن أن يكون سبباً في أن يكون مورد الرعاية الإلهية، ولا ما يوجب فتح أبواب التوفيق أمامه، لا للتوبة ولا لغيرها.. لأن رابطته بالله قد انقطعت، ولا شيء يستدعي أن يعود الله إليه، أو فقل: أن يتوب الله عليه، لأن التوبة هي العودة.

الذي قضي كائن:

بقي أن نشير أخيراً إلى قول الرواية: «قال زهير: فبكيت. فقال لي علي «عليه السلام»: لا تبك يا زهير! فالذي قضي كائن».

والسؤال هو: إن علياً «عليه السلام» قد نهى زهير بن الأرقم حين بكى، ولكن علياً «عليه السلام» نفسه قد بكى لمصاب الحسين «عليه السلام» في كربلاء، حين كان في طريقه إلى صفين، وبكى الناس معه، وبكى في مناسبات أخرى أيضاً، وبكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحسين مرات كثيرة، ذكرنا شطراً منها في هذا الكتاب.. فما معنى نهيه لابن الأرقم عن البكاء هنا؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن الغاية من البكاء هي التي تحدد إن كان مطلوباً أو محبوباً، أو أنه يجب، أو ينبغي الكف عنه.

فلعل بكاء زهير كان على أساس أن البكاء، وإظهار الخوف، يدفع عن الإمام الحسين «عليه السلام» هذا البلاء، ظناً منه أن هذا من البلاء العارض لأسباب خاصة.

فأخبره الإمام «عليه السلام» من خلال نهيه له: أن الأمر أعظم وأدهى وأمر مما يظن، وأنه مرتبط بالصراع بين الحق والباطل، وبين الرسل والأوصياء وهداة الخلق، وبين المجدِّين في طمس جهود الأنبياء والأوصياء، والهداة إلى الله، والسعي في قتلهم..

وليست القضية مجرد نزوة عابرة لشخص يمكن دفعها بدعاء، أو بكاء، أو توسل، أو ما إلى ذلك. بل هي لا تدفع إلا بالحرب، والطعن والضرب، وإسقاط عروش الطواغيت، والمستكبرين، وكسر جيوشهم، كما يدل عليه قوله «عليه السلام»: «لا تبك يا زهير، فالذي قضي كائن». أي أن البكاء لا يدفعه.

فظهر: أن علياً «عليه السلام» كان يبكي على الدين، وعلى الإمام، وعلى قادة الأمة، وحماتها من الضلال والهلاك.

وصايا علي عليه السلام لأولاده:

ثم إن من الطبيعي أنه إذا ضرب الأب والإمام، ونفس النبي، ووصيه،

وولي المؤمنين من بعده، وعرف أنها ضربة قاتلة ـ من الطبيعي ـ أن يلتف الأبناء حول أبيهم الإمام، وأن يبقوا بالقرب منه، ليسمعوا وصاياه، وليمتثلوا أوامره.

ثم من الطبيعي أيضاً: أن يشاركوا فيما يمكنهم المشاركة فيه من تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، وتشييعه، ودفنه وفق ما رسم لهم الشرع الشريف، أو أوصى به الوالد الإمام.

وهذه اللمحات كلها قد سجل لنا التاريخ بعض الشذرات منها، فلاحظ ما يلي:

ذكروا: أنه لما ضربه ابن ملجم «لعنه الله» دعا بابنيه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأقعدهما بين يديه، ودعا أيضاً بمن حضر من ولده وأهل بيته، وأقبل عليهم بوجهه.

وقال: يا بني! إني موصيكم بتقوى الله وطاعته، وأن لا تبغوا هذه الدنيا وإن بغتكم على شيء زوي عنكم الخ..

إلى أن قال لولده ابن الحنفية: يا بني! أفهمت ما أوصيت به إخوتك وغيرهما؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين!

فقال علي «رضي الله عنه»: فإني موصيك بمثل ذلك، وأوصيك أيضاً بتوقير إخوتك: الحسن والحسين، وأن لا تقطع أمراً دونهما.

ثم أقبل عليهما، فقال: يا حسن ويا حسين! إني قد أوصيت أخاكما بكما،

وأوصيكما به، وقد علمتما بأن أباكما كان يحبه، فأحباه بحب أبيكما له..»[١].

وفي نص آخر: أنه كان يخاطب الإمام الحسن «عليه السلام» في وصيته، فكان مما قاله له: «وأوصيك بأخيك محمد خيراً فإنه شقيقك وابن أبيك، وقد تعلم حبي له.

وأما أخوك الحسين فهو ابن أمك، ولا أزيد الوصاة بذلك»[٢].

وله «عليه السلام» وصية أخرى لأولاده مروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، وهي ترتبط بمعاشرة الناس[٣].

---

(١) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٧٩ و ٢٨٠ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٠٤ و ٣٠٥.

(٢) الأمالي للمفيد ص٢٢٠ والأمالي للطوسي ص٧ كلاهما عن الفجيع العقيلي؛ الفصول المهمة لابن الصباغ ص١٣٣ و (ط دار الحديث سنة ١٤٢٢هـ) ج١ ص٦٢٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٥٤ وج٤ ص١٦٦ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٠٢ وج٧٥ ص٩٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص٤٦٥ ونهج السعادة ج٨ ص١٣٧.

(٣) الأمالي للطوسي ص٥٩٥ عن جابر بن يزيد، وتنبيه الخواطر ج٢ ص٧٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ج٢ ص٣٩٤ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٤٧ و ٢٥٣ وج٧١ ص١٦٣ وراجع: نهج البلاغة، الحكمة ١٠ وعيون الحكم والمواعظ ص٢٤٢ ونهج السعادة ج٨ ص٢٥٢ وأعلام الدين ص٢١٥.

لا تقطع دونهما أمراً، ولزوم التوقير:

ورد في النص الذي ذكره ابن أعثم وغيره: أن علياً «عليه السلام» أمر ولده محمد ابن الحنفية بأمرين:

أولهما: أن يوقر أخويه: الحسن والحسين «عليهما السلام».

الثاني: أن لا يقطع أمراً دونهما..

وبعد ذلك نقول:

أما فيما يرتبط بلزوم توقير الحسنين «عليهما السلام»، فنلاحظ ما يلي:

ألف: أن الأمر بتوقيرهما «عليهما السلام» ظاهر المأخذ، فإن طول العشرة وكثرة المشاهدة بين الأخوة تدفع نحو إسقاط الكلفة.

وإذا كان بين الإخوة تفاوت في الفهم والعلم والدراية، والالتزامات الأخلاقية وسواها، فستجد هذا الأخ المميز في ذلك كله، شديد التقيد بالمعايير الأخلاقية، مجتهداً في الانضباط في حركته، في القول والفعل، يجهد نفسه في إبعاد أي فهم يوحي بمشاعر غير حميدة، في حين نجد أخاه الأقل فهماً وعلماً، والتزاماً منه، يتصرف بطريقة عشوائية قد تحمل معها الكثير من التعدي والخطأ والإيحاءات السلبية التي قد لا تكون مقصودة.

فإذا زالت الكلفة بين الأخوين، فإن الأمر يصبح أكثر سوءاً، وأعظم كلفة، لأنه قد يصل إلى حد سوء الأدب.

هذا عدا عن أنه قد يسوق إلى التهاون في الطاعة والانقياد الواجب.

ومن الطبيعي أن يكون إسقاط الكلفة الذي يحمل معه آثاراً سلبية إنما

يكون من قبل الطرف الذي لا يبالي، أو لا يفكر بعواقب الأمور، ولأجل ذلك اختص الأمر بالتوقير بمحمد ابن الحنفية، لأنه هو الذي يتوقع منه ذلك، دون الحسنين «عليهما السلام».

ب: بالنسبة لإلزام علي «عليه السلام» محمد ابن الحنفية بأن لا يقطع أمراً دون الحسن والحسين «عليهما السلام»، نقول:

إن هذا الإلزام لمحمد ابن الحنفية، الذي يصل إلى حد سلب حرية اتخاذ القرار منه معهما «عليهما السلام»، والحال أن أخوة الحسنين لمحمد لا تقتضي ـ بمجردها ـ ذلك، ولا توجب على محمد هذه التابعية المطلقة.. فلا بد من أن يكون السبب أمراً آخر غير مجرد الأخوة النسبية.

السبب الوجيه لهذا التوجيه هو معنى الإمامة في أخويه، تحقيقاً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا. وغير ذلك مما دل على هذا المعنى.

الوصية بمحمد ابن الحنفية:

أما ما أوصى به «عليه السلام» الحسنين «عليهما السلام» تجاه محمد ابن الحنفية، فنلخصه كما يلي:

إنه «عليه السلام» قال للحسنين «عليهما السلام»: «وأوصيكما به»، ثم أمرهما بحبه لعلمهما بأن أباه يحبه.

وهذه الوصية بمحمد تدل على أن عليهما أن يرعياه ويسدداه في جميع شؤونه وحالاته.. وهذا يتوافق مع قوله لمحمد: «لا تقطع أمراً دونهما».

ومن المعلوم: أن ثمة فرقاً بين أن توصي بالشخص، وتجعله تحت تكفل

من يرعاه، وبين من توصيه به وتجعله كافلاً له، وحافظاً وراعياً.

وقد زاد في النص الذي رواه المفيد والطوسي في وصيته للإمام الحسن قوله: «فإنه شقيقك، وابن أبيك». وهذا يعطي:

أولاً: إن الأخ من الأب يقال له شقيق، فلا معنى لما يدعى من أن الشقيق هو الذي يكون من الأب والأم معاً.

ثانياً: إن ذلك معناه: أن هذه الأخوة ترتب حقوقاً وواجبات هي أزيد مما يرتبه مجرد كونه إنساناً، أو مسلماً، أو مؤمناً.

وقد اجتمع الأمران في ابن الحنفية، فصارت له حقوق أخرى لا بد من مراعاتها، وعدم الاكتفاء بالحقوق العامة.

ومما يؤكد أن لمحمد حقوقاً تزيد على ما لغيره: أن أباه كان يحبه، فلا بد من مراعاة هذه الخصوصية، لأنها من البر بأبيهما، وهي فضيلة أحب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» أن لا تفوتهما.

ثالثاً: ثم أشار «عليه السلام» إلى الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن مضاعفته للبر بأخيه الحسين «عليه السلام»، يكسبه فضلين:

أحدهما: بره بأبيه «عليه السلام»، لأنه كان يحب الحسين «عليه السلام»، فدلنا جعل هذا الحب ملاكاً للبر على وصول البر إلى رسول الله، لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يحب الحسين «عليه السلام» بنفس المستوى وأزيد من ذلك، وهذه فضيلة عظيمة للحسين «عليه السلام» أيضاً.

الثانية: بره بأمه الزهراء «عليها السلام»، فإنها كانت تحب الحسين «عليه السلام» بلا ريب.

وإذا أردنا أخذ النتيجة النهائية، فسنجد: أن الخطاب بعينه يشمل الإمام الحسين «عليه السلام» بالنسبة لأخيه، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام»، والزهراء «عليها السلام» كانوا يحبونه، فالبر به بر بهم أيضاً.

الخطاب للإمام الحسن عليه السلام:

ويلاحظ: أن الخطاب في مختلف الوصايا كان موجهاً إما للإمام الحسن «عليه السلام»، أو على سبيل الخطاب بصيغة المثنى، فإن الإمام الحسن داخل في الخطابين معاً، ولعله رعاية لمقام الإمامة الفعلية له «عليه السلام».

الإمامة والوصية:

وفيما يرتبط بالوصية بالخلافة، فقد رووا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: «وإني أوصي إلى الحسن والحسين؛ فاسمعوا لهما، وأطيعوا أمرهما»(١).

وقال الكليني «رحمه الله» وغيره:

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ «عليه السلام» قَالَ: أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» إِلَى الْحَسَنِ، وأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّتِه

(١) عيون المعجزات ص٤٣ وإثبات الوصية ص١٥٢ والخرائج والجرائح ج١ ص١٨٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص٥٥ وج٢ ص١٧٧وبحار الأنوار ج٤١ ص٢٩٦ وج٤٢ ص٨٧.

الْحُسَيْنَ «عليه السلام» ومُحَمَّداً، وجَمِيعَ وُلْدِه، ورُؤَسَاءَ شِيعَتِه، وأَهْلَ بَيْتِه، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْه الْكِتَابَ والسِّلَاحَ.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِه الْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ، أَمَرَنِي رَسُولُ الله أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ، وأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وسِلَاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ الله، ودَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَه وسِلَاحَه.

وأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَه إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحُسَيْنِ وقَالَ: أَمَرَكَ رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» أَنْ تَدْفَعَه إِلَى ابْنِكَ هَذَا.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ ابْنِ ابْنِه عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: يَا بُنَيَّ، وأَمَرَكَ رَسُولُ الله «عليه السلام» أَنْ تَدْفَعَه إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وأَقْرِأْه مِنْ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» ومِنِّي السَّلَامَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحَسَنِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ وَلِيُّ الأَمْرِ، ووَلِيُّ الدَّمِ، فَإِنْ عَفَوْتَ، فَلَكَ، وإِنْ قَتَلْتَ، فَضَرْبَةٌ مَكَانَ ضَرْبَةٍ، ولَا تَأْثَمْ(١).

ونقول:

---

(١) الكافي (مُشَكَّل) ج١ ص٢٩٨ و ٢٩٩ ومرآة العقول ج٣ ص٢٩٢ و ٢٩٣ وراجع: دعائم الإسلام ج٢ ص٣٤٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٨٩ وتهذيب الأحكام ج٩ ص١٧٦ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٥٠ والدر النظيم ص٣٧٨ و ٣٧٩.

١ ـ هذه الرواية تتوافق مع مضامين روايات أخرى دلت بصورة صريحة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى إلى علي والحسنين «عليهم السلام» دفعة واحدة، كما أن علياً «عليه السلام» قد أوصى للحسن والحسين «عليهما السلام» معاً. كما دلت عليه هذه الرواية وسابقتها، وسواهما أيضاً.

٢ ـ إن هذه الرواية تمتاز بأنها قد صرحت بكتابة الوصية، وبالإشهاد الشامل والواسع عليها، من قبل جميع ولده، ورؤساء شيعته.

٣ ـ كما أنه «عليه السلام» قد أعاد الكلام، والوصايا مرة بعد أخرى: الوصية من النبي إليه، ومنه إلى الحسن، ثم من الحسن إلى الحسين، ثم من الحسين إلى علي بن الحسين، ثم من علي بن الحسين إلى الباقر، وقد قرر ذلك بصورة مفصلة لم يسأم من إعادتها كما هي. وذلك ليفيد المزيد من التحديد، والتأكيد على كل تفصيل، ولا يريد أن يفسح المجال لادعاء إجمال، أو للمناقشة في شمول وعموم وما إلى ذلك.

٤ ـ يضاف إلى ذلك تصريحه بنقل وانتقال الكتب والسلاح الذي انتقل إليه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند وفاة كل إمام، بفعلٍ وتصريح من الإمام نفسه إلى الإمام الذي يليه.

وهذا معناه: أن هذه الكتب والسلاح هي شارة الإمامة، وعلامتها.. وهي لا تكون إلا عند الأئمة دون سواهم.

٥ ـ إنه «عليه السلام» يصرح بأن كل ما يقوله ويفعله هو بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، حتى إنه ليقول: «وأمرني أن آمرك الخ..».

٦ ـ وحين تصل النوبة إلى إمامة الإمام السجاد، لا يكتفي في تعيينه

لهم، وهو حاضر بينهم بالإشارة إليه، بل أخذ بيده أيضاً، وخاطبه، وأمره بطريقة تتفق مع طريقة الكلام مع أبيه الإمام الحسين «عليه السلام».

وتوضيح ذلك: أن علياً «عليه السلام» حين خاطب ولده الإمام الحسن «عليه السلام» قال له: «وأمرني أن آمرك».

ولكنه حين خاطب الإمام الحسين والسجاد «عليهما السلام» قال لهما: «وأمرك رسول الله أن تفعل كذا». والفرق بينهما: أن الحسين «عليه السلام» لا تصير إمامته فعلية إلا بعد موت أبيه الإمام علي «عليه السلام» بسنوات، وخطاب الحسن له بالإمامة حين اقتراب أجل الإمام الحسن «عليه السلام» هو الذي يوصل إمامته إلى مرتبة الفعلية، وليس هو أمر علي «عليه السلام».

ولكن الحسين «عليه السلام» حين يريد نقل الإمامة إلى الإمام السجاد «عليه السلام» لا يكون أبوه ولا الإمام الحسن «عليهما السلام» على قيد الحياة، فالحسين «عليه السلام» إنما ينقل الكتب والسلاح إلى السجاد بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى هذا يجري الأمر حين يريد نقل الإمامة إلى الإمام الباقر «عليه السلام»، فإنه ينقلها إليه بأمر الرسول «صلى الله عليه وآله» الذي أبلغه إياه جده علي «عليه السلام» عنه «صلى الله عليه وآله».

٧ ـ ثم بادر «عليه السلام» إلى التصريح بجعل الإمامة والوصاية للحسن «عليه السلام»، فقال له:

١ ـ «يا بني، أنت ولي الأمر».

٢ ـ «وولي الدم الخ..».

لماذا كل هذا؟!:

بقي أن نجيب على سؤال: لماذا كل هذا؟! ألم يكن يكفي أن يقول، وأن يكتب للناس: إن الحسن ولي الأمر بعدي؟!

ونجيب:

إن الأمر أبعد مما يظنه هذا السائل، فإن خصوصية علي «عليه السلام» برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما نزل في علي من القرآن، وما سمعته الأمة في حقه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما ظهر له من علوم، ومعجزات، وبركات، وكرامات، وحل مشكلات، وما أخبر به من أسرار وغائبات، كل ذلك يجعل من كلامه حجة دامغة، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً على الحق والحقيقة، ولا ينكره أو يناقش فيه إلا مكابر معاند، أو متربص جاحد.

وهذا الذي جرى هو من مفردات السياسة الإلهية، التي تقضي بعدم التدخل في إرادات الناس، وعدم المساس بحريتهم في الاختيار من جهة، ثم تجريد ما يختارونه من خارج دائرة الشرع والدين لمحاربة الدين والشرع به ـ تجريده ـ من المشروعية في وعي الناس، وفي مبانيهم الاعتقادية، والعمل على ترسيخها في عمق الضمير والوجدان.. وهم إنما يفعلون ذلك بصورة مسبقة، حتى إذا جاء الإنحراف والخلل، فإنه لا يستطيع أن يفرض نفسه إلا بالغشم، والظلم، وقوة السلاح، أو من خلال السعي لإثارة الغبار، وتشويه الحق بالشبهات والأضاليل التي يتأثر بها الجاهلون والبسطاء والمغفلون.

وهذا الذي يفعله «عليه السلام» هنا هو من مفردات العمل على تجريد الحكم الأموي من الشرعية مسبقاً، وفضح أضاليله في كل المدى الزمني

للحكم الأموي إلى أن يصل إلى زمن بعد استشهاد الإمام الباقر «عليه السلام»، حيث سيكون ما تبقى منه بعد ذلك حكماً ضعيفاً ينوء تحت وطأة السياسات الخاطئة، والارتكابات الرديئة والمهترئة، وهيمنة الفساد والمفسدين، والطامحين والطامعين، بالإضافة إلى التمزقات والتشظيات والحروب التي تفتك فيه في كل اتجاه.

الحسين لم يحضر استشهاد أبيه:

روى الكليني عن عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْوَلِيدِ الْجُعْفِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِيه قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» نَعَى الْحَسَنُ إِلَى الْحُسَيْنِ «عليهما السلام» وهُوَ بِالْمَدَائِنِ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ: يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا. مَعَ أَنَّ رَسُولَ الله «صلى الله عليه وآله» قَالَ: مَنْ أُصِيبَ مِنْكُمْ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَه بِي، فَإِنَّه لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ أَعْظَمَ مِنْهَا وصَدَقَ «صلى الله عليه وآله»(١).

ونلاحظ:

---

(١) الكافي (مُشَكَّل) ج١ ص٢٢٠ و ٢٢١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٤٧ وج٧٩ ص١٤٣ ومرآة العقول ج١٤ ص١٧٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٦٧ و (الإسلامية) ج٢ ص٩١١ ومشكاة الأنوار ص٤٨٤ و ٤٨٥ ومسكن الفؤاد ص١١٠.

١ ـ أن الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه قد صرح: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر مصيبته أعظم المصائب، والإمام الحسين «عليه السلام» يقرر أيضاً: أن المصيبة بعلي «عليه السلام» كذلك، فكيف نفهم ذلك؟!

ونجيب:

بأن الإمام الحسين «عليه السلام» يريد أن يفهمنا: أن كلامه منسجم كل الانسجام مع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن علياً «عليه السلام» هو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، وتشير إليه نصوص أخرى، فكل ما هو ثابت للنبي «صلى الله عليه وآله» باستثناء درجة النبوة، فهو ثابت له، ومنه هذا المورد. ولذا قال: وصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ إن الإمام حتى وإن ضرب ضربة يعلم أنه لا يقوم منها، وأن أجله أصبح بين ليلة وضحاها، ولكن كان عليه أن يتابع تدبير أمور المسلمين إلى اللحظات الأخيرة. من أجل ذلك نقول:

إن وجود الحسين «عليه السلام» في المدائن حين حضور أجل أبيه لمتابعة بعض الشؤون ليس خارجاً عن أرادة أبيه، بل هو منبثق عنها، ومنطلق منها.

وهذه هي الإمامة الإلهية الحقة، التي لا تشغله همومها وآلامها الخاصة عن متابعة الشأن العام بكل دقة ومسؤولية وأمانة.

التجهيز والدفن:

وقالوا حول تجهيز أمير المؤمنين «عليه السلام» ودفنه ما يلي:

١ ـ غسله الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية يصب على أيديهما الماء(١).

٢ ـ **وفي نص آخر**: غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر(٢).

٣ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: لما أصيب أمير المؤمنين «عليه السلام» قال للحسن والحسين «صلوات الله عليهما»: غسلاني، وكفناني، وحنطاني، [وفي نص آخر عن أم كلثوم: ثم نشفاني بالبردة التي نشفتم بها

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٨١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٤٤ و ٢٥٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٣٣ ومطالب السؤول ص٣١٩ وكشف الغمة ج٢ ص٦٤ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٣٥٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٢٤ و ينابيع المودة ج٢ ص٤٢٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٥٦٣ و ٥٦٠ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٤٥ و ٢٥٤ والمعجم الكبير ج١ ص١٠٢ وجواهر المطالب ج٢ ص١٠٩ والرياض النضرة ج٣ ص٢٣٦ وأسد الغابة ج٤ ص٣٧ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٤٩٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص١١٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٩٢ والمناقب للخوارزمي ص٣٨٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٩٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٧ ص٣٦٣ وكشف الغمة ج٢ ص٦٠ والعدد القوية للعلامة الحلي ص٢٤٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٠٧ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٣٥٠ ينابيع المودة ج٢ ص٤٢٢.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفاطمة «عليها السلام»، ثم حنطاني، وسجياني على سريري].

واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحد ملحود، ولبن موضوع، فالحداني، وأشرجا اللبن علي، وارفعا لبنة مما يلي رأسي فانظرا ما تسمعان.

فأخذا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللبن، فإذا ليس في القبر شيء وإذا هاتف يهتف: أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عبداً صالحاً فألحقه الله بنبيه، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء، حتى لو أن نبياً مات في المشرق، ومات وصيه في المغرب، لألحق الله الوصي بالنبي.

وفي حديث مولى علي: «وجعلنا نسمع دوياً وحفيفاً حتى أتينا الغريين»(١).

عن ابن أبي عمير، عن رجاله قال: قيل: للحسين بن علي «عليهما السلام»: أين دفنتم أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

---

(١) تهذيب الأحكام ج٦ ص١٠٦ وفرحة الغري (منشورات الرضي) ص٣٠ و (نشر مركز الغدير) ص٦٠ كلاهما عن سعد الإسكاف. وروضة الواعظين ص١٣٦ والإرشاد ج١ ص٢٣ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢١٧ و ٢١٤ و ٢٣٦ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٩ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٢٧ وإعلام الورى ج١ ص٣٩٣ وإرشاد القلوب ج٢ ص٤٣٥ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٨٢ و ٤٨٣ والمزار للمفيد ص١٩٢ وإثبات الهداة ج٥ ص٢.

فقال: خرجنا به ليلاً على مسجد الأشعث، حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغريين، فدفناه هناك(١).

الحسين يصف أباه عليه السلام:

ومن كلام الحسين «عليه السلام»: كان أبي علماً لمن جهل، مذكراً لمن غفل، لا يلفظ إلا الحق وإن أمرَّ، ولا يسيغ الباطل وإن حلا، شد عضده، وجاهد وحده، وآزر أخاه، وقتل عداه، وكشف عن وجهه الكربات، وخاض دونه الغمرات.

فلما اختار الله لنبيه «صلى الله عليه وآله» دار أنبيائه، كرهته قريش، فأهملهم إهمال الراعي لإبله، فبايع الناس أبا بكر، فمنحه وده، وبذل له نصحه.

ولما استخلف عمر كرهه قوم، ورضيه آخرون. فكان أبي فيمن أحب بيعته، ولم يكره خلافته.

ثم بايع الناس عثمان، وهم لا يستغنون عن مشورته وحضوره.

ثم قتل عثمان، فلم ير أحداً يقوم مقامه، ولو رآه لسلم الأمر إليه، ولم ير حريصاً عليه، فتسلم الإمارة لإقامة حدود عطلت، ولدلالة على معارف

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص٢٥ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٢٣٤ وج٩٧ ص٢٤٠ و ٢٤٥ وكامل الزيارات ص٨٢ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٤٧ ومقاتل الطالبيين ص٢٦ وفرحة الغري ص٦٧ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٢٨ و فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص١٣٧.

أنكرت وجهلت. وانفتقت عليه أعلام النفاق، ورايات الشقاق، عندما ضحكت لهم الدنيا. وتزينت بأحسن زينتها، فلم يزل يفتق ما رتقوا، ويرتق ما فتقوا، حتى قبضه الله على خير حالاته، وأفضل ساعاته[١].

ونقول:

إن هذا النص جدير بالتأمل والتدقيق، وهو يمتاز بالمتانة والقوة، والوضوح، ولكنه تضمن أموراً لا يمكن قبولها بادئ الرأي، فلا بد من التدبر والتأمل فيها للوقوف على مراميها، الحقيقية، فنقول:

أهملهم اهمال الراعي لإبله:

قوله: إن قريشاً حين كرهت علياً «عليه السلام» أهملهم «إهمال الراعي لإبله»، غير ظاهر الوجه، لأن الراعي الحصيف، والمسؤول عن إبله، لا يمكن أن يهمل إبله، ولا يغمض عنها عيناً إلا وهو يرصدها بالعين الأخرى، فإذا نفرت أو شذّت سعى في جمعها، وإعادة نظمها، وأصلح ما فسد من أحوالها.

إلا إن كان «عليه السلام» يريد بإهمال إبله: أنه لا يعنف عليها ولا يعجل، إذا رأى منها ما يؤذيه ويسوؤه، بل يتغاضى، وينتظر الفرصة، فإذا سنحت له اهتبلها.

ولعل هذا ما أشار إليه في الخطبة الشقشقية بقوله عن استيلاء الأول

---

(١) الملاحم والفتن لإبن طاووس ص١٩٣.

على الخلافة: «فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً».

وقد بين «عليه السلام» سبب هذا الموقف بقوله: «و طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصّغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً».

أحب بيعة عمر، ولم يكره خلافته:

وأما قوله «عليه السلام»: إن أباه علياً «عليه السلام» حين استخلف عمر كان «في من أحب بيعته، ولم يكره خلافته». فهو أكثر إبهاماً وإيهاماً.

أولاً: لأن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يمكن أن يحب بيعة هي ـ بنظر علي نفسه ـ من مفردات معصية الله تعالى، وهي تمرد على أمره، ومخالفة لآيات القرآن وللنصوص النبوية التي تؤكد على لزوم تسليم الأمر لأهله، وعدم جواز مخالفة ما أمر الله به، وعدم شرعية أي شيء بني على باطل. وهي إصرار على نقض البيعة في يوم الغدير.

ثانياً: كيف أحب علي «عليه السلام» بيعة عمر، ولم يكره بيعته، وهو القائل في الخطبة المعروفة بالشقشقية عن أبي بكر وعمر:

«لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها [كلمها خ.ل]، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقَحَّم، فمني الناس ـ لعمرو الله ـ بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة».

علي عليه السلام لم ير أحداً يقوم مقامه:

وقول الإمام الحسين «عليه السلام»: إنه حين قتل عثمان لم ير علي «عليه السلام» أحداً يقوم مقامه، ولو رآه لسلم الأمر إليه». إنما يريد به القيام بالأمر كما لو كان نفس علي «عليه السلام» هو المتولي لمقام الخلافة، وأن يسوس العباد، والبلاد بنفس ما يسوسها به أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولا يريد أن يكون من يتولى الأمر بعده من أمثال مروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومعاوية وغيرهم.

ومن المعلوم: أنه لا يقوم مقام علي «عليه السلام» إلا إمام معصوم، منصوب من قبل الله تعالى.

لم يذكر عثمان بشيء:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يشر إلى عهد عثمان، وسياساته، وما جرى في عهده، وموقف علي «عليه السلام» منه ومنها، ربما لكي لا يعطي ذريعة لمعاوية، ومن معه من المناوئين والمتزلفين، لإثارة أي نوع من أنواع الشغب الحاقد، والمسيئ إلى أهل البيت «عليهم السلام»، وغيرهم من الأخيار والأبرار.

الباب الثاني:

الحسين في إمامة الحسن المجتبى عليهما السلام..

الفصل الأول:

مــن دلائــل الإمــامــة..

الإمامة تقتضي حفظ الشريعة:

وروى الصدوق «رحمه الله» بإسناده عن عبيد الله بن المغيرة، عن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: أوصى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام»، وأوصى علي «عليه السلام» إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» جميعاً، فكان الحسن «عليه السلام» إمامه.

فدخل رجل يوم عرفة على الحسن «عليه السلام»، وهو يتغدَّى، والحسين «عليه السلام» صائم.

ثم جاء بعد قبض الحسن «عليه السلام»، فدخل على الحسين «عليه السلام» يوم عرفة وهو يتغدَّى وعلي بن الحسين «عليه السلام» صائم.

فقال الرجل: إني دخلت على الحسن «عليه السلام»، وهو يتغدَّى، وأنت صائم. ثم دخلت عليك، وأنت مفطر؟!

فقال: إن الحسن «عليه السلام» كان إماماً، فأفطر لئلا يتخذ صومه سنة، وليتأسى به الناس. فلما أن قبض كنت أنا الإمام، فأردت أن لا يتخذ صومي سنة، فيتأسى الناس بي(١).

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٣ و (ط جماعة المدرسين) ج٢ ص٨٧ وعلل

ونقول:

هنا أمور تحتاج إلى بيان:

الأمر الأول: الوصية والإمامة:

فقد ذكرت هذه الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أوصى إلى علي «عليه السلام»، وعلي هو الذي أوصى للحسن والحسين «عليهما السلام». مع أن هناك روايات دلت على أنه «صلى الله عليه وآله» أيضاً أوصى للحسن والحسين «عليهما السلام»، بالإضافة إلى علي«عليه السلام». وقد تحدثنا عن بعضها فيما سبق، فما هذا التهافت بين الروايات؟!

ونجيب:

بأن الوصي هو القائم بشؤون الموصي بعد موته، فالوصي للنبي «صلى الله عليه وآله» بهذا المعنى هو علي «عليه السلام» ـ حصراً ـ.

وجعل الإمامة للحسنين «عليهما السلام» من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أبيهما، لا يعني أن يصبحا وصيين للرسول بمعنى أن يكونا هما اللذان يتوليان أموره بعد موته «صلى الله عليه وآله» كعلي «عليه السلام».

فعلي «عليه السلام» بعد النبي «صلى الله عليه وآله» هو إمام، وهو أيضاً

الشرايع ج١ ص٣٨٦ وإقبال الأعمال ج٢ ص٥٩ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٣٥ وج٢ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج٩٤ ص١٢٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٤٦٧ و (الإسلامية) ج٧ ص٣٤٥.

قد أصبح وصياً له «صلى الله عليه وآله».

والحسنان «عليهما السلام» وإن جعلهما النبي «صلى الله عليه وآله» إمامين قاما أو قعدا، لكن هذه الإمامة إنما هي بالنسبة للأمة، وليس لهما أن يتصرفا كوصيين بالنسبة للنبي، إلا فيما يوكله علي «عليه السلام» إليهما..

ولكن الحسنين «عليهما السلام» بالنسبة لعلي «عليه السلام»، يكونان في بادئ الأمر في مرتبة واحدة بالنسبة للوصية منه «عليه السلام» لهما، فيمكنه أن يجعل أحدهما وصياً، ويمكنه أن يجعلهما وصيين في آن واحد. وهذا ما فعله «عليه السلام»، فقد جعلهما معاً ـ كما في الرواية المتقدمة عن الإمام الباقر ـ مسؤولَين عن جميع أموره في التغسيل والتكفين، والصلاة والدفن وغير ذلك..

الأمر الثاني: العلاقة بين الحسنين في تبليغ الأحكام:

فقد بدأ «عليه السلام» في بيان شأن آخر من شؤون الإمامة يرتبط بالعلاقة بين الحسن والحسين «عليهما السلام»، فيما يتعلق ويرتبط بطريقة التشارك في تبليغ أحكام الشريعة من موقع إمامتهما، وحفظ الأحكام، وصيانتها عن الخطأ والخلط فيها.

وكان المورد الذي شاهده ذلك الرجل هو مورد صوم يوم عرفة، فقد كان الإمام الحسن «عليه السلام» ـ بإفطاره يوم عرفة ـ بصدد دفع توهم وجوب صومه على الناس، لا نفي استحبابه، وهو «عليه السلام» الإمام القائم بالأمر. وأما الإمام الذي سيقوم بالأمر بعده فكان يصومه..

فصيام الحسين لهذا اليوم يدل على رجحان صومه، وإفطاره من الإمام

الحسن وهو القائم بالأمر يدل على أن صيامه هذا ليس إلزامياً..

وقد أظهرت هذه الرواية: أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا حين يتشاركون في بيان الأحكام، فإنهم يتعمّدون أن يعرف الناس أن عليهم أن ينظروا إلى أفعالهم وأقوالهم، وكأنها وحدة متكاملة ومترابطة.. الأمر الذي يفرض ضم بعضها إلى بعض، فقد يقيّد بعضها بعضاً، وقد يخصصه، وقد يبيّن جهته، أو قد يكون ناسخاً له، وما إلى ذلك..

ابن الحنفية يطالب بميراثه:

عن إبراهيم المرتضى قال: سمعت الرضا «عليه السلام» يقول: سمعت أبي موسى الكاظم «عليه السلام» يقول:

سمعت أبي جعفر بن محمد «عليه السلام» يقول: سمعت أبي محمد بن علي «عليهما السلام» يقول: وقد سُئل عن أبي(١) العباس، هل عندهم من علم شيء؟!

فقال: نعم، عندهم صحيفة صفراء كانت لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وذلك أنه لما قُتِلَ أمير المؤمنين «عليه السلام» وطعن الحسن «عليه السلام»، وقدم معاوية الكوفة، وصالح الحسن «عليه السلام»، فانصرف الحسن والحسين «عليهما السلام» ومحمد ابن الحنفية إلى المدينة.

---

(١) لعل الصحيح: بني.

فانطلق محمد ابن الحنفية، فدخل إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال: إنّكما ورثتما أبي دوني، فإن لم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولدني، فقد ولدني أبوكما، ولكما لعمري عليّ الفضل، ولكن أعطوني ما أتحمل به من أبي، فقد عرفتما حُبّه لي.

فقال الحسن للحسين «عليهما السلام»: يا أخي، هو أخونا وابن أبينا، فأعطه شيئاً من علم أبيه.

قال: فأعطياه صحيفة صفراء، فيها رايات السود متى يكون؟! ومن يقوم بها؟! ومتى زمانها؟!

لم يعطياه شيئاً غيرها، ولم يكن فيها غير هذا.

وكانت عند ابن الحنفية، حتى إذا حضره الموت دفعها إلى ولده عبد الله أبي هاشم، وكانت عنده، حتى إذا حضره الموت دفعها إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان له صفياً، وكانت عنده حتى حضره الموت(١).

ونقول:

١ ـ لقد رويت هذه القصة بنحو آخر، يجعل مطالبة ابن الحنفية خاصة لخصوص الإمام الحسين «عليه السلام». وسوف نشير إليها حين الكلام عن تاريخ الحسين في عهد إمامته بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام».

---

(١) راجع: أخبار الدولة العباسية (ط دار الطليعة ـ دار صادر) ص١٨٤ و ١٨٥ والأصيلي لابن الطقطقي ٣٢٣ ـ ٣٢٤ و ٣٣٤.

٢ ـ إننا لا نصدق ما يدعى، من أن محمد ابن الحنفية قد طالب أخويه بميراثه المالي من أبيه، لعلمنا بأن الحسنين «عليهما السلام» لا يحبسان إرثه عنه ولو لحظة واحدة.

هذا إن كان أبوهما قد ترك مالاً، لكننا نعلم أنه «عليه السلام» لم يترك صفراء ولا بيضاء إلا سبع مئة درهم كان يريد أن يشتري بها خادماً لأهله.. فلما ضربه ابن ملجم أمر أن تجعل في بيت مال المسلمين[١].

٣ ـ أما ميراث العلم، فالعلم ليست له حقيقة مادية لكي يبقى منه شيء بعد وفاة العالم، إلا إن كان المراد المطالبة بسهم في الكتب التي يتركها العالم.

ومن المعلوم: أن الكتب التي كتبها علي «عليه السلام» قد منحها للإمام الحسن «عليه السلام»، لا لتكون ملكاً له، يبيعها، أو يهبها لمن يشاء، بل لتكون هي وسائر مواريث الأنبياء كعصا موسى، وإنجيل عيسى، وتوراة

---

(١) راجع: مقاتل الطالبيين ص٦١ ـ ٦٢ و(منشورات المكتبة الحيدرية) ص٣٣ و(ط مصر) ص٥١ و٥٢ وشرح الأخبار ج٢ ص٤٣٦ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٥٠٠ و٥٠١ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٨٢ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٩ والفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص١٤٦ و(ط دار الحديث سنة ١٤٢٢هـ ق) ص٧١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤١٣ و٤٢٠ وج١١ ص١٨٩ وج٢٦ ص٤٩١ والإرشاد المفيد ص٢٠٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٦ والدر النظيم ص٤١٩.

موسى، وصحف إبراهيم وسواها.. ـ تكون ـ ودائع عنده، حتى إذا حضرته الوفاة سلمها للإمام بعده، والإمام الذي بعده يسلمها حين وفاته للإمام الذي يليه، إلى ان ينتهي الأمر إلى الإمام الحجة «عليه السلام».. لأن وجود هذه الذخائر والمواريث عند الإمام إنما هو من شؤون إمامته، وهو الذي يستطيع الاستفادة منها.

فلا معنى لتوريث هذه الودائع، ولا يحق لأحد أن يطلع عليها سوى الإمام، أو من يأذن له الإمام..

٤ ـ إن ما ذكرته الرواية، من أن ابن الحنفية قد قال لأخويه: «إنكما ورثتما أبي دوني» إن أراد به إتهامهما بعدم رعاية الحكم الشرعي في إرث الأخوة فهو غير سديد، إذ لا مجال لاتهام الذي يجب عليه أن يعتقد بعصمته، وعدله، ومعرفته بأحكام الشرع والدين، ولا يجوز اتهامه، ولا مناوأته، أو الجرأة عليه، وإساءة الأدب معه، بل لا يجوز رفع الصوت فوق صوته.

وإن كان المراد هو الإعتراف والإقرار، بما لهما من التقدم والفضل عليه في العلم الذي اختصهما الله به دونه، فلا إشكال عليه.. وقد أشار بعض الأخوة إلى هذا الإحتمال.

ولعلك تقول:

إن كانت كتب أمير المؤمنين «عليه السلام» من ودائع الإمامة وذخائرها، ولا يجوز لغير الإمام أن يحوزها، فكيف أعطيت تلك الصحيفة الواحدة من كتب علي لولده محمد ابن الحنفية، مع أنه ليس بإمام؟!

ويجاب:

بأنه لا دليل على أنهما «عليهما السلام» قد أعطيا محمداً نفس الصحيفة التي هي بخط علي «عليه السلام»، والتي هي من ودائع الإمامة، فلعلهما قد أعطياه نسخة عنها. لأنه لم يطلب منهما ما كتب بخط أبيه، بل طلب منهما المضمون العلمي الذي تركه أبوه. فقال: «أعطوني ما أتحمل به من علم أبي».

وقال الإمام الحسن للإمام الحسين «عليهما السلام»: «أعطه شيئاً من علم أبيه».

صحيفة ابن الحنفية:

وبعدما تقدم نقول: إن هذه الصحيفة الواحدة كانت معروفة في التاريخ، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عن أبي جعفر الإسكافي(١): أنه قد صحت الرواية عندهم من أسلافهم، وعن غيرهم من أرباب الحديث، أنه لما مات علي أمير المؤمنين «عليه السلام» طلب محمد بن الحنفية من أخويه الحسن والحسين «عليهما السلام» ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو أطلعاه على غيرها لهلك.

وكان في الصحيفة ذكر لدولة بني العباس.

فصرح ابن الحنفية لعبد الله بن العباس بالأمر، وفصَّله له.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٧ ص١٤٩ و١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٠٣ والكنى والألقاب ج١ ص١٧٦ و١٧٧ وإثبات الهداة ج٥ ص٤٣.

والظاهر: أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبي هاشم، وعن طريقه وصلت إلى بني العباس.

ويقال: إنها ضاعت منهم أثناء حربهم مع مروان بن محمد الجعدي، آخر خلفاء بني أمية[١].

وقد ذكرت هذه الصحيفة في كلمات بني العباس وخلفائهم كثيراً. وذكرها المأمون في رسالته للعباسيين. وكان العباسيون يسمونها صحيفة الدولة.

الماء المرّ ملعون لا يستشفى به:

محمد بن يحيى، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن محمد بن يحيى بن زكريا، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه جميعاً، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي سعيد عقيصا التيمي قال:

مررت بالحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما في الفرات مستنقعان في إزارين.

فقلت لهما: يا ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أفسدتما الإزارين.

فقالا لي: يا أبا سعيد، فساد الإزارين أحب إلينا من فساد الدين. إن للماء أهلاً وسكاناً كسكان الأرض.

ثم قالا لي: أين تريد؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٧ ص١٤٩.

فقلت: إلى هذا الماء.

قالا: وما هذا الماء؟!

فقلت: أريد دواءه، أشرب من هذا الماء المر لعلة بي أرجو أن يجفف له الجسد، ويسهل له البطن.

فقالا: ما نحسب أن الله جعل في شيء قد لعنه شفاء.

قلت: ولم ذاك؟!

قالا: إن الله تبارك وتعالى لما آسفه قوم نوح فتح السماء بماء منهمر، وأوحى إلى الأرض، فاستعصت عليه عيون منها، فلعنها، وجعلها ملحاً أجاجاً.

وفي رواية حمدان بن سليمان: أنهما قالا «عليهما السلام»: يا أبا سعيد تأتي ماء ينكر ولايتنا في كل يوم ثلاث مرات. إن الله عز وجل عرض ولايتنا على المياه، وما قبل ولايتنا عذب وطاب، وما جحد ولايتنا جعله الله عز وجل مرّاً، وملحاً أجاجاً(١).

آسفه: أغضبه.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٢٠ وراجع ج٦٣ ص٤٨٠ وج١١ ص٣١٨ عن الكافي ج٦ ص٣٩٠ و ٣٩١ ومرآة العقول ج٢٢ ص٢٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٥ ص٢٦٩ و (الإسلامية) ج١٧ ص٢١٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٢ ص٥٣٦ و ٥٣٦ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص١٧٨.

ونقول:

قاعدة الأهم والمهم:

لقد قرر الحسنان «عليهما السلام» هنا قاعدة عقلية مفادها: أن على الإنسان إذا واجه أمرين، أن يعرف الأهم منهما بنظر الشرع، فيقدمه على الأمر الآخر الذي هو أقل أهمية منه. فإن صيانة الدين، وحفظه من الفساد أولى من حفظ الإزار بلا ريب.

وإذا كان للماء أهل وسكان كسكان الأرض، وكان الدين يأمر بصيانة العورات عنهم، كما تصان عن سكان الأرض، وإذا كان الإنسان يحتاج إلى أن ينزل إلى هذا الماء، فلا ضير إذا استفاد من ذلك الإزار، وإن أفسده ذلك حتى لا تنتهك أحكام الدين، وتخالف أوامره، فإن الدين أغلى وأهم عند الله من الإزار..

٢ ـ ولكن من الواضح: أن الذي يعرف أن للماء سكاناً كسكان الأرض إنما هو من لديه علم الإمامة أو النبوة، وليس هذا من الأمور التي ينالها البشر العاديون بوسائلهم التي نعرفها..

٣ ـ إن من يعرف أن الله تعالى يريد من الناس أن يستروا عوراتهم عن سكان المياه كسترهم لها عن سكان الأرض، هم أيضاً الأنبياء والأئمة من بعدهم، لأن هذا أيضاً لا سبيل إلى معرفته إلا لمن له صلة بالله بنحو من أنحاء الصلات التي يسَّرها الله تعالى للأنبياء والأوصياء..

٤ ـ ومن يعرف أن الولاية تعرض حتى على المياه فما قبلها منه عذب، وما جحدها جعله الله مراً، وملحاً أجاجاً هم الأنبياء، والأوصياء أيضاً.

وبذلك نعرف: أن هذين الأمرين يشيران إلى علم الإمامة، الذي حبا الله للحسن والحسين «عليهما السلام».

٥ ـ وذكرت رواية أبي سعيد عقيصا: أن الله تعالى قد لعن العيون التي استعصت. والذي نعرفه أن اللعن إذا صدر من الله تعالى، فلا بد أن يصبح الملعون بعيداً عن رحمة الله سبحانه..

وهذا يدلنا على أن للموجودات شأناً في الطاعة وعدمها، وفي القرب والبعد عن رحمة الله تعالى. وفي القرآن الكريم إشارات إلى هذه المعاني كما في قوله تعالى: ﴿**ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾(١). وآيات أخرى، بالإضافة إلى الأحاديث الكثيرة الصادرة عن النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، حول فضل بعض البقاع، وسوء بعضها الآخر..

٦ ـ ولكن حقيقة هذا البعد عن الرحمة، وتحقيق وتحديد ما يعد بالنسبة إلى الماء رحمة إلهية، وأمور وشؤون كثيرة أخرى هي مما لا ندركه نحن بعقولنا، بل نحتاج إلى البيان الإلهي بواسطة المعصوم.

٧ ـ إننا لا نعرف كيفية إنكار ذلك الماء ـ الذي كان يقصده عقيصا للاستشفاء به ـ ولاية أهل البيت ثلاث مرات في كل يوم، ولا يمكننا تقديم أي تفسير له، لأنه سيكون من القول بغير علم.

---

(١) الآية ١١ من سورة فصلت.

وإحتمال أن المقصود: أن عقيصا كان يأتي ذلك الماء ثلاث مرات مع أن ذلك الماء ينكر ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام».. لا مجال للإعتماد عليه لعدم وجود ما يدل على تكرر مجيء عقيصا إلى ذلك الماء ثلاث مرات في اليوم الواحد.

ولكننا نؤكد على أمور يستبطنها هذا الكلام:

أحدها: أن لهذا الماء درجة من الشعور والإدراك..

الثاني: أن لهذا الشعور والإدراك دوراً عملياً في ذلك الماء، وحالاته.

الثالث: أن عرض الولاية ليس مجرد عرض على الشعور والإدراك، ليبقى الأمر محصوراً فيهما، بل له آثار عملية وواقعية ملموسة حتى للبشر أنفسهم، فيشعرون بعذوبته، وملوحته، ومرورته الخ..

الرابع: أن الماء الذي كان عقيصا يقصده كان ممعناً في التمرد والخلاف، حتى إنه لينكر ولاية أهل البيت ثلاث مرات كل يوم.

سبع ديات يبذلها الحسنان لتخليص القاتل:

قال العلامة الحلي «رحمه الله»:

ومن صالَح عن ما يوجب القصاص بأكثر من ديته أو أقل جاز، لأن الحسن والحسين «عليهما السلام»، وسعيد بن العاص، بذلوا للذي وجب عليه القصاص على هدبة بن خشرم سبع ديات، فأبى أن يقبلها(١).

---

(١) راجع: تذكرة الفقهاء ج٢ ص١٩٤ وراجع: المجموع ج٨ ص٤٤٣.

ونقول:

يلاحظ: أن الفقهاء يستدلون بما جرى في قصة هدبة بن الخشرم على بعض الأحكام الشرعية. والنص الذي ذكرناه هنا مأخوذ من تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي «رضوان الله عليه».

والذي يعنينا في هذه القضية هو: ما يقال فيها عن موقف أو نشاط باتجاه معين للحسن والحسين «عليهما السلام». غير أن وضوح الأمر يحتاج أولاً إلى إعطاء نبذة عما جرى في قصة هدبة، ثم النظر في بعض الحيثيات التي لها ارتباط بالموضوع.

ونلخّص ما جرى على النحو التالي:

قصة هدبة بن خشرم:

كان خشرم من وجوه رهط بن عامر. أما ولده هدبة، فكان معروفاً بالشجاعة، والنجدة، والجلادة، والصبر، والمروءة[١].

وكان لهدبة أختان: اسم إحداهما فاطمة، فتحرش زيادة بن زيد (وهو زوج أخت هدبة) ـ تحرش ـ بفاطمة أخت هدبة، فسمعه هدبة، فغضب، وارتجز بأخت زيادة، واسمها «أم الخازم، أو أم القاسم».

(١) راجع: شعراء النصرانية (ط سنة ١٨٩٠م) ج٨ ص٩٦ وتزيين الأسواق في أخبار العشاق للأكمه (ط١ سنة ١٤١٣هـ) ج٢ ص٤٥.

فشتمه زيادة، وسبه هدبة، فتدخل الناس بينهما حتى كفّا، وكان هدبة أشد غضباً، لأن زيادة رجز بأخته وهي تسمع، ورجز هو بأخت زيادة، وهي غائبة لم تسمع.

ثم التقى هدبة وزيادة، قالوا: فقتل هدبة زيادة، وهرب.

وكان ذلك في أيام ولاية سعيد بن العاص على المدينة، فقبض سعيد على نفر من أهل هدبة، فيهم عمه، حتى جاء هدبة، وأسلم نفسه للسجن، فأفرج سعيد عن أهله، ووضع هدبة في السجن، بأمر من معاوية، بانتظار أن يبلغ المسور بن زيادة، لكي يخيره بين قتل هدبة وبين الدية..

وجعل القرشيون يكلمون عبد الرحمان أخا زيادة في أمر هدبة، وأضعفوا له الدية، حتى بلغت عشراً.

وفي نص آخر: حتى بلغ ست ديات. وقيل غير ذلك.

وكان منهم: سعيد بن العاص، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي «عليهما السلام»، وعمرو بن عثمان بن عفان.

فلما أكثروا امتنع عبد الرحمان، فأقام هدبة في السجن ست سنين، بسبب قتل صهره، فقد شخَص أخو المقتول إلى معاوية شاكياً هدبة إليه، وأرسلوا هدبة أيضاً إلى معاوية، واعترف هدبة بالقتل ـ كما زعموا ـ، فأمر معاوية بحبسه حتى يكبر ابن زيادة، ويكون هو الذي يختار.

فحبس هدبة عند سعيد بن العاص في المدينة قيل: ثلاث، وقيل: خمس، وقيل: ست سنين. ومات عبد الرحمان في تلك الفترة. وكان المسور قد مال إلى قبول الدية، لكن أمَّه أصرَّت على القصاص، فاختار القصاص.

وكان أهل المدينة قد رقّوا لهدبة لوفائه وشعره، وأنه أول من يقتل صبراً في المدينة منذ زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصاروا يتكلمون بقبول الدية.

ثم قتل هدبة، بعد أن صلى ركعتين قبل قتله، وقالوا: إنه أول من سن ركعتين عند القتل.

وقد اختلفوا في الذي تولى قتله. هل هو عبد الرحمان أخو زيادة؟! أو هو المسور بن مخرمة؟!

فإن كان عبد الرحمان هو الذي تولى قتله، فإن قولهم بأنه ـ أي عبد الرحمان ـ مات قبل بلوغ المسور السن التي يحق له فيها الاختيار يكون غير صحيح(١).

هذا هو مضمون قصة هدبة بن خشرم، وفق ما ورد في المصادر المذكورة في الهامش، وقد عرضناه بتصرف وتلخيص.

---

(١) راجع ما ذكرناه، كلاً أو بعضاً في المصادر التالية: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج٢ ص١٦ والشعر والشعراء لابن قتيبة ج٢ ص٥٨٣ وشعراء النصرانية (للويس شيخو اليسوعي) ج٨ ص٩٦ و ٩٧ و ٩٩ واللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأندلسي ص١٠٣٩ وخزانة الآدب للبغدادي ص٨٠١٥ والموشح للمرزباني ص٥٦ وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ص٣٩٦ ومنار السبيل في شرح الدليل لابن ضويان ج٢ ص٣١٦ و (ط أخرى) ص٢٨٣ والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة للتلمساني ج١ ص٤٨٣ والمبدع لابن مفلح ج٤ ص٢٨٩.

غير أننا نقول:

ما شأن الحسنين عليهما السلام؟!:

فيما يرتبط باستدلال الفقهاء بهذه الحادثة على بعض الفروع الفقهية نرى: أن الاستدلال بها قد لا يكون مستجمعاً للشرائط، لما يلي:

١ ـ إن ذلك لم ينقل لنا بسند يمكن الاعتماد عليه.

٢ ـ إن بعض المصادر قد ذكرت الإمام الحسين «عليه السلام» فقط، ولم تذكر الإمام الحسن «عليه السلام». فإن كان «عليه السلام» قد شارك وأُهمل ذكره، فلماذا أهمل؟ وإن كان لم يشارك في شيء، فلماذا أضيف اسمه؟

٣ ـ هناك من يقول: قاتل زيادة شخص آخر، وهو أخوه[1].

٤ ـ إن مجرد استعظام قتل القاتل صبراً في بلد لم يشهد أمراً كهذا، لا يبرر هذا الإصرار على تخليص هدبة.

كما أن وفاء هدبة وشجاعته لا يبرران ذلك. وهذا يؤكد وجود سبب آخر لهذا الإصرار، ولعله هو ما تقدم، من وجود شبهة لديهم في أن يكون هدبة هو القاتل.

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص٣٧٥، ويبدو أن فيه خطأً من النساخ قد حصل في هذا المورد، فقد قال النص: إن زيادة لم يقتله هدبة وإنما قتله أخاه، والصحيح: أخوه.

٥ ـ إننا نرى أن سبب تدخل الإمام الحسين «عليه السلام» لتخليص هدبة هو أنه «عليه السلام» كان يرى أن هدبة لم يكن مستحقاً للقتل، لأن الذي حكم عليه بالقتل هو رأس الأمراء الظلمة، وهو معاوية.

فيكون مبرر تدخل الحسين «عليه السلام» في هذا الأمر هو وجود شبهة حول شخصية القاتل، واحتمال براءة هدبة..

ويدل على ذلك: أن سعيد بن العاص كره الحكم في قضية هدبة، وأحالها على معاوية.

فسمع معاوية من هدبة ذكر القصة في أبيات شعر، كان منها قوله:

رُمِينا فرامَينا فصادف رَميُنا ... منايا رجال في كتاب وفي قدر

فاعتبر معاوية قوله هذا إقراراً منه بالقتل، وحكم بإرجاع الأمر إلى ابن المقتول: فإن اختار قتله قُتل، وإن اختار الدية فله ذلك[1].

مع أن هذا البيت لم يتضمّن إقراراً بالقتل الموجب للقود، وهو القتل العمدي، بل تضمّن أمرين، في كليهما تظهر براءة هدبة:

الأول: أنه ذكر أنه لم يكن هو البادئ بالرمي على زيادة، بل كان زيادة هو البادئ بذلك، فقابل الرمي بالرمي. فرميه كان دفاعاً عن النفس. وقد يقصد المدافع عن نفسه جرح مهاجمه، ليردعه عن مواصلة رميه، فإذا صادف

---

(١) راجع: الأغاني ج٢١ ص١٧٢ وخزانة الأدب ج٩ ص٣٤٠ والوافي بالوفيات للصفدي ج٣٤ ص١٩٧.

منه مقتلاً فمات، كان قتله له من شبه العمد، وحكمه: أن الدية فيه على العاقلة ولا قود فيه.

الثاني: أنه ذكر أنه حين رمى على زيادة لم يكن قاصداً للقتل، بل كان قاصداً المراماة، وهي الرد على الرمي بمثله، فصادف أن قتل زيادة.

وهذا يعني أيضاً: أن قتل زيادة ـ في أعلى الفروض ـ كان شبه عمد، والحكم في شبه العمد ليس هو القتل إلا إذا رضي الولي بالدية، كما زعم معاوية. بل الحكم هو الدية فقط، وتكون على العاقلة لا على الشخص نفسه.

وهذا معناه: أن تدخل الحسين «عليه السلام» لتخليص هدبة، كان لعدم ثبوت قتل العمد عليه، ولأن الحكم الذي أصدره معاوية وتشبث به أولياء المقتول كان خطأً فاحشاً. ولا أقلّ من وجود الشبهة في ثبوت القود فيه.

يضاف إلى ما تقدم: ما يقال من أن ابن المقتول كان قد رضي بالدية، لكن أمّه هي التي أصرت على قتل هدبة..

ومن فوائد تدخل الإمام الحسين «عليه السلام» في هذا الأمر بهذا المقدار: هو التعريف بالحكم الشرعي، وهو جواز المصالحة على الأقل والأكثر من الدية في هذا المورد أيضاً.

الحسين عليه السلام والصلاة بعد العصر:

١ ـ عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن «عليه السلام» قال: ما رأيت الناس أخذوا عن الحسن والحسين «عليهما السلام» إلا الصلاة بعد العصر

وبعد الغداة في طواف الفريضة (١).

٢ ـ روى أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: سألت الرضا «عليه السلام» عن صلاة طواف التطوع بعد العصر؟!

فقال: لا.

فذكرت له قول بعض آبائه «عليهم السلام»: إن الناس لم يأخذوا عن الحسن والحسين «عليهما السلام» إلا الصلاة بعد العصر بمكة.

فقال: نعم. ولكن إذا رأيت الناس يقبلون على شيء، فاجتنبه.

فقلت: إن هؤلاء يفعلون.

فقال: لستم مثلهم (٢). وسند الرواية صحيح.

---

(١) الكافي ج٤ ص٤٢٤ والإستبصار ج٢ ص٢٣٦ وتهذيب الأحكام ج٥ ص١٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٤٣٥ و (الإسلامية) ج٩ ص٤٨٧ ومنتهى المطلب ج٢ ص٦٩٢ وروضة المتقين ج٥ ص٢٥٤ والوافي ج١٣ ص٩٠٨ والدروس للشهيد الأول ج١ ص٢٨٦.

(٢) راجع: مناهج الأخيار في شرح الإستبصار، للسيد أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي ج٣ ص٤٩٥ والوافي ج١٣ ص٩١١ وروضة المتقين ج٥ ص٢٥٤ و ٢٥٥ وتهذيب الأحكام ج٥ ص١٤٢ والإستبصار ج٢ ص٢٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٤٣٦ و ٤٣٧ و (الإسلامية) ج٩ ص٤٨٨ ومسند

ونقول:

نوضح ما نرمي إليه ضمن النقاط التالية:

١ ـ إن رواية ابن بزيع تدل على أن الإمام الرضا «عليه السلام» كان يخشى على الشيعة من التعرض للأذى إذا رآهم مخالفوهم يصلون صلاة طواف التطوع بعد العصر، فلأجل ذلك نهى «عليه السلام» إسماعيل بن بزيع عن فعلها..

فذكر له ابن بزيع: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يجيزانها، وقد أخذها الناس ـ أي مخالفوهم ـ عن الحسنين، وصاروا ـ أو بعضهم ـ يصلونها بعد العصر أيضاً..

فأجابه الإمام «عليه السلام»: بأن المخالفين يتسامحون مع بعضهم البعض، أو لا يتجرأ بعضهم على بعض، ولكنهم حين يرون الشيعة يفعلون نفس ما يفعله من هم على مذهبهم، فإنهم يعاملون الشيعة بالخصوص بغير ما يعاملون به إخوانهم، ولا سيما إذا كان علماؤهم يفتون بخلاف الحكم الذي هو محط النظر، فإنهم في هذه الحالة يعاملون الشيعة بقسوة بالغة..

وربما يستشهد على ذلك: بأن الرواية لم تقل: لم يأخذوا إلا المنع عن الصلاة الخ.. بل قالت: لم يأخذوا إلا الصلاة.

وملاحظة أخيرة نذكرها: وهي أن بعض المصادر وضعت همزة قبل كلمة لستم. وهو غلط كما ظهر مما بيناه..

الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٢٣٠ و ٢٣١ ومنتقى الجمان ج٣ ص٢٧٢.

٢ ـ ولعل هذا البيان من الإمام الرضا «عليه السلام» يعطي: أن السماح بالصلاة بعد العصر في تلك الفترة كان لأجل تعريف الناس بأن المنع عنها من قبل عمر بن الخطاب كان بلا مبرر..

وبعد أن مرت حقبة على إصرار أتباع الخليفة على تكريس المنع، وإصرار أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم على التمسك بالحكم الإلهي الثابت عن الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبعد أن امتاز الأصيل من الدخيل، والحق من الباطل، واشتهر الحق وشاع، ولم يعد بالإمكان طمسه.. لم يعد هناك مبرر لتحمل الأذى في هذا الأمر، فلا مانع من العمل بالتقية فيه في حالات الخوف، حسبما قرره الإمام الرضا «عليه السلام».

٣ ـ إذا كان ما فهمناه من رواية الإمام الرضا «عليه السلام» هو المراد، فذلك يعني: أن مجرد التعرض للأذى بسبب العمل بالحكم الشرعي لا يبرر ممارسة التقية فيه.. بل تكون التقية من المعونة على طمس الأحكام، فيجب تحمل الأذى إذا كان يساهم في تمييز الحق من الباطل، والصحيح من الخطأ.

فمورد التقية يكون بعد وضوح الحق، وحيث لا ثمرة للإصرار على العمل به إلا هدر الطاقات، وتضييع الجهد..

٤ ـ ذكرت النصوص الكثيرة: أن عمر بن الخطاب هو الذي كان يصر على المنع من الصلاة بعد العصر، وكان يضرب من يراه يصلي في هذا الوقت(١)،

---

(١) المصنف للصنعاني ج٢ ص٤٢٩ و٤٣٠ وكتاب الآثار للشيباني، وكنز العمال ج٤

كما عن ابن عباس، وعبد الله بن شفيق، وقبيصة بن جابر، وأبي العالية (أو أبو الغادية)، والزهري، وتميم الداري، وأنس، وغيرهم..

وبعض الناس كان يتابع عمر في هذا الفعل غير المشروع، فقد قال ابن عباس: «وكنت أضرب مع عمر الناس عليهما»[(١)].

وعن خالد بن الوليد: أنه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر[(٢)].

٥ ـ إن من المضحك المبكي: أن بعض الروايات تزعم: أن علياً «عليه السلام» سبح في سفر بعد العصر ركعتين، فتغيظ عليه عمر، وقال: أما والله، لقد علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان ينهى عن هذا[(٣)].

ونقول:

إن هذا غير صحيح..

فأولاً: هل يريد أن يتهم علياً «عليه السلام» بتعمد المخالفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما نهى عنه؟! فإن هذا اتهام له «عليه السلام» في دينه وتقواه ـ نعوذ بالله من الزلل في الفكر، وفي القول، والعمل ـ، ولا يقدم علي

رقم٤٨٠٠ والموطأ ج١ ص٢٢١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٤٦ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٤٣.

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١١٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٢١٣.

(٣) المصنف للصنعاني ج٢ ص٤٣٠.

«عليه السلام» على مثل هذا.

ثانياً: روي أن تميم الداري ركع ركعتين بعد نهي عمر بن الخطاب عن الصلاة بعد العصر، فأتاه عمر فضربه بالدرة، فأشار إليه تميم أن اجلس، وهو في صلاته، فجلس عمر حتى فرغ تميم من صلاته، فقال لعمر: لم ضربتني؟!

قال: لأنك ركعت هاتين الركعتين، وقد نهيت عنهما.

قَالَ: فَإِنِّي قَدْ صَلَّيْتُهَا مَعَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، مَعَ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله».

فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَيْسَ بِي إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدِي قَوْمٌ، يُصَلُّونَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى المَغْرِبِ، حَتَّى يَمُرُّوا بِالسَّاعَةِ الَّتِي نَهَى رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» أَنْ يُصَلَّى فِيهَا حتماً. وصَلُّوا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ(١).

ثالثاً: إن عمر بن الخطاب وغيره مأمورون بالأخذ من علي وأهل البيت «عليهم السلام»، فإنهم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما.

رابعاً: إن عمر لا يجرؤ على التغيظ على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولاسيما في أمر عباداته، ومعرفته بالأحكام ورعايته لها.

والشاهد على ذلك: ما جرى في طريق الحج، حيث رأى عمر عبد الله بن جعفر وهو يسير إلى جنب علي «عليه السلام»، وقد أحرم ولبس إزاراً ورداءً ممشقين مصبوغين بطين المشق، ثم أتى، فنظر إليه عمر وهو يلبي وعليه

---

(١) الفاروق (مؤسسة دلتا للمعلومات والأنظمة) ص٢٤٩.

الإزار والرداء، وهو يسير إلى جنب علي «عليه السلام».

فقال عمر من خلفهم: ما هذه البدعة التي في الحرم؟!

فالتفت إليه علي «عليه السلام»، فقال: يا عمر، لا ينبغي لأحد أن يعلمنا السنة.

فقال عمر: صدقت والله يا أبا الحسن، لا والله ما علمت أنكم هم[1].

وفي نص آخر عن الشعبي قال:

أحرم عقيل بن أبي طالب في موردتين، فقال له عمر: خالفت الناس.

فقال له علي: دعنا منك، فإنه ليس لأحد أن يعلمنا السنة.

فقال له عمر: صدقت[2].

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٤٨٣ عن العياشي، وراجع: المحلى لابن حزم ج٧ ص٢٦٠ وبحار الأنوار ج٩٦ ص٩٦ و ٢٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٥٩ والإستذكار ج٤ ص٢١ وكنز العمال ج٥ ص٢٢٧.

(٢) الأحكام لابن حزم ج١٤ ص٥٤٠.

الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الفصل الثاني: إمامة الحسين في كلام علي عليهما السلام.......... ٥
الفصل الثالث: علي والحسين عليهما السلام.. والدعاء.. .... ٣٣
الفصل الرابع: في حرب الجمل.. .... ٥٣
الفصل الخامس: مكاتبات قبل صفين.......... ٩٥
الفصل السادس: هنا كربلاء ١١٩
الفصل السابع: قتال الحسين عليه السلام في صفين.......... ١٤٩
الفصل الثامن: من صفين والنهروان.. إلى الشهادة.......... ١٨٩
الفصل التاسع: البغيبغة وعين أبي نيزر.......... ٢١٥
الفصل العاشر: هذا ليس غدراً.......... ٢٣٥
الفصل الحادي عشر: حديث الاستشهاد ٢٧٣
الباب الثاني: الحسين عليه السلام في إمامة الحسن المجتبى عليه السلام ٣٠٩
الفصل الأول: من دلائل الإمامة.......... ٣١١
الفهارس: ٣٣٩

الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: إمامة الحسين في كلام علي عليهما السلام.......................... ٥
الإمامان المعصومان:.. ٧
علي عليه السلام للحسين عليه السلام: علمت ما جهلوا:.......................... ١٢
أنت أسوة قدما:.. ١٢
علمت ما جهلوا:.. ١٣
بنو أمية يسفكون دم الحسين عليه السلام:.......................... ١٤
علي عليه السلام يسأل الحسين عليه السلام:.......................... ١٤
الحكمة جزء من الدين أيضاً:.. ١٥
الحكمة تحتاج إلى تعليم:.. ١٦
الممارسة العملية:.. ١٧
فوائد الحكم:.. ١٧
رأى الملائكة، فعمِيَ:.. ١٨
عمى نجاد لماذا؟!:.. ١٩
رمي السهام لماذا؟!:.. ٢٠
هذان ابنا الرسول، وهذا ابني:.. ٢٢

ابن الحنفية يجيب أيضاً: ٢٤
لا شفاعة في حد: ٢٨
علي يسأل ولديه:........................ ٢٩
الفصل الثالث: علي والحسين عليهما السلام.. والدعاء.. .... ٣٣
دعاء العشرات:........................ ٣٥
لماذا العهد؟!: ٣٧
تحديد مدة الكتمان:........................ ٣٨
للإمام الحسين عليه السلام خصوصيته: ٣٩
الآثار العظيمة والهائلة للدعاء: ٣٩
دعاء المشلول: ٤٠
تكنية علي عليه السلام لولده:........................ ٤٥
اهتمام علي عليه السلام بأصحاب الحاجات: ٤٥
الحسين عليه السلام لم يسمع بهذا الدعاء: ٤٦
كتابة دعاء الجوشن على الكفن: ٤٧
حلاوة سورة القدر من فِي علي عليه السلام: ٤٩
الفصل الرابع: في حرب الجمل.. .... ٥٣
للتوضيح والبيان:........................ ٥٥
علي يمنع والحسنان يعطيان:........................ ٥٥
الحسنان عليهما السلام في طاعة أبيهما:........................ ٦٠

إلى البصرة: ٦١

الحسنان في موكب علي عليه السلام: ٦٣

الحسن على الميمنة والحسين على الميسرة: ٦٦

لماذا أعطى الراية لابن الحنفية؟!: ٧٠

راية الرسول صلى الله عليه وآله متى نشرت؟!: ٧١

الزلزال: ٧٢

ابن الحنفية لا يقاس بابني رسول الله صلى الله عليه وآله: ٧٤

كلاهما إمام الورى: ٧٨

حرص علي عليه السلام على إيراد ضربة قاصمة: ٧٨

سياسة نصرت بالرعب: ٨٣

الحسنان عليهما السلام يتشفعان بمروان: ٨٦

إمرة كلعقة الكلب أنفه: ٨٩

أبو الأكبش الأربعة: ٩٠

سبعة من أفضل الخلق: ٩١

الفصل الخامس: مكاتبات قبل صفين.. .... ٩٥

أنا أبو الحسن والحسين: ٩٧

الحسين عليه السلام يحرض على جهاد معاوية: ٩٩

صحيفة الإخبار عن الغائبات: ١٠٧

من أدلة العصمة: ١٠٩

شفاعة أبي طالب:..١١٢
الحسين خير لابنتك: ١١٥
الفصل السادس: هنا كربلاء.. ....١١٩
استشهاد الحسين في كلام علي:..........................١٢١
علي عليه السلام في كربلاء: ١٢٥
المرأة على يقين وزوجها في شك: ١٣٣
أنت لنا أم علينا؟!:..١٣٤
علي عليه السلام لا يعلم الغيب ذاتاً:......................١٣٥
جزاء من لا يغيث الإمام عليه السلام: ١٣٥
هذا هو قسم الإمام!!: ١٣٧
كيف حدد علي عليه السلام الأمكنة: ١٣٨
كيف نفهم: املكوا عني هذا الغلام؟!: ١٣٩
اصبر أبا عبد الله:..١٤٢
يتحدث علي عليه السلام عن عاشوراء بالذات: ١٤٤
أقر الله عينك بابنك الحسين عليه السلام: ١٤٥
بعر الظباء في صيرانها:....................................١٤٦
الفصل السابع: قتال الحسين عليه السلام في صفين.. ....١٤٩
الحسنان على خيل الميمنة في صفين:........................١٥١
الحسين ومحمد يقتلان مولى أبي سفيان: ١٥٢

الحسنان عليهما السلام لا يخلان بمركزيهما: ١٥٦
الحسين عليه السلام وعبيد الله بن عمر: ١٥٩
علي وتر قريشاً: ١٦٢
لا أكفر بالله ورسوله: ١٦٣
الخبر المرعب لابن عمر: ١٦٤
لله، ولرسوله، وللمؤمنين: ١٦٥
الحسين لا يخدع، فهو ابن أبيه: ١٦٦
هل هذا حسد أم ضعف؟!: ١٦٧
لم يغرر بك أبوك؟!: ١٧١
وجوب حفظ الإمام: ١٧٤
حياة الحسين بقيمة حرب صفين: ١٧٧
علي يتوعد الحسين عليه السلام بالعقوبة: ١٧٩
معاوية يعير قريشاً، وجواب مروان: ١٨٢
معاوية يكيد قيس بن سعد لدى علي: ١٨٤
الحسين استعاد المشرعة في صفين: ١٨٦
أبو أيوب أو أبو الأعور: ١٨٧
من الذي حرر المشرعة؟!: ١٨٧
عدد الذين شاركوا في أخذ المشرعة: ١٨٨
الفصل الثامن: من صفين والنهروان.. إلى الشهادة ١٨٩

علي عليه السلام بعد صفين: ما يقول ذوو الرأي؟!: ١٩١
معاوية يلعن أوصياء الأنبياء:................................ ١٩٤
الإشكالات الباطلة: ١٩٦
معاوية والعمل بمبدأ المقابلة بالمثل: ١٩٦
اللعن أسلوب الفاشل العاجز: ١٩٩
علي عليه السلام والتزام أدب الخطاب: ٢٠٠
اللعن سباب عرفي: ٢٠١
أهل النهروان في أصلاب الرجال:.............................. ٢٠٣
علي عليه السلام لم يخطِّئ ولده: ٢٠٤
وجود الخوارج أمر طبيعي: ٢٠٥
يأخذ الحق حتى من الحسنين عليهما السلام:.................... ٢٠٦
الرجعة إلى صفين: ٢١٠
علي عليه السلام لم ينقض العهد: ٢١٠
لا تناقض بين أقوال وأفعال علي عليه السلام: ٢١١
لماذا عقد للحسين فقط؟!:.................................... ٢١٢
الفصل التاسع: البغيبغة وعين أبي نيزر ٢١٥
كتاب علي عليه السلام في عين أبي نيزر:....................... ٢١٧
مئتا ألف دينار ثمن ضيعة: ٢١٨
متى وقف علي عين أبي نيزر والبغيبغة؟!: ٢١٩

أمير المؤمنين هو علي عليه السلام: ٢٢١
النار لا تلفح وجه علي عليه السلام: ٢٢٧
علي عليه السلام يكرم ويعظم الحسنين عليهما السلام: ٢٢٨
هل تباع الصدقة؟!........................... ٢٣٠
البغيبغة لأم كلثوم:........................... ٢٣٢
الفصل العاشر: هذا ليس غدراً........................... ٢٣٥
زواج يزيد من هاشمية: ٢٣٧
سياسات تثير الريبة: ٢٤٤
الإمام الحسن عليه السلام يخطب بنت عثمان:........................... ٢٤٧
لا يفتأت على الحسين عليه السلام: ٢٤٨
أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟!:........................... ٢٤٨
المعايير الأموية للزواج: ٢٥٠
نظرة في جواب الحسين عليه السلام لمروان:........................... ٢٥١
اختار لنفسه:........................... ٢٥٢
ارتضانا لدينه: ٢٥٣
واصطفانا على خلقه: ٢٥٣
جزاء الإنتقاص من أهل البيت عليهم السلام: ٢٥٤
والعاقبة لأهل البيت عليهم السلام: ٢٥٤
سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته:........................... ٢٥٥

لا نعدو مهر السنة: ٢٥٧
عاديناكم في الله: ٢٥٧
قضاء دين أبي الجارية:.. ٢٥٨
الإمارة لا تزيد في الكفاءة: ٢٥٩
ليس عند الحسين خلاف: ٢٥٩
أحب أن يزيد القرابة لطفاً:.. ٢٦٠
البغيبغة لمن أصبحت: ٢٦١
توجيهات لا تكفي:.. ٢٦٢
أيادي معاوية عند ابن جعفر:.. ٢٦٤
الفرق بين ابن جعفر والحسين عليه السلام: ٢٦٤
في رواية البلاذري تحريف: ٢٦٥
ليس هذا غدراً: ٢٦٥
رواية ابن سعد هي الفيصل: ٢٦٧
إن عليَّ ديناً:.. ٢٦٧
دونك البغيبغة: ٢٦٧
الحسين عليه السلام ليس قاطع طريق:.. ٢٦٩
معاوية مضطر للتراجع:.. ٢٧٠
الفصل الحادي عشر: حديث الاستشهاد.. .... ٢٧٣
علي عليه السلام للحسين عليه السلام: كم بقي من شهرنا؟!: ٢٧٥

كم بقي من شهرنا هذا: ٢٧٦
كاد المريب أن يقول: خذوني: ٢٧٧
الحسين عليه السلام يراقب ما يجري: ٢٧٧
لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك: ٢٧٨
ابن ملجم متهم مسبقاً: ٢٨١
يا أبه، ما هذه الطيرة؟!: ٢٨٢
منام علي عليه السلام بعد النهروان: ٢٨٤
رؤيا النبي والوصي: ٢٨٦
الانتقام من النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام: ٢٨٧
لعين هذه الأمة: ٢٨٨
الذي قضي كائن: ٢٨٩
وصايا علي عليه السلام لأولاده: ٢٩٠
لا تقطع دونهما أمراً، ولزوم التوقير: ٢٩٣
الوصية بمحمد ابن الحنفية: ٢٩٤
الخطاب للإمام الحسن عليه السلام: ٢٩٦
الإمامة والوصية: ٢٩٦
لماذا كل هذا؟!: ٣٠٠
الحسين لم يحضر استشهاد أبيه: ٣٠١
التجهيز والدفن: ٣٠٢

الحسين يصف أباه عليه السلام: ٣٠٥

أهملهم اهمال الراعي لإبله: ٣٠٦

أحب بيعة عمر، ولم يكره خلافته: ٣٠٧

علي عليه السلام لم ير أحداً يقوم مقامه: ٣٠٨

لم يذكر عثمان بشيء: ٣٠٨

الباب الثاني: الحسين عليه السلام في إمامة الحسن المجتبى عليه السلام ٣٠٩

الفصل الأول: من دلائل الإمامة..٣١١

الإمامة تقتضي حفظ الشريعة: ٣١٣

ابن الحنفية يطالب بميراثه: ٣١٦

صحيفة ابن الحنفية: ٣٢٠

الماء المرّ ملعون لا يستشفى به: ٣٢١

قاعدة الأهم والمهم: ٣٢٣

سبع ديات يبذلها الحسنان لتخليص القاتل: ٣٢٥

قصة هدبة بن خشرم: ٣٢٦

ما شأن الحسنين عليه السلام ؟!: ٣٢٩

الحسين عليه السلام والصلاة بعد العصر: ٣٣١

الفهارس: ٣٤١